حرب الفلاحين في ألمانيا



المكتبة الإشتراكية

فريديريك انجلز

حرب الفلاحين في ألمانيا

تعريب محمد أبو خضور



العنوان الاصلي لهذا الكتاب باللغة الانكليزية

The Peasant War In Germasy

third Printing 1969

Progress Publishers. Moscow



مقدمة (١)

كتب الاثر التالي في لندن في صيف ١٨٥٠ ، عندما كان التأثير المباشر للثورة المضادة التي كانت قد انتهت لتوها مسيطراً علي • وظهر هذا الأثر في العددين الخامس والسادس من مجلة
« Neue Rheinische Zeitung. Apolitico-Economic Review »
« الراين الجديدة ، مجلة سياسية اقتصادية » التي كان يرأس تحريرها كارل ماركس في هامبورغ عام ١٨٥٠ وقد أحب أصدقائي السياسيون في ألمانيا أن أعيد طباعته ، وانني أرضخ لرغبتهم هذه لأن هذا العمل – وللأسف – مايزال مناسباً للظرف الراهن •

ولا أدعي أن مادة هذا البحث هي من بحث مستقل • بل على النقيض من ذلك فان جميع مادة البحث المتعلقة بانتفاضات الفلاحين وتوماس مونزر مستقاة من زيمرمان (٢) Zimmermann الذي لايزال كتابه – رغم بعض الثغرات هنا وهناك – أحسن عرض للوقائع

---

(١) كتب انجلز القسم الأول من هذه المقدمة في شباط ١٨٧٠ للطبعة الألمانية الثانية من « حرب الفلاحين في ألمانيا » ليبزيغ ١٨٧٠ وفي أول تموز ١٨٧٤ كتب انجلز قسماً ثانياً ملحقاً نظراً لصدور طبعة ثالثة ظهرت في ليبزيغ ١٨٧٥ •

(٢) زيمرمان « التاريخ الكامل لحرب الفلاحين الكبرى » شتوتغارت ١٨٤١ – ١٨٤٣ •

الفعلية المتعلقة بهـذا الموضوع • وبالاضافـة الى ذلك فان العجوز زيمرمان كان مسروراً بموضوعه • فالغريزة الثورية التي جعلتـه في مختلف أجزاء الكتاب يؤيد الطبقات المقهورة ، هي نفسهـا التي أدت به الى أن يكون واحداً من خيرة اليساريين المتطرفين في فرانكفورت[1] وان كان حقيقة ماأشيع من أنه قد تقدم بالسن بعد ذلك •

واذا كان تقديـم زيمرمان مع ذلك ينقصـه الترابط الداخلي ، ولم ينجح في الكشف عن المنازعات الدينية ـ السياسية لتلك الفترة بوصفها انعكاساً للصراع الطبقي المعاصر ، ولم ير في هذا الصـراع الطبقي سوى الغالبين والمغلوبين ، النـاس الطيبين والأشرار ، ثـم الانتصار النهائي للأشـرار ، واذا كان قد أخطأ في تبيـان الظروف الاجتماعية التي حددت كـلا من نشوء الصراع ونتائجه ، فقـد كان الخطأ خطأ العصر الذي صدر فيه كتابه • وعلى العكس فانه بالنسبة لزمنه فقد كتب بواقعية تامة ، وهذا استثناء يجب الاشادة به بـين المؤلفات الألمانية المثالية في كتابة التاريخ •

أمـا تقديمي ففي حين أنه يرسـم تخطيطاً للمسرى التـاريخي للنضال في خطوطـه العاريـة فقط ، فانـه يحاول أن يفسر مصـدر حرب الفلاحـين وموقف مختلـف الاحزاب التي لعبت دوراً فيهـا ، والنظريات الدينيـة والسياسية التـي حاولت تلك الأحـزاب أن توضح بها موقفها في عقول أعضائهـا • وأخيراً نتيجة الصراع نفسـه كضرورة صـادرة عن الظروف التاريخية للحيـاة الاجتماعية لهـذه الطبقات • وبعبارة أخرى فانه يحاول توضيح التركيب السيـاسي لألمانيا فيذلكالعصر والثورات التي قامت ضده،والنظريات السياسية

---

(١) أضاف انجلز هذه الجملة الى طبعة ١٨٧٥ •

والدينية المعاصرة لابوصفها أسبابا بل كنتائج للمرحلة التي وصل اليها تطور الزراعة والصناعة ، والأرض وسقايتها ، وتجارة الحاجيات والسلع والنقود وتحصيلها آنئذ في ألمانيا • وهذه النظرة المادية الوحيدة للتاريخ لاترجع الي بل الى ماركس Marx . ويمكن ملاحظتها في مؤلفاته عن الثورة الفرنسية ١٨٤٨ ـ ١٤٨٩ في نفس المجلة ، وفي كتابه « ١٨ برومير لويس بونابرت » (١) •

والشبه بين الثورة الألمانية عام ١٥٢٥ وثورة ١٨٤٨ ـ ١٨٤٩ كان واضحاً جداً ولا يمكن انكاره في ذلك العصر • فرغم التشابه في مسرى الوقائع ، حيث سحق جيش الامراء مختلف الثورات المحلية الواحدة اثر الثانية في كلتا الحالتين ، رغم ذلك كله ، فقد كان الاختلاف بارزاً وبيناً متميزاً •

« من الذي ربح من ثورة ١٥٢٥ ؟ **الامراء** ، ومن ربح من ثورة ١٨٤٨ ؟ الأميران **الكبيران** للنمسا وبروسيا • ووزراء الامراء في عام ١٥٢٥ كان يقف صغار سكان المدن الذين كان الامراء قد شدوهم بعجلتهم بواسطة الضرائب • ووراء الملوك في عام ١٨٥٠ وراء النمسا وبروسيا يقف البورجوازي الكبير الحديث الذي كان يسرع في اخضاعهم لسيطرته بواسطة الدين القومي وخلف البورجوازي الكبير تقف البروليتاريا »(٢) •

واني آسف لاضطراري الى اضفاء هذا الشرف الكبير على البورجوازية الألمانية في هذه الفقرة • فقد كان لديها في كل من النمسا

---

(١) « معارك الصراع الطبقي في فرنسا من ١٨٤٨ الى ١٨٥٠ » « ١٨ برومير ولويس بونابرت » مختارات ماركس وانجلز المجلد الأول ، موسكو ، ١٩٦٢ •

(٢) راجع الفصل الاخير من حرب الفلاحين في المانيا •

وبروسيا الفرصة للاسراع بوضع الملكيــة تحت سيطرتها بواسطــة الدين القومي ولكنها لم تستفد قط من هذه الفرصة ٠

وقــد قادت حرب عام ١٨٦٦ الى سقوط النمسا لقمة سهلــة البلع في شدق البورجوازية (١) ، ولكنها لاتعرف كيف تحكم ٠ انها عاجزة وغير قادرة على أي شيء ٠ انها لاتستطيع سوى شيء واحــد وهو مهاجمة العمال بوحشية عندما يبدأون في التحرك ٠ وهي لاتبقى في مركز القيادة الا لسبب واحد هو أن **الهنغاريين** Hungarians يحتاجون ذلك ٠

أما في بروسيا ؟ فقد زاد الدين القومي بطفرات وأصبح العجز في الميزانية صفة ثابتة ، وكانت مصاريف الدولة تزيــد من عام الى عــام وتمتلك البورجوازيــة الأكثرية في البرلــان ٠ ولايمكن زيادة الضرائب وعقد القروض دون موافقتهــا ــ ولكن أين سيطرتهــم على الدولة ؟ فمنذ شهور قليلة فقط ، عندما ظهر العجز المالي مرة أخرى وكانوا يحتلون موقعا مناسباً تماماً ، وكانوا يستطيعون لو عارضوا ولو شيئا **قليلا** أن يحصلوا على تنازلات ممتازة ٠٠ ولكن ماذا فعلوا؟ لقد اعتبروا سماح الحكومة **لهم** بأن يضعوا تحت أقدامها مايقرب من تسعة ملايين ، لا لمدة عام **واحد** بل **كل** عام ، بل وعلى مدى الأعــوام القادمة ، اعتبروا ذلك تنازلا كافياً ٠

انني لا أود لوم الاحرار القوميين المساكين (٢) في البرلمان بدرجة

(١) يشير انجلز الى الحرب البروسية ــ النمساوية عام ١٨٦٦ التي انتهت بهزيمة النمسا في موقعة سادوفا في ٣ تموز ١٨٦٦ مما أدى بحكام النمسا الرجعيين الى القيام بعدة اصلاحات بورجوازية (مثل دستور ١٨٦٧ ٠٠ الخ) ٠

(٢) الاحــرار القوميون ــ حزب البورجوازيــة الالمانيــة ــ البروسيــة اساساً ــ تكون في أواخر عام ١٨٦٦ بعد انقسام حزب البورجوازية التقدمية الذي كان يعارض حكومة اليونكرز التي كان يراسها بسمارك ٠ وكانت سياسة الاحرار القوميين تمثل استسلام البورجوازية الليبرالية الالمانية لبسمارك بعد أن نفذ برنامجها في توحيد المانيا من أعلى ٠

أكثر مما ينبغي • اني اعرف أن كتلة البورجوازية التي تقف وراءهم قد تخلت عنهم وتركتهم ليواجهوا المتاعب • ان هذه الكتلة **لاتريد** أن تحكم • انهـا ماتزال تحمـل ١٨٤٨ في اهابهـا • (يقصـد خوف البورجوازية • المترجم) •

أما لماذا يعتري البورجوازية الألمانية هذا الخوف المدهش فأمر سنناقشه فيما بعد •

وقد تأكدت صحة القضية السابقة تماماً في مجـالات أخرى • فابتـداء من عام ١٨٥٠ أخـذ دور الدويـلات يتناقص شيئاً فشيئـاً وأصبحت لاتعدو أن تكون أدوات للتآمر النمسـاوي أو البروسي ، وازدادت ضراوة المعارك بين النمسا وبروسيا من أجـل الاستئثـار والانفراد بالسلطة •

وقد أكدت ذلك أخيراً التسوية القسرية التي تمت في عام١٨٦٦ والتي احتفظت النمسا بموجبها بكل مقاطعاتها بينما أخضعت بروسيا لحكمها الشمال كله بشكل مباشر أو غير مباشر ، وتركت الدويلات الثلاث الواقعة في الجنوب الغربي مؤقتاً [١] •

وخلال هذا الانجاز الكبير للـدولة كان المهم بالنسبة للطبقـة العاملة الألمانية هو الآتي :

أولا : أن حق الانتخاب العام سمح للعمال أن يمثلوا بشكل مباشر في الجمعية التشريعية •

ثانيا ضربت بروسيا مثلا جيداً بابتلاع ثلاثـة تيجـان كان كل

---

(١) أصبح لبروسيا اليونكرز اليد العليا في المانيا بعد انتصارها في الحرب البروسية النمساوية • وأخذت في توحيد المانيا بطريقة غير ثورية تحت سيادتها • فبدلا من الاتحاد الألماني الذي سحق والذي لم يعمر الا قليلا خلقت الاتحاد الشمالي الألمـاني من ٢٢ دولة برئاسة بروسيا وذلـك بدون النمسا وبدون الدويـلات الألمانية الثلاث الواقعة في الجنوب الغربي (بافاريا ، بادن ، فيرتبرج وكذلك هس دارمشتات) التي ظلت خارج الاتحاد •

منها قائما بعون الله ورعايته (١) • فحتى القوميين الأحرار بعد تلك العملية لن يصدقوا الأمر اذا مازعمت بعد ذلك أو تاجها المصون مازال قائماً •

ثالثاً : يوجد الآن عدو واحد خطير للثورة في ألمانيا هو حكومة بروسيا • حكومة بروسيا •

رابعاً : سيكون الآن على الألمان ـ النمسويين أن يقرروا ماذا يريدون أن يكونوا ؟ ألماناً أم نمساويين ، هل يفضلون الالتحاق بألمانيا أم بتلك الجيوب الألمانية الواقعة عبر نهر الليثان • لقد أصبح من الواضح منذ زمن بعيد أن عليهم أن يختاروا بين واحدة منهما • الا أن هذا الموضوع كانت تطمسه دائماً ديمقراطية البورجوازية الصغيرة •

أما فيما يتعلق ببقية نقاط الخلاف المثارة والمتعلقة بعام ١٨٦٦ فقد استنفدت الى درجة **الغثيان** adnauseam بين القوميين الأحرار من ناحية وحزب الشعب (٢) من ناحية أخرى ، والأرجح أن أن تاريخ السنوات التالية سوف يثبت أن العداء المرير بين هذين الموقفين يرجع فقط الى كونهما القطبين المتضادين لنفس ضيق الأفق •

---

(١) اشارة الى مملكة هانوفر ومقاطعة هس ـ كاسل ، ودوقية ناساو التي ضمتها بروسيا عام ١٨٦٧ •

(٢) حزب الشعب أو حزب شعب ساكسونيا ، ويتكون أساساً من العناصر الديموقراطية البورجوازية ، والبورجوازية الصغيرة في الدويلات الألمانية الجنوبية وكانوا على عكس القوميين الأحرار يعارضون السيطرة البروسية ويتبعون شعار مايسمى « بألمانيا العظمى » التي تضم بروسيا والنمسا • وقد كان لحزب الشعب مع معارضته السليمة للنزعة البروسية اطماع رجعية ضيقة فانه اذ يطالب بشكل فيدرالي للدولة الألمانية يعارض في الواقع توحيد ألمانيا باعتبارها جمهورية ديموقراطية متكاملة ممركزة •

لم يغير عام ١٨٦٦ تقريباً شيئاً يذكر من الاحوال الاجتماعية في ألمانيا • فان الاصلاحات البورجوازية الضئيلة ، توحيد المكاييل والموازين ، حرية التنقل ، حرية العمل •• الخ • وهي كلها في الحدود التي تقبلها البيروقراطية لاتصل حتى الى **ماحصلت** عليه البورجوازية في دول غرب اوروبا منذ زمن بعيد • بينما تركت الوصمة الرئيسية دون مساس ، وهي نظام الوصاية البيروقراطي • أما بالنسبة للبروليتاريا فان كافة التشريعات الخاصة بحرية التنقل وحق التوطن ، والغاء تصريحات المرور •• الخ تصبح سراباً نتيجة سلوك رجال والغاء تصريحات المرور •• **الخ** et Cetera تصبح سراباً نتيجة سلوك رجال الشرطة •

أما الشيء الأعظم أهمية من العمل السياسي الكبير الذي كان يتم على مستوى رفيع عام ١٨٦٦ ، فهو نمو الصناعة الألمانية والتجارة والمواصلات والبرق والملاحة البحرية التجارية منذ عام ١٨٤٨ • ومهما تأخر هذا التقدم عن قرينه في انكلترا أو حتى في فرنسا خلال الفترة ذاتها ، فلم يسبق له مثيل في ألمانيا • فقد أنجز فيها خلال عشرين عاماً مالم ينجز من قبل خلال قرن من الزمن ، اذ أنه في ذلك الوقت فقط سيقت ألمانيا بجد وبشكل لايمكن التراجع عنه الى ميدان **التجارة العالمية** • وتضاعف رأسمال الصناعيين بسرعة ، وارتقى المركز الاجتماعي للبورجوازية بالتالي • وانتشر النصب والاحتيال ، العلامة المؤكدة للرخاء الصناعي ، وربط الكونتسات والدوقات بعجلته المظفرة • وينشيء الرأسمالي الألماني الخطوط الحديدية الروسية والرومانية ـ التي أمل أن لاتنتهي الى مأساة ـ بينما كانت السكك الحديدية الألمانية منذ خمسة عشر عاماً فقط تستجدي **المقاولين** enterpreneurs الانكليز مد خطوطها • فكيف تأتى اذن ألا تستولي البورجوازية على السلطة السياسية أيضا • وكيف تبدي هذا الجبن تجاه الحكومة ؟

انه من ســوء حظ البورجوازية الألمانية أنهــا وصلت متأخرة جداً ، كمــا هي العادة الألمانية المفضلــة ، فيجيء عهد ازدهارهــا في الوقت الذي تأفل فيــه شمس البورجوازيــة سياسيا في دول غرب اوروبا · ففي انكلترا لم تستطــع البورجوازية أن تشترك بممثلهــا الحقيقي ـ برايت ـ Bright في الحكومة الا عن طريق توسيــع حق الانتخاب، ذلك الحق الذي سيستتبع حتما انهاء حكم البورجوازية· وفي فرنسا لم تستطع البورجوازية كطبقة أن تحتفظ بسلطتها في ظل الجمهورية الا عامين فقط من ١٨٤٩ ـ ١٨٥٠ ولم تكن تستطيع الاستمرار في حفظ كيانها الاجتماعي الا بتسليم سلطتها السياسية للويس بونابرت Louis Bonaparte والجيش · ونتيجة لازدياد النضال بين انكلترا وفرنسا في ألمانيا ازدياداً هائلا ، وهي أكثر دول اوروبا تقدما لم يعد من الممكن اليوم للبورجوازية أن تأمن الى حكم سياسي ثابت في ألمانيا، بينما قد استنفد هذا الحكم صلاحيته في انكلترا وفرنسا ·

انها علامــة بارزة للبورجوازيــة بالذات ، على نقيض كافــة الطبقات الحاكمة السابقــة أنها تصــل في تطورها الى نقطــة تحول يصبح أي ازدياد بعدها في أدوات سيطرتها وفي مقدمتها رأس المال ، يميل بها أكثر فأكثر الى تعطيل قدرتها على الحكم السياسي «فخلف البورجوازي الكبير تقف البروليتاريا » behind The biy bowrgeois « Stand the Proletarians » فبقدر تنميــة البورجوازيــة لصناعتهــا وتجارتهــا ، ووسائل مواصــلاتها ، بقدر ماتنتــج عمالا · وعنــد نقطة معينة ـ لايلزم الوصول اليها في كل مكــان في نفس الوقت أو عند نفس المرحلة من التطور ـ تبدأ في ملاحظة أن توأمها البروليتاري يفوقها في النمو · ومنذ تلك اللحظــة تفقد القوة اللازمــة لكي تتولى السلطة السياسية بمفردها ، وتتلفت حواليها بحثاً عن حلفاء تشركهم في الحكم ، أوتتنازل لهم عن حكمها كله حسب الظروف ·

وقد وصلت البورجوازية في ألمانيا الى نقطة التحول هذه منذ عام ١٨٤٨ • والواقع أن البورجوازية الألمانيةلم‌تنزعج من‌البروليتاريا الألمانية قدر انزعاجها من البروليتاريا الفرنسية • فقد بينت معركة حزيران ١٨٤٨ في باريس للبورجوازية ماذا ينتظرها • وكانت البروليتاريا الألمانية تجيش بالحركة والاضطراب بحيث ثبت للبورجوازية أن البذرة التي ستعطي الغمار نفسه قد غرست‌في‌التربة الألمانية أيضا • ومنذ ذلك اليوم اختفت الحماسة من كافة الاجراءات السياسية للبورجوازية • وتطلعت البورجوازية حولها بحثاً عن حلفاء • وباعت نفسها دون اكتراث بالثمن ، وحتى اليوم لم تتقدم خطوة واحدة •

وهؤلاء الحلفاء جميعا رجعيون بالطبيعة • فهناك الملكية بجيشنا وبيروقراطيتها ، وهناك كبار النبلاء الاقطاعيين ، وهناك صغار اليونكرز من باعة الكرنب little Cabbage - Junlters وهناك حتى‌القسس • وأبرمت البورجوازية مع كل هؤلاء الاتفاقات والمساومات لتنقذ جلدها الغالي حتى لم يعد لديها في النهاية شيء تساوم عليه • وكلما نمت البروليتاريا ، وكلما بدأت تحس بنفسها كطبقة وتتصرف كطبقة ، كلما ضعف قلب البورجوازي • وعندما انتصرت الاستراتيجية البروسية المغرقة في السوء على الاستراتيجية النمسوية الأشد سوءاً في سادوفا Sadowa ، وكان من الصعب معرفة من كان منهما اكثر اغتباطاً من الآخر ، البورجوازية النمساوية أم البورجوازية البروسية التي اندحرت أيضاً في‌سادوفا •

ومازالت بورجوازيتنا الكبيرة في عام ١٨٧٠ تسلك مسلك الطبقة الوسطى من سكان المدن تماماًفي‌عام ١٥٢٥ • أما البورجوازية الصغيرة والحرفيون وأصحاب الدكاكين فسوف يبقون دائماً كما هم يأملون أن يتسلقوا ويحتالوا ليمهدوا طريقهم الى البورجوازية

الكبيرة ، ويخشون الانحدار الى صفوف البروليتاريا • وبين الأمل والخوف ينقذون خلال الصراع جلودهم،وينضمون الى المنتصر عندما ينتهي الصراع • هذه هي طبيعتهم •

لقد ماشى نشاط البروليتاريا السياسي والاجتماعي ازدهار الصناعة منذ عام ١٨٤٨ ، وان الدور الذي يقوم به العمال الألمان اليوم في نقاباتهم وجمعياتهم التعاونية واتحاداتهم السياسية واجتماعاتهم في الانتخابات ومايدعى الريخستاغ Reichstag لدليل كاف بحد ذاته على التحول الذي طرأ على ألمانيا خلال العشرين عاماً الأخيرة • وانه انتصار يسجل لصالح العمال الألمان **لأنهم وحدهم** قد نجحوا في ادخال العمال وممثليهم الى البرلمان وهو انتصار لم يحققه حتى الآن لا الفرنسيون ولا الانكليز •

ولكن حتى البروليتاريا لم تتجاوز بعد التشابه القائم بين عامي ١٥٢٥ ، ١٨٤٨ فالطبقة التي تعتمد على الأجر طوال حياتها اعتمادا كليا مازالت بعيدة عن أن تكون غالبية الشعب الألماني • ولذلك فهي مضطرة أيضا للبحث عن حلفاء • وهؤلاء لايمكن الا أن يوجدوا بين البورجوازية الصغيرة وحثالة البروليتاريا في المدن ، وصغار الفلاحين والعمال الزراعيين •

وقد تكلمنا عن **البورجوازية الصغيرة** Petty bourgeois فيماسبق، لايعتمد عليهم أبداً الا بعداحراز النصر ، عندما تشق صيحاتهم في مشارب البيرة عنان السماء ومع ذلك فهناك فئات جيدة بينهم تنضم الى العمال طواعية •

أما حثالة البروليتاريا Lumpenproletariat هذه النفاية من العناصر الفاسدة من كافة الطبقات والتي تعسكر في المدن الكبيرة فهي

أسوأ الحلفاء كافـة ، فهؤلاء الغوغاء غايـة في العهر والوقاحـة • واذا كان العمال الفرنسيـون قد كتبـوا على جدران المنـازل في كل ثورة : المـوت للصوص Mort aux Voleurs بـل ورموا بعضهـم بالرصاص فلـم يكن ذاك بدافـع من حماستهـم للملكية ، بل لأنهـم اعتبروا أنـه من الضـروري أن يبقوا هذه العصـابات على مبعـدة للنجاة منها ، وكل قائد للعمال يستخدم هؤلاء الأوغـاد كحراس أو يعتمد على معونتهم يثبت بذلك العمل وحده أنه خائن للحركة •

أما **صغار الفلاحين** Small peasants ـ فكبار الفلاحـين ينتمون الى البورجوازية ـ فيختلفون في النوع •

فهم **اما فلاحون تابعون للسيد الاقطاعي** مازال عليهم أن يؤدوا واجب السخـرة Corvée Services لسيدهم النبيـل ـ ولمـا كانت البورجوازية قد فشلت في القيام بواجبها في تحرير هؤلاء النـاس من القنانة، فلم يكون من الصعب اقناعهم أن خلاصهم لن يكون الا على يد الطبقة العاملة ـ واما فلاحون مستأجرون، وفي هذه الحالة يصبح الموقف في مجموعه كالموقف في ايرلندا • فالايجارات مرتفعة بحيث يستطيع الفلاح بعد لأي ـ اذا كان المحصـول عادياً ـ أن يوازي بـين دخله ونفقاتـه أما اذا كان المحصول سيئاً فهو يكاد يموت جوعاً ولا يستطيع دفع الايجار وبالتالي يجد نفسه تحت رحمة المالك • والبورجوازية لاتعمل شيئاً من أجل هؤلاء الناس الا اذا اضطرت لذلك فمن أين يتوقعون الخلاص ان لم يكن من الطبقة العاملة ؟ •

ويبقى الفلاحون الذين يزرعون بأنفسهم **ملكياتهم الصغيرة من الارض** • وفي معظم الحالات يكونون رازحين تحت أعبـاء الرهونات ويعتمدون على المرابي اعتماد المستأجر على مالك الارض • ولايتبقى لهم الا عائد ضئيل وهو فضلا عن ذلك غير مضمون طالما كانت هناك

سنوات جيدة المحصول وأخرى سيئة • وهؤلاء الناس خاصة ليس لديهم ماينتظرونه من البورجوازية ، لأن البورجوازية بالذات ، المرابين الرأسماليين ، هم الذين يمتصون دماءهم • ومع ذلك فان معظم هؤلاء الفلاحين يتمسكون بملكيتهم ولو أنها في الحقيقة ليست لهم بل للمرابي • ورغم ذلك فيجب أن يوضح لهم أنهم لن يتحرروا من المرابي الا عندما تقوم حكومة تستند على الشعب تحول كافة الرهونات التي يرزحون تحتها الى ديون على الدولة • وبالتالي تخفض نسبة الفائدة ، ولن يأتي هذا الا عن طريق الطبقة العاملة •

وحيثما تسود المزارع المتوسطة الحجم والكبيرة ، يكون **العمال الزراعيون** هم الذين يشكلون الطبقة الأكثر عدداً في الريف وهذا هو الوضع في شمال وشرق ألمانيا كلها • **وهناك** يجد عمال المدن الصناعيون **حلفاءهم الطبيعيين والأكثر عدداً** • ويعامل مالك الارض أو المؤجر الكبير العمال الزراعيين بالطريقة ذاتها التي يعامل بها الرأسمالي العامل الصناعي فنفس الاجراءات التي تعين هذا هي التي تعين ذاك • فالعمال الصناعيون لن يحرروا أنفسهم الا بتحويل ملكية رأسمال البورجوازي ، أي المواد الأولية والآلات والأدوات ووسائل العيش اللازمة للانتاج الى المجتمع أي الى ملكيتهم هم التي يستخدمونها على المشاع فيما بينهم • وبالمثل لن ينجو العمال الزراعيون من بؤسهم البشع الا عندما تنزع أولا ملكية الارض من أيدي الفلاح الكبير والأمراء الاقطاعيين وتحول الى ملكية للمجتمع وتزرعها الجمعيات التعاونية للعمال الزراعيين لحسابهم • ويؤدي بنا هذا الى القرار الشهير الذي اتخذه المؤتمر الدولي للكادحين في بازل Basle : انه من مصلحة المجتمع تحويل ملكية الارض الى ملكية عامة للأمة • وقد اتخذ هذا القرار أساساً من أجل البلاد التي توجد فيها ملكية كبيرة للارض ، وحيث

تدار هذه الملكيات بواسطة سيد واحد وعديد من العمال • وهذه الحالة هي الحالة المسيطرة عموما في ألمانيا، ولذلك فقد جاء هذا القرار **في أوانه الأكثر ملاءمة ودقة بالنسبة لانكلترا وألمانيا** • فالبروليتاريا الزراعية، عمال المزارع، أي الطبقة التي يجند منها القسم الأكبر لجيوش الامراء، هي الطبقة التي ترسل الى البرلمان بفضل الاقتراع العام الجانب الاعظم من امراء الاقطاع واليونكرز Junkers ولكنها أيضا هي الطبقة الاقرب لعمال المدن الصناعيين والتي تشاركهم ظروف معيشتهم والغارقة في البؤس عنهم • ان بعث الحياة في هذه الطبقة وجرها الى الحركة ـ تلك الطبقة العاجزة بسبب انقسامها وتشتتها، ومع ذلك فان الحكومة والنبلاء تقدر وتهاحق قدرها حتى أنهم يتركون المدارس تندثر عن عمد حتى تظل جاهلة ـ هو المهمة العاجلة والملحة لحركة العمال الألمان • انه منذ اللحظة التي تدرك فيها غالبية العمال الزراعيين مصالحها، يصبح من المستحيل قيام حكومة رجعية اقطاعية بيروقراطية أو بورجوازية في ألمانيا •

* * *

لقد كتبت الفقرة السابقة منذ أكثر من أربع سنوات، الا أنها مازالت صحيحة حتى اليوم • فما كان صحيحاً بعد سادوفا Sadowa وانقسام ألمانيا، يتأكد اليوم بعد سيدان Sedan وقيام الامبراطورية الألمانية المقدسة للأمة البروسية(١) • فما اقل مايمكن للأعمال السياسية

(١) يعني انجلز باعلان الامبراطورية الألمانية في ١٨ كانون الثاني ١٨٧١ في قصر فرساي الذي جعل من فلهلم الأول ملك بروسيا امبراطوراً لألمانيا وذلك بعد هزيمة نابليون الثالث في موقعة سيدان، ايلول ١٨٧٠ في الحرب الفرنسية البروسية ١٨٧٠ ـ ١٨٧١ • ولقد توج قيام الامبراطورية الألمانية وحدة ألمانيا في ظل اليونكرز البروسيين وفئة البيروقراطيين العسكريين •

الكبيرة التي تجري على مستوى عال « يهز العالم » في مجال مايسمى بالسياسة العليا أن تغير اتجاه الحركة التاريخية ٠

بل ان كل ماتستطيعه هذه الأعمال هو الاسراع بهذه الحركة ٠ ان مدبري « الأحداث التي تهز العالم » « World - shaking events » سالفة الذكر قد حققوا نجاحاً لم يقصدوه بل ويرفضونه رفضا ، ولكنه رغم ذلك نجاح يجب أن يقبلوه سواء كان « حلواً أو مراً » ٠

لقد هزت حرب عام ١٨٦٦ أعماق بروسيا القديمة ٠ ولقد استلزم الأمر بعد عام ١٨٤٨ مجهوداً كبيراً لاخضاع العناصر الصناعية الثائرة في المقاطعات الغربية للنظام القديم مرة أخرى سواء البورجوازية منها والبروليتارية ٠ الا أن ذلك قد تم وعادت مصالح اليونكرز في المقاطعات الشرقية لتصبح هي المسيطرة في الدولة بعد مصالح الجيش ٠ وفي عام ١٨٦٦ أصبح الشمال الغربي لألمانيا بروسيا كله ، واذا صرفنا النظر عن الأضرار المعنوية البالغة التي لحقت بالتاج البروسي القائم بعون الله ورعايته ، اذا صرفنا النظر عن ذلك ، نجد أن مركز الجذب في المملكة قد انتقل بدرجة عظيمة نحو الغرب ٠ فقد تدعم مركز سكان الراين ووستفاليا الذين يبلغ عددهم خمسة ملايين بأربعة ملايين من الألمان بطريق الضم المباشر ، ثم بستة ملايين بطريقة الضم غير المباشر بواسطة اتحاد شمال ألمانيا ٠ وفي عام ١٨٧٠ أضيف كذلك ثمانية ملايين من جنوب غرب ألمانيا بحيث وجد الاربعة عشر مليونا ونصف من البروسيين القدامى (١) أنفسهم مواجهين في الرايخ الجديد « New Reich » بخمسة وعشرين مليونا قد خرجوا منذ زمن عن نظام اليونكرز الاقطاعي البروسي القديم وهكذا فان انتصارات الجيش البروسي ذاتها قد بدلت أساس تركيب الدولة البروسية بأكمله وتزايد تسلط اليونكرز حتى أصبحت الحكومة نفسها عاجزة عن احتماله ٠ بينما أدى النمو الصناعي المتزايد في

---

(١) ست مقاطعات الالب الشرقية بالاضافة الى ٢ مليون بولندي ٠

الوقت ذاته الى أن يحل الصراع بين البورجوازية والعمال محل الصراع بين اليونكرز والبورجوازية وبذلك تبدلت أيضا الأسس الاجتماعية للدولة القديمة تبدلا تاما . لقد كان الشرط الاساسي لوجود الملكية – التي كانت تتآكل ببطء منذ عام ١٨٤٠ – هو الصراع بين النبلاء والبورجوازية ذلك الصراع الذي كانت الملكية تمسك بميزاته . ولكن منذ اللحظة التي لم تعد المسألة فيها هي حماية النبلاء من زحف البورجوازية ، بل حماية كافة الطبقات المالكة من زحف الطبقة العاملة ، كان على الملكية المطلقة القديمة أن تتحول تماماً الى شكل الدولة الذي ابتكر بسرعة لهذا الغرض وهو: الملكية البونابرتية . ولقد تناولت تحول بروسيا هذا الى البونابرتية في مكان آخر (١)

(١) يشير انجلز الى السطور التالية في الجزء الثاني من كتابه مسألة الاسكان (الذي نشر في ثلاث طبعات في ليبزيغ في ١٨٧٢ – ١٧٨٣) « وفي بروسيا – والوضع حاسم اليوم – توجد ارستقراطية من ملاك الارض لاتزال قوية والى جانبها بورجوازية ناشئة وشديدة الجبن لم تستطع حتى اليوم أن تكسب لا السلطان السياسي المباشر كما في فرنسا ولا السلطان غير المباشر بدرجة أو اخرى كما في انكلترا والى جانب هاتين الطبقتين توجد طبقة عاملة سريعة النمو عالية الثقافة تزداد تنظيماً يوما بعد يوم ولذلك فنحن نجد هنا الى جانب الشرط الاساسي للملكية المطلقة القديمة – وهو التوازن بين ارستقراطية الارض والبورجوازية – الشرط للبونابرتية الحديثة وهو التوازن بين البورجوازية والبروليتاريا . الا أنه في كل من الملكية المطلقة القديمة والملكية البونابرتية الحديثة تقع السلطة الحكومية الفعلية في يد فئة خاصة من ضباط الجيش وموظفي الدولة . وفي بروسيا تغذي هذه الفئة صفوفها من بين أبنائها أنفسهم ومن بين الفئات الدنيا من الارستقراطية ، وقلما تضم أحداً من البورجوازية . ويضفي استقلال هذه الفئة التي تبدو وكأنها تحتل مركزاً خارج المجتمع أو فوقه على الدولة مظهر الاستقلال عن المجتمع. ان شكل الدولة الذي نما في اضطراد ضروري في بروسيا (وسار على نهجه دستور الرايخ الجديد في المانيا) من هذه الظروف الاجتماعية المتناقضة هو الدستورية الزائفة . وهو شكل يضم في وقت واحد الشكل الحالي لتفكك الملكية القديمة وشكل وجود الملكية البونابرتية » « مسألة الاسكان – مختارات ماركس وانجلز المجلد الاول ، موسكو ١٩٦٢ ص ٦٠٥ » .

(مسألة الاسكان ، الجزء الثاني ص ٢٦) • ولكن الشيء الذي لم أؤكد عليه هناك ، ولكنه هام جداً هنا ، هو أن هذا التبديل كان أعظم تقدم قطعته بروسيا منذ ١٨٤٨ • فقد كانت كثيرة التخلف من ناحية الأخذ بأسباب التقدم • لقد كانت ولنكن على ثقة لاتزال دولة شبه اقطاعية بينما البونابرتية Bonapartism على أي حال هي شكل حديث من اشكال الدولة يفترض الغاء الاقطاع • ومن هنا فان على بروسيا أن تقرر النجاة من البقايا العديدة للاقطاع وأن تقضي على « اليونكرية » وهذا يتم بالطبع في أخف شكل ممكن ونغمة مفضلة •

مثلما حدث بالنسبة لقانون المقاطعات فهذا القانون يلغي الامتيازات الاقطاعية لليونكر الفرد في اقطاعيته ليعيدها كامتيازات لمجموع كبار الملاك على نطاق الاقليم كله ، ويبقى الجوهر الذي ترجم فقط من اللهجة الاقطاعية الى اللهجة البورجوازية • ان اليونكر البروسي القديم يجبر على التحول الى شيء مشابه للسيد الانكليزي ولم يكن يحتاج الى ابداء مقاومة لأن الأول غبي كغباء الثاني •

وهكذا قدر لبروسيا أن تنجز ثورتها البورجوازية ـ التي بدأت في عام ١٨٠٨ الى ١٨١٣ وتقدمت بدرجة ما في ١٨٤٨ ـ في الشكل البونابرتي اللطيف في أواخر هذا القرن ـ واذا سارت الامور على مايرام ، واستمرت الأوضاع لطيفة ومستقرة وتقدم بنا العمر بدرجة كافية فقد نعيش لنرى ـ ربما في ١٩٠٠ ـ حكومة بروسيا وقد ألغت فعلا كافة المؤسسات الاقطاعية ووصلت في النهاية الى النقطة التي كانت فرنسا تقف عندها في عام ١٧٩٢ •

ان الغاء الاقطاعية ، بعبارة جلية ، يعني اقامة الاوضاع البورجوازية ، فبسقوط امتيازات النبلاء يصبح التشريع بورجوازيا أكثر فأكثر • وهنا نصل الى عقدة العلاقة بين البورجوازية الألمانية

والحكومة . لقد رأينا أن الحكومة مضطرة لادخال تلك الاصلاحات البطيئة الصغيرة . وعلى أي حال في مواجهة البرجوازية ، فهي تصور كلا من هذه التنازلات الضئيلة كتضحية تقدم منها للبورجوازية ، كتنازل منتزع من التاج بصعوبة شديدة . ويجب على البورجوازية أن تقدم للحكومة شيئا في مقابله . ورغم أن البورجوازية تعي الحالة الحقيقية للأمور فانها تستسلم للخداع . وهذا هو أصل الاتفاق الضمني ، القاعدة الأصلية غير المعلنة لجميع مناقشات الريخستاغ والمجلس في برلين . فمن ناحية تعدل الحكومة القوانين بخطى بطيئة لصالح البورجوازية ، وتزيح العقبات الاقطاعية القائمة في طريق الصناعة - كما تزيح أيضا العقبات الناشئة من تعدد الدويلات الصغيرة ، وتسك عملة موحدة وموازين ومكاييل موحدة ، وتسمح بحرية انتقاء المهنة .. الخ وتضع قوة اليد العاملة الألمانية تحت التصرف المطلق لرأس المال بسماحها بحرية التنقل ومحاباتها للتجارة والاحتيال . ومن ناحية اخرى تترك البورجوازية السلطة السياسية الفعلية بكاملها في يد الحكومة وتصوت مع الضرائب والقروض وتجنيد الجيوش ، تساعد على وضع كافة القوانين الاصلاحية الجديدة بحيث يظل للبوليس سلطته القديمة كاملة ازاء الاشخاص غير المرغوب فيهم . ان البورجوازية تشتري تحررها الاجتماعي التدريجي بتخليها عن سلطانها السياسي . ومن الطبيعي أن يكون الدافع الرئيسي الذي يدفع البورجوازية لقبول مثل هذا الاتفاق الخوف من البروليتاريا وليس الخوف من الحكومة .

ومهما كانت تعاسة الدور الذي تقوم به بورجوازيتنا في المجال السياسي فلا يمكن انكار أنها أخذت أخيراً تقوم بواجبها فيما يتعلق بالصناعة والتجارة فان النمو الساحق للصناعة والتجارة

المشار اليه في مقدمة الطبعة الثانية ظل ينمو منـــذ ذلك الوقت بقوة أكبر • وان ماتم بهذا الصدد منذ ١٨٦٩ في منطقة الراين ـ وستفاليا الصناعية لم يسبق له مثيل في ألمانيا ، ويذكر المرء بالنهضة الصناعية في المقاطعات الانكليزية في بداية هذا القرن • وينطبق الشيء نفسه دون شك على ساكسونيا وسليزيا العليا وبرلين وهانوفر والمـدن الساحلية • كانت لدينا اخيراً تجارة عالمية وصناعــة كبيرة بالفعـل وبورجوازية حديثة حقاً ولكن في مقابل ذلك كان لدينا أيضا انهيـار حقيقي وكان لدينا بروليتاريا حقيقية وقوية •

سيعلق مؤرخ التاريــخ مستقبلا أهميــة أقل لتاريخ ألمانيـا ، سيكون ضجيج المعارك في سبيشرن Spichern ومارس ـ لا ـ تور Mars - la - tour وسيدان Sedan ، فيما بين عامي ١٨٦٩ ، ١٨٧٤ عن النمو المتواضع الهادىء ولكن المطرد للبروليتاريا الألمانية • فمنذ ١٨٧٠ تعرض العمال الألمان الى اختبار قاس وهو الاستفزاز الحربي من قبل بونابرت الثالث ونتيجة الطبيعة ألا وهي الحماسة الوطنية العامة في ألمانيا • الا أن العمال الاشتراكيين الألمان لم يترددوا لحظة واحدة ، فلم يظهر بينهم أي أثر للتعصب القومي وفي غمرة النشوة العارمــة بالنصر لم يضيعوا صوابهم وطالبوا « بصلح عادل مع الجمهوريـة الفرنسية ولا ضم ولا الحاق » ولم يستطع حتى قانون الاحكام العرفية أن يسد أفواههــم ، ولم يؤثر عليهــم مجد المعارك ولا الحــديث عن « العظمة الامبراطورية » الألمانية بل ظل هدفهــم الوحيد هو تحرير البروليتاريا الاوروبية كلها • ويمكن أن نؤكد أن العمال لـم يمروا بمثل هذا الاختبار القاسي في أي بلد آخر ولم يؤدوا واجبهم بهــذا الشكل الرائع •

وأعلنت الاحكام العرفية خلال الحرب وجرت محاكمات بتهمة

الخيانة ، وقذف الذات الملكية lèse Majeste واهانـة الموظفـين العاملين وازدادت كافة الألاعيب البوليسية المعروفة خلال زمن السلم، فكان من المعتاد أن يكون ثلاثة أو أربعـة من رؤساء تحرير صحيفـة دولة الشعب Volksstaat في السجن في وقت واحد ، وكان الأمر كذلك بالنسبة للصحف الأخرى • كما الأعضاء البارزون في الاحزاب المختلفة يحاكمون مرة في العام على الأقل وكانوا غالباً مايدانون وانثالت أحكام النفي والمصادرة وحل الاجتماعات بالقوة ولكن عبثا • فما يكاد ينفى واحد أو يقبض عليه حتى يحل محله غيره وما أن يحل اجتماع حتى ينعقد بدله اثنان، وهكذا فرض النظام الحازم وشدد البوليس قبضته الحديدية في كل مكان • وكان لكل هذا الاضطهاد أثر مضاد فلقد كان أبعـد مايكون عن تحطيم حزب العمال أو حتى لوي ذراعـه ، بل أدى الى استمرار الأعضاء تحت لوائه وتدعيم تنظيمه • لقد أظهر العمال خلال نضالهم ضد السلطات وضـد الأفراد البورجوازيين كذلك تفوقهـم المعنوي والفكري ، وأثبتوا خاصة في معاركهم مع من يسمون «مقاولي الأعمال» « Providers of work » أنهم أي العمال، هم الان الطبقة المتعلمة وأن الرأسماليين هم الجهلة • وأنهم يمضون معظم الوقت بروحهم المرحة، التي تثبت بجلاء مدى ايمانهم بقضيتهم ومدى وعيهم بتفوقهم • وان نضالا كهذا يدور على ارض ممهدة تاريخيا لابد أن يقطف ثماراً طيبة• وان انتصارات انتخابات كانون الثاني تبرز فريدة في تاريخ حركـة العمل الحديثة ، كما أن الدهشـة التي أثارتها في طـول اوروبا وعرضها هي دهشة مبررة •

يتفرد العمال الالمان بميزتـين هامتين دون عمال بقية اوروبا • الميزة الاولى أنهم ينتمون الى اكثر شعوب أوروبا تعلقـا بالنظريات وأنهـم يحتفظون بذلك الحس النظري الذي كادت أن تفقـده تماماً ماتسمى « بالطبقات المتعلمـة » في ألمانيا • ان الاشتراكية العلميـة

الألمانية — وهي الاشتراكية العلمية الوحيدة التي وجدت على الاطلاق — ماكان يمكن أن توجد دون الفلسفة الألمانية التي سبقتها وخاصة فلسفة هيغل . فبدون حس العمال النظري للاشتراكية العلمية ما كان لهذه الاشتراكية العلمية أن تتسرب الى لحمهم ودمهم كما هو الحال. وتظهر قيمة هذه الميزة الكبرى بالنظر الى اللامبالاة تجاه النظريات كافة ، هذه اللامبالاة التي تعتبر أحد الاسباب الرئيسية في أن حركة العمال الانكليزية تزحف ببطء رغم التنظيم الرائع لكل نقابة على حدة ، وبالنظر كذلك الى الاثر السيء والبلبلة التي سببتها **البرودونية** Proudhonism في شكلها الأصلي بين الفرنسيين والبلجكيين ، وفي الشكل الذي مسخه باكونين Bakunin بين العمال الاسبان والايطاليين .

والميزة الثانية هي أن العمال الألمان هم آخر من دخل الحركة العمالية من الناحية الزمنية . وكما أن الاشتراكية النظرية لن تنسى قط أنها قامت على اكتاف **سان سيمون** Saint - Simon **وفورييه** Fourier **وأوين** Owen ، ثلاثة رجال، رغم كل مفاهيمهم الخيالية وكل طوباتهم ، يقفون بين أعظم المفكرين في كل العصور والذين تنبأت عبقريتهم بالكثير **مما** نثبت نحن الآن صحته علمياً . فكذلك يجب على الحركة العلمية للعمال **في** ألمانيا ألا تنسى قط ، أنها نمت على اكتاف **الحركتين الانكليزية والفرنسية** ، وأنها استطاعت ببساطة أن تستفيد من خبراتهم **التي** كلفتهما غالياً وتستطيع الآن أن تتجنب أخطاءهما ، تلك الأخطاء **التي** كان يصعب تجنبها في زمانهم . فبدون التجربة السابقة لنقابات العمال الانكليزية . ومعارك الفرنسيين السياسية بدون **الدفعة الضخمة التي** سببتها كومونة باريس ، أين كنا نقف اليوم ؟

ويجب أن يقال ايفاء لحق العمال الألمان أنهم استفادوا من مميزات وضعهم بفهم نادر المثال ، فلأول مرة منذ قيام **حركة عمالية يخوض**

العمال النضـال بجوانبه الثلاثـة النظري والسيـاسي والعملـي الاقتصادي (مقاومة الرأسماليين) في تناسق وترابط وبشكل منظم· أن قوة ومناعة حركة العمال الألمان تكمن بالتحديد في هـذا الهجوم المركـز ·

وقد تصدر العمال الألمـان حالياً مركز الطليعـة في النضـال البروليتـاري نتيجة لهـذا الوضع الممتـاز من ناحية ، وللسمـات الانعزالية للحرية الانكليزية وقمع الحركة الفرنسية بالقوة من ناحية أخرى · أما الى متى تسمح الاحداث لهم باحتلال هذا المركز المشرف فأمر لايمكن التنبؤ به ولكن فلنأمل أنهم سيملأون هذا المكان بجدارة ماداموا موجودين فيه · وهذا يتطلب جهوداً مضاعفة في كافة مجالات النضـال والاثارة وسيكون واجب القـادة على وجـه الخصوص أن يكتسبـوا نظرة تزداد وضوحا في كافـة المسائل النظريـة · وأن يخلصوا أنفسهم اكثر فأكثر من سلطان العبارات التقليدية الموروثة عن النظرة القديمة للعالم وأن يتذكروا على الدوام أن الاشتراكيـة بعد أن أصبحت علماً ينبغي متابعتها كعلم ، أي دراستها · وستكون مهمتهم نشر الفهم المكتسب عن هذا الطريق والذي يزداد وضوحاً ، بين جماهير العمال بحماسة متزايدة ، وأن يثبتوا دعائم التنظيم في كل من الحزب والنقابات· ومع أن الاصوات التي نالها الاشتراكيون في كانون الثاني لابأس بها ، الا أنهم مازالوا بعـيدين عن أن يكونوا أغلبية الطبقة العاملة ، ومهما كانت الانتصارات التي نالتها الدعاية بين الفلاحين فمازال هناك الكثيرمما يجبعملهفي هذا الميدان بالذات· ومن هنا يجب ألا نتهاون في النضـال وأن ننتزع من العدو مدينـة وراء الاخرى ودائرة وراء الاخرى ، والامر الجوهري هو الحفاظ على الروح الاممية الحقة التي لاتسمح بأي شوفينية قومية والتي ترحب

بكل تقدم جديد للحركة البروليتارية أيا كانت الأمة التي تحرزه ٠ ان العمال الألمان اذ تقدموا بهذا الشكل فانهم لم يكونوا بالضبط على رأس الحركة ـ فليس من صالح هذه الحركة اطلاقا أن يكون عمال بلد بعينه على رأسها ـ ولكنهم سوف يشغلون مكانة جليلة في خط النار ٠ وسوف يقفون مستعدين للمعركة عندما تنشب مآس غير متوقعة أو وقائع كبيرة ، تستدعي منهم مزيداً من الشجاعة ومزيداً من الهمة والنشاط ٠

لندن : أول تموز ١٨٧٤ **فريدريك انجلز**



فلاح ثوري يحمل راية

يملك الشعب الألماني أيضا تراثه الثوري ، فقد مضى وقت أنجبت فيه ألمانيا شخصيات تبز أعظم الرجال في ثورات البلاد الأخرى في ذلك الحين أظهر الشعب الألماني صلابة وقوة لو وجدت في أمة ممركزة لجنبت أروع النتائج ، عندما كانت أذهان الفلاحين والعامة الألمان مليئة بالافكار والخطط التي كثيراً ما بعثت الرعشة في قلوب أبنائهم .

ولقد سنحت الفرصة مرة أخرى - في مواجهة النكسة التي اعقبت عامين من النضال - لكي تقدم للشعب الألماني قادة حرب الفلاحين الكبرى ، تلك الشخصيات التي كانت رغم خشونتها قوية وعنيدة . لقد انقضت ثلاثة قرون وتبدل الكثير من الاشياء الا أن حرب الفلاحين لاتزال مرتبطة بنضالنا الحالي ، ومازال الاعداء الذين يجب أن نحاربهم هم أساساً نفس الأعداء . فالطبقات وأجزاء الطبقات التي خاضت في كل مكان ثورة ١٨٤٨ - ١٨٤٩ تقوم بنفس الدور منذ عام ١٥٢٥ ، ولو أنهم كانوا يومئذ على درجة أقل من التطور . ان روح العنف القوية لحرب الفلاحين التي توضحت هنا وهناك خلال تحركات الاعوام الماضية في اودنفالد ، Odenwald الغابة السوداء ، The Blacit Forest سيليزيا Silesia لاتعود الى انتفاضة ١٨٤٨ انما ترجع الى أبعد من ذلك .

دعونا أولا نراجع بسرعة الوضع في ألمانيا في أوائل القرن السادس عشر .

- ١ -

نالت الصناعة الألمانية تقدماً معتبراً في القرنين الرابع والخامس عشر . فقد كانت الصناعة الاقطاعية المحلية في الريف يسيطر عليها نظام الفئات الصناعية في المدن . وأصبح هذا النظام ينتج

الاوساط أعرض وأسواق أكثر • وأصبح نسيج الأقمشة الصوفية والكتانية الخشنة فرعا صناعيا وطيداً ومنتشراً ، بل ان الاقمشة الصوفية والكتانية الناعمة الحريرية كانت تصنع في «أوجزبرغ» • والى جانب فن النسيج تطورت تلكالفروع من الصناعة التي تكاد تكون فنونا جميلة والتي كان يطورها جو الابهة الديني والدنيوي الذي كانت تتميز به العصور الوسطى المتأخرة مثل صياغة الذهب والفضة ، والنحت والحفر ، والخراطة والحفر على الخشب ، وصناعة الدروع والميداليات الخ•وقد قادت سلسلة من الاكتشافات الهامة والتي كان أبرزها اختراع البارود (١) والطباعة الى المساهمة بدرجة كبيرة في تطور المهن الفنية ، ولازمت التجارة الصناعة • فعن طريق احتكار الملاحة الذي دام قرنا من الزمان استطاع مجلس الهانسياتيك (٢) Hanseatic League أن يخرج شمال ألمانياكله من بربرية العصور الوسطى،وذلك رغم أن مجلس الهانسياتيك كان قد بدأ يتدهور أمام منافسة الانكليز والهولنديين بعد نهاية القرن الخامس عشر • وبقي طريق التجارة الكبير من الهند الى الشمال يعبر بألمانيا على الرغم من كشوفات فاسكودي غاما Vasco da Gama

وظلتأوجزبرغ Augsburg سوقاً كبيرة للحرير الايطالي والتوابل

---

(١) أصبح من المقرر الآن أن البارود وصل الى العرب عن طريق الهند من الصين، وأنهم ادخلوه الى أوروبا عن طريق اسبانيا مع الاسلحة النارية • **ملاحظة من انجلز في طبعة ١٨٧٥** •

(٢) مجلس الهانسياتيك ـ هو اتحاد بين المدن الألمانية في العصور الوسطى وهي المدن الواقعة على سواحل بحر الشمال وبحر البلطيق والانهار التي تصب فيهما • وقد اتخذ هذا الاتحاد شكلا محددا في النصف الاخير من القرن الرابع عشر وكانت ابرز مدن هذا الاتحاد هي هامبورغ ولوبيك وبرلين •

الهندية وكافة المنتجات الشرقية • وكانت مدن ألمانيا العليا وخاصة نورمبرغ وأوجزبرغ مراكز للثروة والفخامة المشهورة في ذلك الوقت • كما زاد انتاج المواد الخام أيضا بدرجة محسوسة وكان عمال المناجم الألمان في القرن الخامس عشر من أمهر عمال المناجم في العالم وتجاوزت الزراعة الشكل البدائي الذي كانت عليه في بداية العصور الوسطى وذلك بفضل ازدهار المدن • فلم تزرع مساحات كبيرة من الارض فحسب بل ادخلت أيضا زراعة المحاصيل المستخدمة في الصباغة وغيرها من النباتات المستوردة التي كان لزراعتها بعناية أثر طيب على الزراعة عامة •

واضافة الى ذلك فان تطور الانتاج القومي وتقدمه في ألمانيا لم يكن بنفس الخطى التي سار بها في غيرها من البلدان ، فقد كانت الزراعة متأخرة جداً عن مثيلتها في انكلترا وهولندا ، كما كانت الصناعة متخلفة جداً عن مثيلتها الايطالية والفلمنكية والانكليزية • أما في ميدان التجارة البحرية فقد كان الانكليز والهولنديون بالذات يبعدون الألمان عن هذا النطاق • وكان عدد السكان لايزال قليلا جداً ، كانت الحضارة في ألمانيا لاتوجد الا في اماكن متفرقة وتتركز حول المراكز الصناعية والتجارية المعدودة ، وكانت مصالح هذه المراكز تفترق عن بعضها بشكل واسع دون أي التقاء فيما بينها • فكانت العلاقات التجارية واسواق التصدير في الجنوب تختلف كلية عن مثيلاتها في الشمال ، بينما كان الشرق والغرب بعيدين عن كافة وسائل المواصلات • فلم تنمو مدينة واحدة بدرجة تجعلها مركز الثقل الصناعي والتجاري للبلاد كلها مثلما كانت لندن بالنسبة لانكلترا ، وكانت المواصلات الداخلية مقتصرة تقريبا على الملاحة بجوار الساحل والملاحة النهرية وعلى الطرق التجارية الرئيسية

القليلة من أوجزبرغ ونورمبرغ عبر كولونيا الى هولندا ، وعبر ايرفورت الى الشمال • وبعيداً عن الأنهار وطرق التجارة كان عدد من المدن الصغرى التي كانت تقع خارج خطوط المواصلات الرئيسية واستمرت على حالها في ظروف العصور الوسطى ، ولم تكن بحاجة الا الى القليل من البضائع الاجنبية كما كانت لاتنتج الا القليل مما يمكن تصديره •وكان النبلاء وحدهم هم من دون سكان الريف جميعا الذين اتصلوا بدوائر أوسع وازدادت لديهم احتياجات جديدة ، أما جماهير الفلاحين فلم تتعد قط حدود العلاقات المحلية الضيقة وما يستتبعها من نظرة محلية ضيقة ••

وبينما كان لنشوء التجارة والصناعة في انكلترا وفرنسا أثره في صهر مصالح البلاد كلها واقامة التمركز السياسي بالتالي ، لم تنجح ألمانيا الا في أن تجعل المقاطعات توحد مصالحها حول مراكز محلية مما أدى الى الانقسام السياسي،وهو انقسام سرعان ماأصبح عاماً بسبب انعزال ألمانيا عن حركة التجارة العالمية • وعندما كانت **الامبراطورية الاقطاعية الخالصة** تنهار تفككت روابط الوحدة الامبراطورية وأصبح الامراء الاقطاعيون الرئيسيون ملوكاً مستقلين تقريباً ، بينما دخلت مدن الامبراطورية من ناحية وفرسان الامبراطورية من ناحية أخرى في أحلاف ضد بعضهم البعض أو ضد الأمراء أوضدالامبراطور• ولما كانت الحكومة الامبراطورية غير واثقة من مركزها فقد تأرجحت بين مختلف العناصر المكونة للامبراطورية وبالتالي فقدت سلطتها أكثر فأكثر • ورغم كافة مؤامراتها وجدتها فان محاولة ايجاد نظام مركزي للدولة على طريقة لويس الحادي عشر لم تفعل اكثر من أن تحافظ على وحدة الاراضي النمسوية

الموروثة (١) **أما الامراء** ممثلو التمركز المحلي الاقليمي في ظل تفكك الامبراطورية والذين كان الامبراطور يتحول تدريجيا بجانبهم الى أمير مثلهم ، فقد خرجوا في النهاية منتصرين من هذه الاصطدامات المتصارعة العديدة ٠

وفي ظل هذه الظروف فان موقع الطبقات التي انحدرت عن العصور الوسطى قد تبدل كبيراً وحلت طبقات جديدة مكانها بجانب الطبقات القديمة ٠

كان **الامراء** ينحدرون من الارستقراطية الكبيرة وكانوا مستقلين تقريباً عن الامبراطور ولهم معظم الحقوق الملكيـة ، فكانوا يشنون الحروب ويعقدون الصلح حسب مايرون ولهم جيوش ثابتة ويعقدون المجالس النيابيـة ويفرضون الضرائب ٠ وأخضعوا لنفوذهم جزءاً كبيراً من صغار النبلاء ومن المدن ٠ ولجأوا دون هوادة الى كافة الوسائل ليضموا داخل سلطانهم كافة المدن الامبراطورية الباقيـة واقطاعيات البارونات ٠ وبينما كانوا يقومون بتجميع هذه المدن والاقطاعيات حولهم كانوا عاملا مضاداً للمركزية بالنسبة للسلطة الامبراطورية وكان حكمهم في الداخل أوتوقراطيا مستبـداً ٠ وكانوا لايعقدون مجـالس الولايات الا مكرهين وكانـوا يفرضون الضرائب ويقتضون النقود في الوقت الذي يلائمهم ، ونادراً ماكان يعترف بحق مجالس الولايات في اقرار الضرائب كما كان نادراً مايمارس ، وحتى

---

(١) الاراضي المملوكة مباشرة للبيت المالك النمسوي ٠ فقد كانت اسرة هابسبورغ قرب القرن السادس عشر تحكم كـلا من النمسـا العليـا والسفلى والتيرول وعدداً من الاراضي على ضفة الراين الاعلى واراضي السلاف ودوقيات ستيريا وكارنيثيا وكارنيولا ٠ ومنذ عام ١٥٢٦ امتد حكمهـم حتى شمل مملكة التشيك وجزءاً من هنغاريا ٠

في حالات مماسته كان الأمير يستطيع عادة الحصول على الأغلبية بفضل الفرسان ورجال الدين وهما الطبقتان اللتان لم تكونا تدفعان الضرائب وتشاركان فقط في الاستفادة منها • وكانت حاجة الامراء الى المال تزداد مع نمو حبهم للرفاه واتساع بلاطهم وجيوشهم الثابتة وازدياد نفقات الادارة وبذلك تزايدت أكلاف الضرائب بصورة مضطردة • وكانت للمدن امتيازات تعفيها في الغالب من الضرائب التي وقع ثقلها الأكبر على عاتق الفلاحين من رعايا الامراء وكذلك الأقنان والعبيد Bondsmen والفلاحين Coppyholders التابعين للفرسان الاقطاعيين الذين ينتمون بدورهم الى هؤلاء الامراء • وعندما كانت الضرائب المباشرة لاتفي بالحاجة ادخلت الضرائب غير المباشرة واستخدمت ضروب عديدة من التمويل لملء الخزانة • وعندما نضب معين الامراء ، ولم يعد هناك أي شيء يرهن ولاتوجد مدينة امبراطورية واحدة راغبة في اقراضهم المزيد من المال لجأوا الى عمليات مالية من أحط مايمكن • فصكوا نقوداً منخفضة القيمة وفرضوا لها أسعاراً تبادلية عالية أو منخفضة حسب مصلحة خزائنهم • وفضلا عن ذلك تاجروا بامتيازات المدن، وكانوا يسحبونها بالقوة ليعيدوا بيعها بأسعار أعلى ، واستخدموا كل محاولة للمعارضة ذريعة للسرقة والاغتصاب والسلب الخ • لقد كانت هذه الطرق مربحة ومصدراً شائعاً للدخل لأمراء تلك الايام ، وكانت العدالة لديهم تجارة قائمة • موجز القول أنه كان على رعايا تلك الايام أن يشبعوا جشع عمال الامراء وموظفيهم وأن يتمتعوا بكافة البركات « الأبوية » لنظام الحكم •

---

(١) Coppyholders الفلاحون الذين يتمتعون بحريتهم الشخصية ولكنهم يرغمون على أداء ايجار الاعفاء للاراضي التي يملكونها اسم كما أن عليهم التزامات أخرى قبل سادتهم الاقطاعيين •

أما الفئـة الوسطى من النبلاء في السلم الاجتمـاعي الاقطاعي للعصور الوسطى فقد اختفت تماماً تقريباً • فاما ارتفعت الى مرتبة صغار الامراء المستقلين أو انحـدرت الى صفوف نبالة أقـل • وكان

صغارالنبلاء أو الفرسان « The lesser Nobility, or Knighthood »

هؤلاءفي طريقهم السريع الى الاندثار • فقد حل الفقر بالقسم الاكبر منهم وكانوا يقتاتون من خدمة الامراء في مناصب عسكرية أو مدنية ،وظل فريق آخر تحت حماية الامراء وحكمهم ،وفريق ثالث صغير كان تابعا مباشراً للامبراطور •وكان لتقدم العلوم العسكرية وازدياد أهمية المشاة والتحسن الذي طرأ على الأسلحة النارية أثره في اضعاف المزايا الحربية لهؤلاء الفرسان • كما وضعت حداً لمناعة حصونهم • لقد أدى تقدم الصناعـة الى أن يكون الفرسان فئة عديمة الجدوى تماماً كمـا حدث لارباب الحرف في نورمبرغ • وعجلت حاجة الفرسان الى المال بدمارهم ، فقد كانت مصاريف قصورهم الفخمة وتنافسهم في المظاهر في حفلات المبـارزة والأعياد ، وأثمان الاسلحة والخيل تزداد بازدياد التقدم الاجتماعي، بينما لم يزد دخل الفرسان والبارونات الا قليلا هذا اذا زادت على الاطلاق • وبمرور الوقت أصبحت الغارات التي يشنها الفرسان على الاقطاعيات وما يصاحبهـا من النهب والسلب وقطـع الطريق على سكانها ، وغير ذلك من أعمال النبلاء أمراً شديد الخطورة • وكانت الأتاوات والخدمات التي يؤديها الرعايا لاتكاد تكفي مطالبهم ، وكان على الفرسان الكرام لكي يشبعوا حاجاتهم المتزايدة أن يلجأوا الى نفس وسائل الامراء • وهكذا نهب النبلاء الفلاحين بمهارة تزداد من عام الى عام ، فامتصوا دماء الاقنـان وحملوا العبيد أعبـاء تتزايد باستمرار بمختلف الحجـج وفي كل الظروف الممكنـة : السخرة ،

الضرائب ، ريع الأرض ، ضرائب بيع الأرض وضرائب التركات (١) ورسوم الحماية .. الخ • كما كانت كل فئات هذه الانواع تزداد حسب رغبتهم ورغم الاتفاقيات القديمة • ولم يكن للعدالة مكان ، أو كانت تباع بالنقود • وحيثما كان الفارس يفشل في الحصول على أموال الفلاح كان يلقيه في سجن قلعته بصمت ويرغمه على دفع الفدية •

وكانت علاقة صغار النبلاء بغيرهم من الطبقات غير ودية • فكان الفرسان المرتبطون بالامراء يحاولون أن يصبحوا فرسانا للامبراطورية ، بينما كان فرسان الامبراطورية يحاولون الاحتفاظ باستقلالهم مما أدى الى اصطدامات دائمة بينهم وبين الامراء • وكان الفرسان يعتبرون رجال الدين المتكبرين في تلك الايام طبقة عديمة الجدوى وكانوا يحسدونهم على ممتلكاتهم الشاسعة وبقاء ثرواتهم سليمة نتيجة لقوانين الكنيسة ولأنهم لايتزوجون • وكان الفارس في عراك دائم مع المدن فقد كان مدينا لها ، وكانت معيشته قائمة على سلب اراضيها ونهب تجارها وحبس سكانها الذين كان يأسرهم خلال غزواته مقابل الفدية • وازدادت شدة نضال الفرسان ضد كافة هذه الطبقات كلما أصبحت مسألة حصولهم على المال مسألة حياة بالنسبة لهم •

---

(١) ضريبة التركات Tojfall Sterbcfall وهي الضرائب التي كانت تفرض على الارث بحكم حق السيادة الاقطاعية على الارض وعلى أملاك الفلاح المتوفي (وتسمى في فرنسا « حق اليد الميتة ») • وفي ألمانيا كان السادة الاقطاعيون يأخذون من الورثة خير ماشيتهم • أما ضريبة الحماية فهي ضريبة كان يفرضها السيد الاقطاعي مقابل « الحماية القانونية » و « الرعاية » التي كان يدعي أنه يبسطها على رعاياه •

أما رجال الدين Clergy حاملو ايديولوجية العصور الوسطى الاقطاعية فلم يكن احساسهم بالتغير التاريخي أقل حدة • فقدحرمتهم الطباعة وانتشار التجارة من احتكارهم للقراء والكتابة وللتعليم العالي أيضاً وأدى تقسيم العمل الى تقلص نفوذهم كذلك داخل مملكة العمل الذهني ، فقد ازاحت فئة رجال القانون التي نشأت حديثا رجال الدين من عدد من المراكز المؤثرة التي كانوا يشغلونها وبدأ رجال الدين يفقدون أهميتهم واعترفوا هم أنفسهم بهذا الوضع بتزايد خمولهم وجهالتهم • وكلما قلت جدواهم ازداد عددهم بفضل الثروات الهائلة التي كانوا لايزالون يعملون على تنميتها بكافة الوسائل •

وكانت هناك فئتان متمايزتان بين رجال الدين فكانت المراتب العليا الاقطاعية من رجال الكنيسة هي الطبقة **الارستقراطية :** الاساقفة ورؤساء الاساقفة ، ورؤساء الاديرة والمطارنة وغيرهم من كبار رجال الكنيسة وكانت هذه الشخصيات الكنسية الكبيرة نفسها اما أمراء امبراطوريين واما يمدون سلطانهم كالامراء الاقطاعيين على مساحات شاسعة من الارض تشمل عديداً من الاقنان والعبيد في ظل سيادة غيرهم من الامراء • ولم يكونوا يستغلون تابعيهم بلا شفقة كالفرسان والامراء بل كانوا أبعد شأواً منهم • فالى جانب استخدامهم للقوة الغاشمة كانوا يستخدمون كافة اساليب استغلال الدين ، والى جانب الخوف من السوط كان هناك الخوف من الحرمان ورفض التوبة • وكانوا يستخدمون كافة مؤامرات الاعتراف لكي يسحبوا آخر قرش من رعاياهم أو ليزيدوا نصيب الكنيسة • وكان تزوير الوثائق وسيلة شائعة ومحببة للاحتيال عند هؤلاء الافاضل • ورغم أنهم كانوا يتلقون العشور من رعاياهم بالاضافة الى الواجبات الاقطاعية المعتادة وريع الارض ، فقد كانت

حاجتهم الى المال لاحد لها وكانوا يلجأون الى تلفيق الصور المقدسة والتمائم صانعة المعجزات ويقيمون بيوت الصلاة المقدسة ويتاجرون في صكوك الغفران ، كل هذا لكي يعتصروا اكثر مايمكن من المال من الشعب ، ولقد صادفوا في هذا السبيل نجاحاً لمدة طويلة من الزمن ٠

ومع انتشار مطاردة الزنادقة السياسيين والدينيـين تركزت كراهية الشعب بل والنبلاء على كبار رجال الكنيسة هؤلاء وجيشهم من الرهبان الذي كان يتزايد باستمرار ٠ اذ كانـوا يقفون عائقاً في وجه الامراء لكونهم خاضعين مباشرة للامبراطور ٠ وكانت حياة اللذة والترف التي يحياها الاساقفة ورؤساء الأديرة وجيشهم من الرهبان تثير حسد النبلاء وغضب الشعب الذي كان عليه أن يتحمل نفقتها ٠ وكلما ازداد غضب الشعب ازداد التناقض بـين عظات رجال الـدين وأفعالهـــم ٠

أما القسم الثاني من عامة Plebeian رجـال الكنيسة فقـد كان يتألف من وعاظ القرى والمدن ٠ وكان هؤلاء يقفون خارج دائرة السلم الاجتماعي الاقطاعي ، كما لم يكن لهم نصيب في ثرواتها ٠ ولما كان عملهم أقل خضوعا للرقابة فقد كان الاهتمام به عندئذ – رغم أهميته للكنيسة – أقل بكثير من الاهتمـام بالخدمات البوليسيـة للرهبان المحتشدين في الاديرة ، تلك الخدمات التي لم يكن من الممكن الاستغناء عنها وكانت رواتبهم لذلك أقل بكثير اذا ماقورنوا بالرهبان ٠ وكانت التبرعات التي يجمعونها ضئيلة للغاية ٠ ولما كانوا من أصل عامي أو من أبنـاء المدن فقد كانـوا أقرب الى حياة الجماهـير واحتفظوا بعواطفهم مع العامة وأهالي المدن رغم موقعهم الديني ٠ وبينما كان من النادر أن يقوم الرهبان بدور في حركات عصرهم كانت القاعدة أن تقوم فئة العامة من رجال الكنيســة بذلك الدور ٠ فأمدوا الحركـة بالمنظرين والايديولوجيين والمفكرين ومات الكثير منهم ممثلين للعامة

والفلاحين على حبل المشنقة،ولم ينصب غضب الشعب عليهم كممثلين لرجال الكنيسة الا في حالات نادرة ٠

وكان **البابا** بالنسبة لرجال الاكليروس من المراتب العليا أو الدنيا كالامبراطور بالنسبة للامراء والنبلاء ٠ وكما كان الامبراطور يتلقى الضرائب الامبراطورية كان البابا يتلقى **الضرائب الكنسية العامة** التي ينفق منها على أبهة البلاط الروماني ٠ ولم تكن هذه الضرائب الكنسية – تجبى بمثل الدأب والشدة التي كانت تجبى بها التي كانت تجمع عندما تمنح الاسقفيات٠ادت الاحتياجات المتزايدةالى بفضل قوة وعدد رجال الاكليروس وخاصة المدفوعات السنوية التي كانت تجمع عندما تمنح الاسقفيات ٠ وادت الاحتياجات المتزايدة الى ابتكار وسائل جديدة لزيادة الدخل مثل المتاجرة بالتمائم وصكوك الغفران والتبرعات للاعياد ٠٠ الخ ٠ وبهذه الطريقة كانت تنتقل مبالغ كبيرة من الأموال سنويا من ألمانيا الى روما ٠ وأدى القهر المتزايد الناتج عن ذلك الى ازدياد الكراهية لرجال الكنيسة وأثار أيضا العواطف القومية وخاصة لدى النبلاء الذين كانوا أشد الطبقات قومية آنئذ ٠

ومع نمو التجارة انقسم سكان **مدن** القرون الوسطى الى ثلاث فئات ٠

فكان يرأس مجتمع المدينة من يسمون « **بالاشراف** » وكان هؤلاء أغنى عائلات المدينة ٠ وكانوا هم وحدهم الذين يشكلون مجلس المدينة ويشغلون كافة وظائفها ٠ ومن هنا فلم يكونوا هم المتحكمين في دخل المدينة وانما كانوا هم الذين ينفقونه أيضا ٠ وكانوا أقوياء بفضل ثرواتهم ومكانتهم الارستقراطية الموفرة على مر الزمان والمعترف بها من قبل الامبراطور والامبراطورية ٠ وكانوا

(١) المدفوعات كانت المدفوعات التي تقدم للبابا لقاء التعيين في وظيفة ما ٠ وكانت هذه المدفوعات تعادل دخل سنة ٠

الممكنة • فكانوا يغتصبون الحبوب والنقود ويسيطرون على مختلف الفلاحين المجاورين للمدن بأفضل مما كان يعاملهم النبلاء أو رجال أنواع الاحتكارات • وبالتدريج حرموا أهل المدينة من كافة حقوقهم في غابات المدينة العامة ومراعيها واستخدموها لمصالح الذاتية فقط • وحصلوا الضرائب الجبرية على الطرق والجسور والبوابات وغيرها من الضرائب وتاجروا في امتيازات التجارة يستغلون أهل المدينة والفلاحين الذين ينتمون اليها بكافة الوسائل والطوائف المهنية وحقوق سكان المدن وفي القضاء • ولم يعاملوا الدين ، بل على العكس فان مخاتير المدن والمسؤولون في القرى وكلهم من الاشراف يضيفون نوعاً من الدقة البيروقراطية الى صرامة الارستقراطيين وبخلهم في جمع الضرائب • وكان دخل المدن الذي يجبى بهذا الشكل ينفق أيضا وفق رغبات الاشراف وكانت دناتر حسابات المدن – وهو اجراء شكلي محض – مضطربة ومهملة الى أقصى حد والابتزاز والعجز المالي هما النظام السائد في تلك الايام • أما كيف كان من السهل لفئة صغيرة نسبياً أن تستولي على اكبر نصيب من دخل المدن مستندة الى امتيازاتها والعلاقات العائلية والمصالح المشتركة فأمر يمكن فهمه عندما يتذكر الانسان حوادث الاحتيال واغتصاب ممتلكات الغير العديدة التي كشفت عنها ثورة ١٨٤٨ في كثير من ادارات المدن •

وحرص الاشراف في كل مكان على ترك حقوق أهالي المدن تقل وخاصة في المسائل المالية • وفيما بعد ، عندما فاقت دسائسهم كل حد تحرك الأهالي مرة أخرى ليشرفوا على الأقل على ادارة المدينة • وتمكنوا بالفعل في اكثر المدن من استعادة حقوقهم • الا أنه بفضل النزاعات الأبدية بين الطوائف وعناد الاشراف والحماية التي يتلقونها

من الامبراطورية ومن حكومات المدن المتحالفة معهم سرعان مااستعاد الاشراف من أعضاء المجلس سيطرتهم السابقة في المجالس بطريق الحيلة أو القوة . وعند بداية القرن السادس عشر كان الأهالي في كافة المدن ينتمون من جديد الى المعارضة .

وانقسمت المعارضة للاشراف في المدن الى قسمين اتخذا موقفين متميزين تماما في حرب الفلاحين .

فكانت هناك **معارضة التجار وأصحاب الحرف** - أسلاف الليبراليين المعاصرين - وتتألف من أغنياء ومتوسطي التجار وأصحاب الحرف بل وثريقا من صغارهم يتفاوت وفقا لظروف المحلية . وكانت مطالبهم لاتتعدى الحدود الدستورية المعروفة . فكانوا يريدن الاشراف على ادارة المدينة وأن يكون لهم نصيب في السلطة التشريعية يمارسونه اما عن طريق اجتماع عام لمجتمع المدينة نفسها أو اجتماع ممثليها (المجلس الكبير ، أو لجنة المدينة) ، والحد من محاباة الاشراف لأقاربهم وتحكم أقلية من العائلات ، الأمر الذي كان يزداد وضوحاً بين الاشراف أنفسهم . وكانوا على أحسن الاحوال يطالبون لأنفسهم أيضا بعدد من المقاعد في مجلس المدينة . وكان لهذا الحزب الذي انضم اليه من هنا ومن هناك الجانب الساخط والفقير من الاشراف أغلبية كبيرة في كافة الاجتماعات التي يعقدها أهالي المدينة وفي روابط الطوائف . وكان مؤيدو المجلس القديم من ناحية والفريق الاكثر تطرفا في المعارضة من ناحية اخرى لايشكلان معاً الا أقلية في صفوف التجار **وأصحاب الحرف الحقيقيين** .

وسوف نرى كيف أن هذه المعارضة « المعتدلة » « الخاضعة للقانون » « الميسورة » « والذكية » قامت في حركة القرن السادس

عشر بنفس الدور ــ ووصلت الى النتيجــة نفسها ــ الذي قام بــه خليفتها الحزب الدستوري في حركة ١٨٤٨ ــ ١٨٤٩ (١) ٠

وفيما عدا ذلك وقفت معارضة التجاروأصحاب الحرف بحماس ضد رجال الكنيسة الذين كانت أبهتهم الفارغة وأخلاقياتهــم المهلهلة تثــير الازدراء المرير ٠ وكانت تطالب باتخــاذ اجراءات لوقف هــذه الحيــاة الفاضحة لهؤلاء السادة ٠ والغــاء المحاكم الخاصــة برجال الكنيسة وعدم اعفائهــم من الضرائب ، كمــا كانت تطالب خاصــة بتخفيض عدد الرهبان ٠

وكانت **معارضة العامة** تتألف من سكان المدن المفلسين وجماهير أهل المدن المحرومين من الحقوق المدنية ، الاجراء ، عمال المياومة ، وأسلاف حثالة البروليتاريا الذين يوجــدون حتى في أدنى مراحــل تطور المدن ٠ فحثالة البروليتاريا هي بشكل عام ظاهرة توجد بدرجة أو أخرى في كافة مراحل تطور المجتمع المعروفة حتى اليوم ٠ فقد زاد عدد الناس الذين ليس لهم عمل محدد أو سكن ثابت بشكل كبــير في هذا الوقت بالذات نتيجة لانهيار الاقطاع في مجتمع كانت كــل المهن ومجالات الحياة فيه لاتزال محاطة بامتيازات لاتعد ولا تحصى٠ ولم يصل عــدد المتشردين في كافة البلــدان المتقدمة الى مثل هــذه

---

(١) يعني انجلز باشارته هذه الى الليبراليين البورجوازيين الالمان الذين كانوا يشكلون الاغلبية في الجمعية الوطنية في فرانكفورت وبعض الدول الالمانــــة خلال ثورة ١٨٤٨ ــ ١٨٤٩ ٠ ففي خــلال الشهور الاولى في الثـــورة تراس الليبراليون « حكومات دستورية » في عدد من الدول (بروسيا مثلا) الا أنهم استبدلوا بعد ذلك بممثلين للبيروقراطية والنبلاء ٠ وعمل الليبراليون على مساندة الملكية كدعامة قوية ضد أنتشار الثورة ونموها ٠ وقد كانت السياسة التوفيقية للبورجوازيين الدستوريين واتفاقاتهم الخائنة مع الاحزاب الرجعية أحد الاسباب الرئيسية لهزيمة الثورة الالمانية ٠

الضخامة التي وصل اليها في النصف الأول من القرن السادس عشر وكــان بعض هؤلاء المتشردين ينضمون الــى الجيوش زمن الحرب والبعض الآخر يتســولون في الارياف ، وغيرهــم ينتزعون عيشهــم الضئيل في المدن كعمال مياومة أو من أي عمل آخر لايقع تحت طائلة قانون الفئات • وقد قامت كل واحدة من هذه الفئات الثلاثة بدور في حرب الفلاحــين • فاشتركت الأولى في جيوش الامراء التــي هزمت الفلاحين والثانية في مؤامرات الفلاحين وجيوشهم حيث ظهر أثرهــم دائماً في انحطاط الروح المعنوية ، والثالثة في المصادمات بين أحزاب المدن • غير أننا يجب أن نتذكر أن الغالبية العظمى منهم،وهم الذين يعيشون في المــدن ، لازالت تحتفظ بجــانب من الطبيعة الفلاحيــة السليمة ولم تفسدهم بعد « دعارة » وانحطاط حثــالة البروليتاريا « المتمدنة » اليوم •

من الجلي أن معارضة العامة في المدن في تلك الايام كانت ذات طبيعة مختلفة • فقد كانت تجمع بين العناصر الفاسدة في المجتمــع الاقطاعي والطائفي القديم وبين البراعم البروليتــارية التي توشك على التفتح في المجتمع البورجوازي الحديث الذي يشرق فجره •وكان هناك من ناحية ثانية سكان المدن من رجال الطوائف المهنية الذين أثقل الفقر كاهلهم والذين لايزالون متشبثين بنظــام الفئات القــائم لما يسبغه عليهم من امتيازات ، ومن ناحية أخرى الفلاحون الــذين انتزعت ملكياتهم والاتبــاع المفصولون الذين لم يستطيعوا بعــد أن يكونوا بروليتاريين • وبين هاتين المجموعتين جماعة الاحرار التــي كانت توجد خارج نطاق من المجتمع الرسمي في تلك الأونة • وكانت حالة معيشتها تشبه حالة البروليتاريافيظل ظروف الصناعة المعاصرة وامتيازات الطوائف ، الا أنهــم كانوا في نفس الوقت وبفضل هــذه

الامتيازات نفسها ، في طريقهم الى أن يصبحوا أرباب حرف. وكانت الارتباطات الحزبية لهذه المجموعة غير مستقرة ، وتختلف من مكان لآخر . فقبل حرب الفلاحين اشتركت معارضة العامة في النضال السياسي لابوصفها حزباً ولكن بوصفها تابعا يلتقط الاسلاب من وراء معارضة التجار وأصحاب الحرف ، بوصفها جمعا من الدهماء يمكن شراؤه وبيعه ببضعةدنان من الخمر،وحولته ثورات الفلاحين الى حزب . وحتى بعد ذلك ظلوا معتمدين على الفلاحين في مطالبهم ونشاطهم ، وهذا دليل يبين الى أي مدى كانت المدينة في ذلك الوقت لاتزال معتمدة على الريف . وفيما يتعلق بنشاطهم المستقل كان العامة يطالبون بتوسيع مجال احتكارات الحرف اليدوية حتى تشمل الريف ، وكانوا يعارضون انقاص دخل المدينة عن طريق الغاء الاعباء الاقطاعية المفروضة على ضواحي المدن .. الخ وباختصار كانت رجعية طالما هي تعمل مستقلة تطلق العنان لعناصر البورجوازية الصغيرة فيها . وهي سابقة نموذجية للمهزلة التي مثلتهافي السنوات الثلاث الأخيرة البورجوازية الصغيرةالحديثةتحت شعار الديمقراطية.

وفي ثورينجيا فقط ــ بتأثير مونزر المباشر ــ وفي عدد قليل من الاماكن الاخرى تحت تأثير تلامذته جرفت العاصفة لعامةجماهير العامة في المدن الى حد أصبح للعنصر البروليتاري الجنيني فيها اليد الطولى لفترة على كافة أقسام الحركة . وكانت هذه المرحلة التي تجمعت حول شخص **توماس مونزر الساحر** هي ذروة حرب الفلاحين كلها وأقصر لحظاتها كذلك . ولقد كان منطقيا أن تكون تلك الأقسام أسرع العناصر للانهيار . وأن تتميز بطابع غير واقعي وأن تعبر عن مطالبها بالضرورة بشكل في غاية الاضطراب وأن تكون الارض التي تقف عليها ــ في ظل الظروف القائمة ــ أقل المواقع رسوخاً ..

وفي أسفل كل هذه الطبقات ـ ماعدا الأخيرة ـ كانت توجد الكتلة الرئيسية المستغلة من الأمة **وهم الفلاحون** • فقد كان الفلاحون هم الذين يعولون بقية فئات المجتمع الأمراء ، الموظفون ، النبلاء ، رجال الكنيسة ، الاشراف وأصحاب الحرف والتجار • وأيا كان السيد الذي يستعبد الفلاح أميراً أو بارونا أو أسقفاً ، ديراً أو مدينة ، فقد كان الجميع يعاملونه باعتباره شيئاً ، حيوانا لحمل الأثقال أو أقل • فاذا كان رقيقا فقد كان تحت رحمة سيده تماما ، واذا كان قنا فان الالتزامات القانونية المسجلة في الاتفاق كانت كافية لسحقه ورغم ذلك فقد كانت تلك الالتزامات تزداد يوما بعد يوم • فكان عليه أن يعمل في اقطاعية سيده معظم وقته ، ومما كان يكسبه في الساعات القليلة الحرة كان عليه أن يدفع العشور والجمارك والايجار والضرائب للطرق وضرائب (الحروب) والضرائب الامبراطورية والمحلية ولم يكن يستطيع أن يتزوج أو يموت دون أن يدفع لسيده• والى جانب العمل الملتزم به قانونا كان عليه أن يجمع النفايات ويقطف التوت ويلتقط المحار ويسوق الكلاب عند الصيد ويقطع الاخشاب •• الخ لسيده • وكان حق صيد البر والبحر من حقوق السيد فقط وكان الفلاح ينزوي جانبا في هدوء ويرقب محصوله يدمر أثناء الصيد • وكان السادة يغتصبون مراعي وغابات الفلاحين العامة في كل مكان • وكان السيد يفرض تحكمه على شخص الفلاح نفسه وعلى زوجته وبناته تماماً كما يتحكم في ممتلكاته • **وكان له حق الليلة الأولى** • He had the riyht of the First night. وكان يلقي بالفلاح في سجن قلعته عندما يرى ذلك مناسباً • وكانت آلات التعذيب تنتظر الفلاح هناك تماماً كما ينتظر المحقق المقبوض عليهم في أيامنا هذه • وكان يقتله أو يقطع رقبته عندما يروق له ذلك • ولم يكن هناك فصل واحد من الفصول الملهمة

في « الكارولينا »(١) حول « قطع الاذن » و « جدع الأنف » و « خرق العين » و « قطع الاصابع والايدي » و « حز الرأس » و « الشد على عجلة التعذيب » و « الحرق » و « اسياخ الحديد المحمى » و«التربيع» (أي قطع الجسم ٤ أجزاء) ·· الخ · لم يستعمله السيد الرحيم عندما يريد · ومن يدافع عن الفلاح ؟ لقد كان يجلس في المحاكم القسس أو الاشراف أو القضاة الذين يعرفون جيداً لماذا يتقاضون أجورهم · لقد كانت كل الطبقات الرسمية في الامبراطورية تعيش على ذبح الفلاح ·

ورغم أن الفلاحين كانوا يئنون تحت وطأة هذا العبء الثقيل فقد كان من الصعب دفعهم الى الثورة · فقد كانوا موزعين على مساحات شاسعة مما يجعل من الصعب قيام أي اتفاق بينهم ·وكان الخنوع المعتاد الموروث من جيل الى جيل ، وانعدام اتقان استعمال السلاح في كثير من المناطق ، واختلاف درجة الاستغلال التي كانت تتوقف على شخصية السيد كل هذه العوامل اجتمعت لتدفع بالفلاح الى الهدوء · لذلك شهدنا كثيراً من الانتفاضات الفلاحية المحلية في العصور الوسطى ولكننا لانجد قبل حرب الفلاحين أي ثورة فلاحية قومية عامة ، على الأقل في ألمانيا · وفضلا عن ذلك فلم يكن الفلاحون يستطيعون وحدهم أن يبدأوا ثورة طالما كانت تواجههم القوة المتحدة والمنظمة للامراء والنبلاء والمدن · وكانت فرصتهم الوحيدة في النجاح هي التحالف مع الطبقات الاخرى ، ولكن كيف كان يمكن أن يتحدوا مع الطبقات الاخرى اذا كان الكل يستغلونهم على قدم المساواة ؟ ·

---

(١) كتاب حول التعذيب (المعرب) ·

وفي بداية القرن السادس عشر كانت مختلف الطبقات في الامبراطورية ، الامراء والنبلاء وكبار رجال الكنيسة والاشراف والتجار وأصحاب الحرف العامة والفلاحون تكون كتلة شديدة الاضطراب ، فقد كان لكل منها مطالب متنوعة تتضارب مع مطالب غيرها • وكانت كل هذه الطبقات تقف في طريق بعضها البعض • وكل منها على الدوام في صراع مكشوف أو مستتر مع الآخرين وكان انقسام الأمة الى معسكرين متمايزين ـ كما ظهر في فرنسا عند بداية الثورة الأولى وكما يلاحظ اليوم على درجة أعلى من النمو في الدول المتقدمة ـ أمراً مستحيلا تماماً في ظل الظروف القائمة عندئذ ولم يكن من الممكن قيام شيء يشبه ذلك الا اذا نهضت أدنى مراتب الأمة المستغلة من كافة الطبقات ، العامة والفلاحون • ويمكن أن نفهم بسهولة اختلاط المصالح والاراء والأمال في ذلك الوقت اذا مانظرنا الى الاضطراب الذي ساد الأمة الألمانية في العامين الاخيرين في ظل التركيب الاجتماعي الأبسط الحالي والذي يتألف من النبلاء الاقطاعيين والبورجوازية الصغيرة والبروليتاريا •

* * *

- ٢ -

كان تجميع هذه الطبقات المتعددة والمتنوعة الآراء في فئات أكبر أمراً مستحيلا في الواقع بسبب اللامركزية والاستقلال المحلي والاقليمي وانعزال الاقاليم صناعيا وتجاريا عن بعضها البعض، وسوء المواصلات. ولم يزدد هذا التجمع الا بانتشار الأفكار الثورية السياسية الدينية ابان فترة الاصلاح الديني. وقاد تبني الطبقات المتنوعة لهذه الأفكار أو معارضتها لها الى أن تتركز الأمة بصعوبة وبشكل تقريبي في ثلاثة معسكرات كبيرة. المعسكر الرجعي أو الكاثوليكي والمعسكر اللوفري البورجوازي الاصلاحي والمعسكر الثوري. واذا اكتشفنا ضعف منطق هذا الانقسام العظيم للأمة، واذا وجدنا نفس العناصر تقريباً في المعسكرين الاولين فالسبب في هذا هو تفكك غالبية الطبقات الرسمية التي انحدرت من العصور الوسطى، واللامركزية التي جعلت هذه الطبقات - في تلك الفترة - تتبنى اتجاهات متضادة في مختلف الاقاليم. ولقد واجهنا كثيراً في السنوات الاخيرة حقائق مماثلة في ألمانيا حتى أن هذا الاختلاط البادي بين الطبقات والفئات تحت ظروف القرن السادس عشر المعقدة لا يدهشنا.

وعلى الرغم من التجارب الأخيرة فان الايديولوجية الألمانية ما تزال ترى في المعارك التي أنهت العصور الوسطى سوى محاججات لاهوتية عنيفة. يقول مؤرخونا وحكماؤنا أنه لو كان أناس تلك الايام قد اتفقوا على المسائل السماوية لما كان هناك أي اساس للمحاججة حول المسائل

الدنيوية • ويصل هؤلاء المفكرون درجة من السذاجة تجعلهم يتقبلون دون نقاش جميع الأوهام التي يخلقها عصر ما حول نفسه أو ما ينسجه مفكرو عصر ما عن ذلك العصر • ومثل هؤلاء الناس لايرون ـ مثلا ـ في ثورة ١٧٨٩ الا مشادة محتدة حول تغلب صفات الملكية الدستورية على الملكية المطلقة ، ولا يرون في ثورة تموز الا محاجة عملية حول عدم قابلية العدالة للدفاع عنها « بعون الله » وفي ثورة شباط محاولة لحل مشكلة : جمهورية أم ملكية •• الخ • فلا يكاد توجد عندهم حتى اليوم أية فكرة عن **الصراعات الطبقية** التي خاضها الناس في تلك الانتفاضات والتي كانت تعبر عن نفسها في كل مرة بشعارات سياسية جلية رغم ما تحمله تلك الصراعات من علامات كانت واضحة بما فيه الكفاية لا من الخارج فحسب ولكن كذلك في ضجة وصياح الآلاف من البروليتاريا في الوطن ••

بل ان ما يسمى بالحروب الدينية في القرن السادس عشر كانت تتضمن مصالح طبقية مادية ايجابية ، فقد كانت هذه الحروب حروبا طبقية تماما تمثل الصدامات الداخلية التي وقعت بعد ذلك في انكلترا وفرنسا • ورغم ان الصراعات الطبقية كانت عندئذ مغلفة بشعارات دينية ورغم أن مصالح وحاجات ومطالب مختلف الطبقات كانت مختفية خلف ستار ديني فلم يبدل هذا شيئا من الأمر ويمكن تفسيره ببساطة من واقع ظروف تلك الايام •

لقد نشأت العصور الوسطى من العدم ، فمحت الحضارة القديمة والفلسفة القديمة والسياسة القديمة والنظام القضائي القديم للدولة من صفحة التاريخ لتبدأ عهداً جديداً في كل شيء •وكان الشيء الوحيد الذي احتفظت به من العالم القديم المتداعي هو المسيحية وعدداً من المدن نصف المهدمة الخالية من كافة مظاهر الحضارة •

ونتيجة لذلك احتكر رجال الدين تثقيف العقول كما هو الحال دائماً في كل مرحلة بدائية من التطور وأصبح التعليم نفسه لاهوتيا في الأساس • وغدت السياسة والقانون على ايدي رجال الدين مجرد فروع للاهوت ـ شأنها شأن بقية العلوم ـ وسويت وفقا للمباديء السائدة في اللاهوت • وكانت عقائد الكنيسة شعارات سياسية كذلك ونصوص الكتاب المقدس لها مقام القانون أمام أي محكمة • ورغم أنه كانت تتألف فئة خاصة من القضاة الا أن القضاء ظل لمدة طويلة تحت رعاية اللاهوت وكانت هذه السيادة للاهوت على العالم الكلي للنشاط الثقافي بأكمله نتيجة حتمية للمكانة التي كانت الكنيسة تحتلها ، بوصفها تركيباً شاملا يجرد السيطرة الاقطاعية القائمة من سيادتها•

ومن الجلي أنه كان لابد في ظل هذه الظروف من أن تكون كافة الهجمات العامة ضد الاقطاعية وخاصة الهجمات ضد الكنيسة وكذلك كافة التعاليم الثورية السياسية والاجتماعية هرطقات لاهوتية• وكان يجب تجريد الاوضاع الاجتماعية القائمة من هالتها القدسية قبل ان يمكن مهاجمتها •

واستمرت المعارضة الثورية للاقطاعية مستعرة طوال العصور الوسطى • وأخذت شكل الصوفية أو الهرطقة الواضحة أو العصيان المسلح حسب الظروف • ومن المعروف كيف اعتمد مصلحو القرن السادس عشر على الصوفية • ويدين مونزر نفسه لها بالشيء الكثير• وكانت الهرطقات تعبر من ناحية عن رد الفعل لدى رعاة الألب ذوي النظام الابوي ضد الاقطاعية المقبلة عليهم (مثل الوالدنسين Waldenses)(١) ومن ناحية أخرى عن معارضة الاقطاعية للمدن

(١) فئة دينية بين الطبقات الدنيا المدنية في جنوب فرنسا في أواخر القرن الثاني عشر ويقال أن مؤسسها هو بيزوالد تاجر من ليون • وكانت هذه الفئة ترى الغاء =

التي فاقتها في النمـو (مثل الالبينيـيز Albigenses [1] وأرنولـد أوف بوسيكـا) Arnold of Brescia · ومـن ناحيـة ثالثـة عن العصيـان المباشر للفلاحـين (جـون بول ، المدرس الهنغـاري بثورة الرعاة) وناذا ما خلينا جانبا هرطقة الوالدنيز بين البطريركية والعصيان السويري الذي كان من حيث الشكل **والمضمون محاولـة** رجعية بحتة لوقف تيار التاريخ ، فاننا نجد في **الشـكلين الأخـرين** لهرطقة العصور الوسطى ـ في القرن الثاني عشر ـ **بشائر التناقض** الكبير بين معارضة سكان المدن ومعارضة العامة **والفلاحين ، ذلـك** التناقض الذي كان الأصل في هزيمة حرب الفلاحين · وقد كان هذا التناقض باديا طوال العصور الوسطى المتأخرة ·

كانت هرطقات المدن ـ وهي الهرطقات الفعلية الرسمية للعصور الوسطى ـ وجهت أساساً ضد رجال الدين ، تهاجم غناهم واشتغالهم بالسياسة ·ومثلماتطالب بورجوازيةاليوم بحكومة « **رخيصة الأكلاف** » gouvernement à bon marché كان سكان المدن في العصور الوسطى

الملكية وتـدين بالثراء الفاحش للكنيسة الكاثوليكية ، وطالبت بالعودة الى التقاليد المسيحية الاولى · وكانت هرطقاتهم منتشرة خاصة بين الريفيـين من سكان المناطق الجبلية في جنوب غربي سويسرا وسافوي حيث حاولوا الاحتفاظ ببقايا النظام المشاعي البدائي والعلاقات الابوية ·

(١) الالبنيز : فئة دينية انتشرت في مدن جنوب فرنسا وشمال ايطاليا في القرنين الثاني والثالث عشر وتركزت اساساً حول مدينة ألبي في جنوب فرنسا · وعبر الالبينيين الـذين كانوا يعـارضون الطقوس الكـاثوليكية المبهرجـة والتنظيم الكنسي الهرمي عن اولى الاحتجاجات ضد الاقطاعية من جانب التجار والحرفيين في المدن الجنوبية وذلك في شكل ديني · وانضم اليهم نبلاء جنوب فرنسا الذين كانوا يخشون امراء الاقطاع في الشمال ويهدفون الى الاحتفاظ بامتيازتهـم والاستيلاء على أراضي الكنيسة ·

يطالبون أساسا «بكنيسةرخيصةالأكلاف» « église à bon marché »
وكانت هرطقتهم رجعية الشكل ـ شأنها شأنأي هرطقة لاترى التحلل
الافي اضطراد نمو الكنيسة والعقيدة ـ تطالب باحياء دستور الكنيسة
المسيحية الأولى البسيط والغاء الكهنةالخصوصيين وأن هذا الاجراء القليل
الأكلاف سيلغي الرهبان والقسس والبلاط الروماني، أي باختصار كل ماهو
غالي الثمن في الكنيسة • وكانت المدن وهي نفسها جمهوريات رغم حماية
الملوك لها ، هي أول من كون في عبارات عامة ، خلال هجومها على
البابوية ، فكرة أن الجمهورية هي الشكل الطبيعي للحكم البورجوازي •
وكان كرههم لعدد من عقائد وقوانين الكنيسة يفسر جزئياً بظروف
حياتهم الحالية والمقبلة • فلم تفسر معارضتهم الشديدة لحياة العزوبية
مثلا بمثل تفسير بوكاشيو لها • وكان الممثلون الرئيسيون لهذا
الاتجاه هم ، أرنولد أوف برسيا في ايطاليا وألمانيا ، والالبينز في
جنوب فرنسا وجون ويكليف في انكلترا وهوس والكالسيتين(١) في
بوهيميا • وكانت المدن عندئذ طبقة معترفا بها قادرة على قتال الاقطاعية
العادية وامتيازاتها بما فيه الكفاية سواء بقوة السلاح أو في مجالس

(١) الكاليكستين والتابوريت : اتجاهات في حركة الهوسيت للتحرر الوطني والاصلاح في بوهيميا (خلال النصف الأول من القرن الخامس عشر) ضد النبلاء الالمان والامبراطورية الألمانية والكنيسة الكاثوليكية • وكان الكاليكستين (الذين كانوا يرون أن عامة لناس يجب أن يتناولوا هو أيضا الكأس والخبز المقدس في المناوح) مؤيدين من النبلاء والبورجوازيين التشيك لايرغبون في اكثر من اصلاح كنسي معتدل ولاستيلاء على اراضي الكنيسة • أما التابوريت (وسموا كذلك لأن معسكرهم كان يقع في تابور في بوهيميا) فهم الجناح الثوري الديمقراطي في الهوسيت وكانت مطالبهم تعكس رغبات الفلاحين والطبقات الدنيا في المدينة التي كانت تطالب بوضع حد نهائي لكافة ألوان القهر الاقطاعي • وقد استخدم الرجعيون الاقطاعيون خيانة الكاليكستين للتابوريت لقهر حركة الهوسيت •

كمعارضة **للاقطاعية الدينية** religious Feudalism **فقط** .

المدن وهذا يفسر ببساطة كاملة لماذا ظهرت المعارضة للاقطاعية كمعارضة للاقطاعية الدينية فقط .

ونجد أيضاً أنه في جنوب فرنسا وانكلترا وبوهيميا شاركت الغالبية من صغار النبلاء المدن في هرطقتها وفي نضالها ضد رجال الدين ، وهي ظاهرة تفسر باعتماد صغار النبلاء على المدن وباتفاق المصالح بين الاثنين وذلك مقابل الامراء وأمراء الكنيسة وسوف نواجه نفس الشيء في **حرب الفلاحين** .

أما الهرطقة التي عبرت مباشرة عن مطالب العامة والفلاحين والتي ارتبطت غالبا بالعصيان في كل مكان فكانت ذات طبيعة مختلفة تماماً . ورغم أنها كانت تشترك مع الهرطقة البورجوازية في كافة المطالب المتعلقة برجال الكنيسة والبابوية واحياء دستور الكنيسة المسيحية الاولى الا أنها هدفت الى أبعد من ذلك . فطالبت بعودة المساواة المسيحية الاولى بين أعضاء الجماعة والاعتراف بهذه المساواة كقاعدة من قواعد العالم البورجوزاي . واعتمدت على « المساواة بين أبناء الرب » لتصل الى المساواة في الحقوق المدنية بل والى المساواة في الملكية بشكل جزئي ، المساواة بين الفلاحين والنبلاء ، بين السادة والبورجوازيين أصحاب الامتيازات وبين العامة والغاء السخرة ، والريع والضرائب والامتيازات والغاء الفروق البارزة في الملكية على الأقل . ورفعت هذه المطالب بتصميم متدرج ارتفاعاً وانخفاضاً كنتائج طبيعية للعقائد المسيحية الأولى . وفي الوقت الذي بلغت فيه الاقطاعية أوجها لم يكن هناك فارق بين هرطقة العامة والفلاحين هذه — لدى الألبنيز مثلا — وبين المعارضة البورجوازية ولكنها تطورت في القرنين الرابع والخامس عشر الى رأي حزبي واضح المعالم وكانت تتخذ عادة موقفا مستقلا الى جانب هرطقة السكان في المدن . فكان

هذا هو الوضع في انكلترا حيث سار (جون بول) الواعظ بثورة (اوت تيلر) جنباً الى جنب مع حركة (ويكليف) Wycliffe وفي بوهيميا حيث سار التابوريت Taborites مع الكاليكستين بل لقد أظهر التابوريت ميولا جمهورية مغلفة برداء من السلطة الدينية وهي نظرة تطورت فيما بعد على أيدي ممثلي العامة في ألمانيا في القرن الخامس عشر وبدايات السادس عشر ·

وتمسكت بهذا الشكل من الهرطقة الفرق المهووسة ذات النزعة الصوفية التي استمرت في حمل لواء التقاليد الثورية زمن الكبت مثل الفلاغيلانتش (١) واللولاردس (٢) ·

وكان العامة في ذلك الوقت هم الطبقة الوحيدة التي تقع خارج المجتمع الرسمي · فكانت خارج كل من الجماعة الاقطاعية والبورجوازية ولم تكن لهم أية امتيازات أو ملكية ، بل لم يكن لديهم حتى نوع الملكية التي كانت لدى الفلاح أو البورجوازي الصغير مع ماكانت تتحمله من أعباء الضرائب · ولم تكن لهم ملكية أو حقوق من كافة الوجوه · وكانت أوضاع حياتهم لاتسمح لهم قط بالتعامل المباشر مع المنظمات الموجودة التي كانت تتجاهلهم · لقد كانوا رمزا

---

(١) Flagellants (الذين يضربون أنفسهم بالسوط) فرقة دينية ناسكة انتشرت في اوربا فيما بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر وكانت تنادي بالخصاء كوسيلة للتطهير من الذنوب ·

(٢) Lollards فرقة دينية انتشرت بشكل خاص في انكلترا نشأت في القرن الرابع عشر وعادت بمرارة الكنيسة الكاثوليكية · وكانوا اتباعا لويكليف المصلح الديني الانكليزي واستخلصوا نتائج راديكالية من تعاليمه واتخذوا موقفا دينيا صوفيا ضد كافة الامتيازات الاقطاعية · واشترك كثير منهم في ثورة تيلر عام ١٣٨١ واعدموا بقسوة ابتداء من اواخر القرن الرابع عشر ·

حياً لتحلل مجتمع الاقطاع – سكان المدن – الفئات وكانوا في الوقت ذاته أولى بشائر المجتمع البورجوازي الحديث .

ويفسر هذا لنا السبب في أن معارضة العامة – حتى في ذلك الوقت – لم تكن لتستطيع أن تقف عند حد قتال الاقطاعية وسكان المدن ذوي الامتيازات فقط . ولماذا – في الخيال على الأقل – كانت تصل الى أبعد من المجتمع البورجوازي الحديث ، الذي كان لايكاد فجره يظهر . ولماذا وهي الفئة التي لاتملك شيئاً ، ناقشت المنظمات والآراء والمفاهيم المنتشرة لدى كافة المجتمعات القائمة على التناقضات الطبقية . وكانت رؤى الاحلام الشيليانية Chiliastic dream - visions (١) للمسيحية الأولى نقطة انطلاق مناسبة جداً من هذه الناحية ومن ناحية أخرى فان هذا القفز فوق كل الحاضر والمستقبل لايمكن الا أن يكون عنيفا وخيالياً . وينحصر بالضرورة في الحدود الضيقة التي تقيمها الظروف المعاصرة . فالهجوم على الملكية الخاصة والمطالبة بالملكية العامة كان من المحتم أن ينتهي الى تنظيم بدائي للاحسان ، والمساواة المسيحية الغامضة تنتهي على أحسن الافتراضات الى « المساواة المدنية أمام القانون » والغاء كافة السلطات وصل في النهاية الى اقامة حكومات جمهورية ينتخبها الشعب . وانتظار الشيوعية الذي غذاه الخيال أصبح في الواقع توقعاً للأحوال البورجوازية الحديثة .

---

(١) الشيليانية مأخوذة من اللفظ اليوناني chiliasmos ويعني الف . وهي تعاليم دينية صوفية تقول أن المسيح سيبعث في الارض ثانيا وياتي « بالف عام » من العدالة والمسواة والرفاهية وقد انبعثت هذه المعتقدات خلال تحلل المجتمع العبودي نتيجة للكبت غير المحتمل والعذاب للشعب العامل الذي كان يبحث عن مخرج في الرؤى الخيالية للخلاص وكانت هذه المعتقدات منتشرة في عصور المسيحية الأولى ، وكانت بالتالي تنبعث باستمرار في تعاليم مختلف الدينية في العصور الوسطى .

ويتضح هذا التوقع الشديد للتطورات التاريخية المقبلة ، الذي كانت تفسره بسهولة ظروف معيشة العامة في **ألمانيا** عند (**توماس مونزر**) وحزبه • فقد كان لدى التابوريت نوع من الملكية العامة الشيلييانية ، الا أن هذا كان اجراءاً عسكرياً بحتاً • فلم تعبر هذه المفاهيم الشيوعية عن مطامح قسم حقيقي من المجتمع الا من خلال تعاليم مونزر • فقد كان هو الذي أوجدها • وهي تظهر منذ ذلك الوقت في كل انتفاضة شعبية كبيرة حتى اندمجت تدريجياً في الحركة البروليتارية الحديثة • لقد كان ذلك يشبه تماماً ماحدث مع نضال الفلاحين الاحرار في العصور الوسطى ضد تزايد قبضة السيطرة الاقطاعية الذي اندمج مع نضال الاقنان والعبيد من أجل الغاء النظام الاقطاعي بشكل كامل •

وفي حين أن أول الاقسام الثلاثة الكبرى ، **الكاثوليك المحافظون** Conservative Catholic كان يشمل كافة العناصر ذات المصلحة في بقاء الظروف الحالية أي السلطة الامبراطورية: الامراء الدينيون وجزء من الامراء الدنيويين وأغنياء النبلاء وأمراء الكنيسة وسادة المدن. فقد **كان معسكر الاصلاح اللوثري المعتدل** على عادة سكان المدن، يشد الى صفوفه العناصر المالكة من المعارضة: السواد الأعظم من صغار النبلاء وسكان المدن بل وجزءاً من الامراء الدنيويين الذين كانوا يطمحون للاثراء بمصادرة أملاك الكنيسة ويريدون اغتنام الفرصة للحصول على استقلال اكبر من الامبراطورية • أما الفلاحون والعامة فقد كانوا يشكلون حزبا **ثوريا** كان مونزر أوضح من عبر عن عقائده ومطالبه •

ولقد عبر كل من لوثر ومونزر تعبيراً شاملا عن حزبه بتعاليمه كما عبر عن ذلك بشخصه وأفعاله •

وتبدل **لوثر** فيما بين عامي ١٥١٧ ، ١٥٢٥ نفس التبدل الذي مر به الدستوريون الألمان الحاليين فيما بين ١٨٥٦ ١٨٤٩ ، وهو نفس التغير الذي يمر به كل حزب بورجوازي يوجد لفترة على رأس الحركة فيثير عجبه مايراه وراءه من حزب العامة والبروليتاريا .

وعندما عارض لوثر عقائد وقوانين الكنيسة الكاثوليكية لأول مرة عام ١٥١٧ لم تكن لمعارضته صفة محددة بأي حال . فبينما لم تتخط هرطقة سكان المدن السابقة عليها فانها لم تلغ بل ولم تكن تستطع أن تلغى أي اتجاه يذهب الى أبعد مما ذهبت . ففي تلك الفترة الباكرة كان على جميع العناصر المعارضة أن تتحد ، وعلى كافة القوى الثورية العداونية أن تظهر ، وأن تجد حملة الهرطقات القائمة ضد الجمود الكاثوليكي سندا ومعبرا عنها . وذلك مثلما كانت بورجوازيتنا الليبرالية عام ١٨٤٧ لاتزال ثورية وتدعو نفسها اشتراكية وشيوعية وتنادي مطالبة تحرير الطبقة العاملة . وقد اكدت شخصية لوثر الفلاحية العنيدة ذاتها بأعنف وسيلة ممكنة في المرحلة الأولى من نشاطه . « **اذا استمر ذلك الجنون المسعور (لرجال الكنيسة الكاثوليكية) فيبدو لي أنه لاتوجد نصيحةأوعلاج ضده أنجع من أن يستخدم الملوك والامراء القوة وأن يسلحوا أنفسهم ويهاجموا هؤلاء الاشرار الذين سمموا العالم أجمع وأن يضعوا حلاً نهائياً لهذه اللعبة بالسلاح لابالكلمات . فاذا كنا نعاقب اللصوص بالسجن والقتلة بالسيف والهراطقة بالنار ، فلماذا لانعود نمتشق السلاح ضد كافةأساتذة الدمارالاشرار هؤلاء البابوات والكاردينالات والاساقفة جوقة سدوم الرومانية ونغسل أيدينا بدمائهم ؟** » .

الا أن هذا الحماس الثوري كان عمره قصيراً . فقد أصابت صاعقة لوثر مقتلا ، وتحرك الشعب الألماني بأجمعه . فمن ناحية

رأى العامة والفلاحون فيها نذيراً الى الثورة وذلك في نداءآته ضد رجال الكنيسة وفي مواعظه عن الحرية المسيحية • ومن ناحية أخرى أيـده سكان المدن المعتدلون وقسم كبير من صغار النبلاء بل لقـد جذبت العاصفة عـددا من الامراء • وكـان الأولون يعتقدون أنـه آن أوان الانتقام من جميع مضطهديهم بينما كان الأخرون لايرغبون الا في كسر شوكة رجال الكنيسة ، وتحطيم التبعية لروما ، والهيراركيةالكنيسة، وأن يزداد ثراؤهم بمصادرة أملاك الكنيسة • ووقفت الاحزاب بعيدة بعضها البعض ووجد كل منها المتحدث باسمه • وكان على (لوثر) أن يختار بينهم • ولم يتردد ربيب أميرساكسون والاستاذالمبجل بجامعة فينتبرغ الذي أصبح بين عشية وضحاها ذا سطورة وشهرة ورجـلا عظيما ذا حاشية من المتملقين والسائرين في الركاب ، لم يتردد لحظة واحدة في طرد العناصر الشعبية للحركة والانحياز الى جانب سكان المدن والنبلاء والامراء • ولم تعد تتكرر نداءآته عن حرب ابادة ضد روما ، وأخذ لوثر يلقي عظاته عن **التطور السلمي والمقاومة السلبية** « Peaceful Progress and Passive resistance » (مثل ندائـه الصادر ١٥٢٠ « **الى نبلاء الأمة الألمانية** »)to the Nobility of « German Nation » • ولما وجه هاتن وسيكينجن دعوة له لزيارتهما في حصن ايبرن مهد مؤامرات النبلاء ضـد رجال الكنيسـة والامراء رد عليهما بقوله « **انني لااريد للانجيل أن تدافع عنه القوة وسفك الدماء • لقد تم غزو العالم بالكلمة • والكنيسة تحيا بالكلمة • وسوف تعيد الكلمة أيضا الكنيسة الى مكانها ان عدو المسيح الذي اتخذ مكانـه دون عنف سيسقط كذلك دون عنف** » •

ومن هذا الاتجاه أو فلنكن اكثر دقة من هذا الانحراف الواضح لسياسة لوثر ، نبعت المقايضات والمساومات حول مايبقى وما يصلح من العقائد والمنظمـات • نبعت تلك الديبلوماسية المهدئـة المتآمرة



مارتن لوثر

الوفاقية التي نتج عنها اعتراف أوجزبيرغ (١) Augsburg Confession وهي القوانين التي كان الالحاح عليها شديداً من أجل كنيسة بورجوازية معدلة • لقد كانت نفس المساومات الرخيصة التي تكررت أخيراً بشكل سياسي يثير الغثيان adnauseam في الجمعيات الوطنية الألمانية ، واجتماعات المصالحة ولجان المراجعة وبرلمانات ايرفورت (٢) Erfurt لقد توضحت الطبيعة المنافقة للاصلاحات الرسمية بشكل كامل خلال تلك المفاوضات • وبات لدى لوثر بعد أن صار الممثل المعترف به للاصلاح البورجوازي من الدواعي مايجعله يطالب بتحبيذ التقدم في ظل القانون • فكانت اكثرية المدن تناصر قضية الاصلاح المعتدل ، وازدادت حماسة صغار النبلاء له وألقى جزء من الامراء بدلوه في الدلاء بينما تردد البعض الآخر • وكان النجاح أمراً مؤكداً على الأقل في قسم كبير من ألمانيا ، وكانت المناطق الباقية لاتستطيع في المدى البعيد أن تصمد بوجه ضغط المعارضة المعتدلة في حالة استمرار التقدم السلمي • وكان من المؤكد أن أية انتفاضة عنيفة ستضع الحزب المعتدل في صراع مع حزب العامة

(١) اعترافات أوجزبيرغ : تقرير عن العقيدة اللوثرية قدم الى الامبراطور شارل الخامس في المجلس الامبراطوري في اوجزبيرغ يوفق بين مطامح سكان المدن في كنيسة رخيصة (الغاء الطقوس الباذخة وتعديل الهرم الكنسي •• الخ) ومصالح الامراء بحيث يحل امير محل البابا في رئاسة الكنيسة • وقد رفض الامبراطور هذه الوثيقة وشن الامراء الذين كانوا يعتنقون الاصلاح اللوثري الحرب ضده وكونوا عصبة شمالكالديك دفاعاً عنها • وانتهت الحرب في ١٥٥٥ بصلح أوجزبيرغ الديني الذي أعطى الامراء سلطة تحديد عقائد أتباعهم وفقا لمعتقدات الامراء أنفسهم •

(٢) الاشارة الى برلمان ممثلي الدول الألمانية المكونة « للاتحاد الألماني » الذي خلقته بروسيا • انعقد في أيرفورت من ٢٠ آذار الى ٢٩ نيسان ١٨٥٠ • وقد خصص لصياغة خطط توحيد المانيا تحت قيادة بروسيا المعادية للثورة تلك الخطط بالفشل ووضع تفكك الاتحاد الماني نهاية لبرلمان أيرفورت ••

والفلاحين المتطرف ، وستطيح بالامراء والنبلاء وبعض المدن بعيداً عن الحركة تاركة المجال مفتوحاً اما لتغلب العامة والفلاحين على حزب سكان المدن واما لهزيمة الحركة كلها بعودة الكاثوليكية • ولدينا أمثلة حديثة كافية للبرهنة على أن الاحزاب البورجوازية تحاول تسيير أمورها عن طريق التقدم في ظل القانون بين سكيلا الثورة وشارِ يبديز (١) عودة الملكية وذلك بعد الحصول على أقل المغانم •

وكانت نتائج كل تبدل بالضرورة ترجع على الأمراء بالفائدة وتزيد من سلطانهم في ظل الظروف الاجتماعية والسياسية السائدة في تلك الأيام • وهكذا أصبح الاصلاح البورجوازي تماماً تحت سيطرة الامراء الذين قبلوا الاصلاح كلما زاد انفصاله عن عناصر العامة والفلاحين • وبات لوثر نفسه اكثر فأكثر عبداً لهم • ولقد كانت الجماهير تعرف جيدا ماتفعله عندما وجهت له التهمة بأنه أصبح كالآخرين تابعا للأمراء • وعندما رجموه بالاحجار في أورلاموند • Orlamünde

وعندما هبت حرب الفلاحين حاول لوثر اتخاذ اتجاه وسطي في المناطق التي كانت أكثرية الامراء والنبلاء فيها من الكاثوليك وهاجم الحكومات بشدة وقال ان اللوم يقع عليها في قيام الثورة نظراً لحكمها الظالم وأن الذين ثاروا ضدها ليس الفلاحون بل الاله نفسه • ومع ذلك فقد قال من جهة ثانية أن الثورة عمل لاينال رضاءالاله ومناقضة للانجيل وفي النهاية دعا الحزبين الى الاذعان والتوصل الى تفاهم سلمي •

---

(١) سكيلا وشاريبديز : وحش مخيف في الاساطير اليونانية ذو ستة رؤوس يعيش على صخرة في مواجهة مضايق مينا بحيث لاتستطيع السفن أن تفلت منه مهما اتجهت • ويعني انجلز هنا أن البورجوازية مواجهة بالهزيمة أينما توجهت •

ورغم تلك الوساطة والعروض الجيدة فقد انتشرت الثورة سريعاً وعمت حتى المناطق والمدن البروتستانية التي يحكمها أمراء وسادة لوثريون متجاوزة الاصلاح البورجوازي « **الحذر** » واتخذ أقوى الأقسام بأساً وتصميماً من الثوار بقيادة مونزر مقراً لقيادته في أقرب الأماكن الى لوثر في ثورينجيا • ولم يكن الامر يحتاج الا لعدة انتصارات قليلة أخرى وتشتعل ألمانيا كلها ويستسلم لوثر وربما صلب بوصفه خائناً ، ويطيح تيار ثورة الفلاحين والعامة بالاصلاح البورجوازي • لم يعد هناك وقت للحذر فقد اندثرت كافة العداوات القديمة في وجه الثورة لقد كان خدام سدوم الرومانية حملاناً بريئة وأبناء مخلصين للاله اذا ماقورنوا بقطعان الفلاحين • ووقف الجميع وقفة رجل واحد ، سكان المدن والامراء ، النبلاء ورجال الكنيسة ، **لوثر والبابا ، تحالفوا جميعا** « **ضد قطعان الفلاحين المجرمة النهابة** »[1] • « **يجب أن يحطموا ويخنقوا ويطعنوا بكل وسيلة مكشوفة أو مستتر بيد كل من يستطيع ذلك ، تماما مثلما يجب على المرء أن يقتل كلباً مسعوراً** » • **ويستطرد لوثر** « **لذلك أيها السادة الاعزاء مدوا لنا يد المعونة هنا ، وأنقذوا من هناك ، أطعنوهم واهزموهم واخنقوهم • كل من يستطيع منكم أن يفعل ذلك فليفعله • واذا قضيتم نحبكم فليباركم الاله • لن تستطيعوا الحصول على ميتة أقبل منها أبداً** » • « **كل مايجب أن نبغيه هو ألا توجد رحمة زائفة بالفلاحين • فمن يعطف على من لايعطف عليهم الاله ومن يريد الاله معاقبتهم وسحقهم ينتمي هو نفسه الى العصاة • وفيما بعد سيتعلم الفلاح نفسه أن يشكر الاله عندما سيكون عليه**

---

(١) كتاب ضد حركة الفلاحين نشره لوثر في شهر آب ١٥٢٥ عندما كانت حركة الفلاحين في قمتها •

أن يضحي باحدى البقرتين اللتين يملكهما حتى يستمتع بالاخرى في سلام • وسيتعلم الامراء خلال الثورة روح العامة تلك التي يجب أن تحكم بالقوة فحسب » • والرجل الحكيم يقول « **أطعم الحمار وحمله بالاثقال واضربه بالسوط** » « Cibus onus et virga asino » **فالفلاحون لايجب أن يعاملوا الا بالعصا • انهم حمقى لايصغون للكلمة »** • فليصغوا اذن للحديد والنار وهم يستحقون ذلك • فلنصل من أجل أن يطيعوا • وحيث لايفعلون ذلك يجب أن لاتكون هناك رحمة • فلتدو أصوات المدافع بينهم والا فسيفعلونها ثانية وبأسوأ من ذلك ألف مرة •

وهذا هو نفس ماردده تماماً اشتراكيونا المحدثين وبورجوازيتنا المحبة للانسانية عندما طالبت البروليتاريا بحصتها من ثمار النصر بعد وقائع آذار •

لقد وضع لوثر سلاحا قوياً في ايدي حركة العامة بترجمة الكتاب المقدس • فبواسطة الكتاب المقدس قارن بين تناقض مسيحية الاقطاع في زمنه وبين المسيحية المعتدلة في القرن الأول، وبين المجتمع الاقطاعي المتدهور والمجتمع الذي لم يعرف شيئا عن الهيراركية الاقطاعية المصطنعة والمتعددة • وقد استفاد الفلاحون استفادة كبيرة من هذه الوسيلة ضد الامراء والنبلاء ورجال الكنيسة • **أما الآن فقد قلب لوثر المنضدة عليهم ، مستخرجاً من الكتاب المقدس ترنيمة أصلية تشيد بالسلطات التي عمدها الله كما لم يستطع أعظم لاعق لأحذية الملكية المطلقة أن يفعل** • فلقد بورك نظام الامارة المشمول بالرعاية الالهية ، كما بوركت الطاعة والاستسلام بل والقنانة بواسطة الكتاب المقدس • وبهذا الشكل لم تستنكر ثورة الفلاحين فحسب بل وعصيان لوثر نفسه للسلطات الدينية والدنيوية • ولم تبع الحركة الشعبية فحسب بأبخس الأثمان الى الامراء ، بل بيعت كذلك حركة البورجوازية •

ولسنا بحاجة لأن نذكر هنا اسم البورجوازي الذي ضرب لنا مثلا حديثاً آخر مشابهاً لاستنكار تاريخ البورجوازية نفسها ؟

ولنقارن الآن الثوري الشعبي مونزر بالاصلاحي البورجوازي لوثر ٠

ولد **توماس مونزر** في ستولبرغ Stolberg في الهارز حوالي عام ١٤٩٨ ويقال ان والده مات مشنوقاً لقسوة قلب كونت ستولبرغ وفي سن الخامسة عشرة نظم مونزر اتحاداً سرياً في مدرسة هال ضد أسقف مجدبرغ والكنيسة الكاثوليكية بشكل عام ٠ وقادته دراسة اللاهوت في زمنه الى الحصول على درجة الدكتوراة مبكراً وعلى وظيفة قس في دير هال ٠ وهناك أدى العقائد والطقوس الكنسية بأعظم ازدراء ٠ ففي الصلاة كان يحذف عبارات «تجسيد المسيح» ويأكل الاله القدير دون تقديس ــ على حد قول لوثر ــ وكان موضوع دراساته الأصلي هو تصوف القرون الوسطى وخاصة الأعمال الألفية ليواقيم الكالابري ٠

وكان العصر الألف لحكم المسيح (وهو العصر الذي يقال أن المسيح سيعود فيه ليحكم الارض ألف سنة) ويوم الحساب للكنيسة المتحللة والعالم الفاسد كما قدمها ووصفها هذا الصوفي تبدو لمونزر قريبة جداً بالنظر الى المطالبة بالاصلاح الديني والقلق العام السائد في أيامه ٠ وكانت مواعظه تلاقي اقبالا عظيماً ٠ وفي عام ١٥٢٠ سافر الى زوديكاو Zwickau بوصفه أول واعظ انجيلي وهناك اجتمع باحدى الفرق الشيليانية المهووسة التي استمرت تحيا في هدوء في كثير من الاقاليم والتي كان مظهرها الخانع المؤقت وانعزالها يخيفان ازدياد المعارضة الحادة لأدنى فئات المجتمع ضد الظروف المسيطرة والتي بدأت تظهر اذ ذاك بشكل اكثر جرأة والحاحاً مع ازدياد القلق ٠ وكانت هذه الفرقة ممن يسمون « بأعداء التعميد » يرأسها **نيقولاي ستورش** وكانوا يبشرون بقرب يوم الحساب والعصر الألفي للمسيح وكان لديهم Niltlas Storch وكانوا يبشرون بقرب الحساب والعصر الألفي

للمسيح وكان لديهم « رؤى وكشوف وروح النبوءة » • وسرعان ماوقعوا في صدام مع مجلس مدينة زوديكاو • ودافع مونزر عنهم ولو أنه لم ينضم اليهم قط بل كان أميل الى أن يطويهم تحت جناحه • الا أن المجلس اتخذ اجراءات رادعة ضدهم مما اضطرهم الى مغادرة المدينة ومونزر معهم وذلك في نهاية عام ١٥٢١ •

ومضى مونزر الى براغ حيث حاول أن يثبت أقدامه عن طريق الانضمام الى بقايا حركة الهوسيت Hussite الا أن اعلان انضمامه لهم أرغمه على الفرار من بوهيما • وفي عام ١٥٢٢ أصبح واعظاً في أولستادت في تورينجيا • وهناك بدأ باصلاح العقيدة فمن قبل أن يجرؤ لوثر على المضي بعيداً ، ألغى هو تماماً اللغة اللاتينية وأمر أن يتلى الكتاب المقدس كله على الشعب وألا يقتصر على قراءة الاناجيل المقررة لأيام الأحاد ورسائل الانبياء فقط • ونظم في الوقت نفسه الدعاية في اقليمه فهرع الناس اليه من كافة الاتجاهات وسرعان ماأصبحت أولستادت مركزاً للحركة الشعبية المعادية للقسس في كافة أنحاء تورينجيا •

وكان مونزر لايزال لاهوتيا اكثر من اي شيء آخر، فكان لايزال يوجه هجماته ضد القسس على وجه التحديد ، ولكنه لم يعظ مواعظ هادئة وينادي بالتقدم السلمي كما بدأ لوثر يفعل في ذلك الوقت بل استمر في مواعظ لوثر الأولى العنيفة مطالبا أمراء سكسونيا والشعب أن يهبوا بالسلاح ضد القسس الرومان • « **ألم يقل المسيح لم أرسل بالسلام بل بالسيف فماذا يجب عليكم (ياأمراء سكسونيا) أن تفعلوا بهذا السيف ؟ شيئا واحداً اذا كنتم تريدون أن تصبحوا خداماً للرب وهو أن تطردوا وتحطموا الاشرار الذين يقفون في طريق الانجيل لقد**

كان المسيح جاداً حين قال « جيئوا بأعدائي هنا واذبحوهم امامي » (لوقا ١٩ ـ ٢٧) فلا ترددوا الكلمات الجوفاء عن أن قدرة الرب ستفعل ذلك دون مساعدة سيوفكم لأنها عندئذ سوف تصدأ في أغمادها • ان هؤلاء الذين يقفون في وجه رسالة الرب يجب أن يحطموا دون رحمة مثلما حطم حزقيا دسيروس ويوشع ودانيال والياس كهنة بعال والا فلن تعود الكنيسة المسيحية قط الى أصولها يجب أن نجتث جذور الحشائش من كرمة الرب أثناء الحصاد ••• لقد قال الرب في كتاب موسى الخامس الاصحاح السابع « لن ترحموا عبدة الاصنام ولكنكم ستدمرون معابدهم وتحطمون صورهم وتحرقونهم بالنار حتى لاأصب جام غضبي عليكم » •

ولم تؤثر هذه النداءات في الامراء ، بينما ازدادت العواطف الثورية بين الشعب يوماً بعد يوم وأصبحت أفكار مونزر أكثر جرأة وعلت حدة وضوحها وهجر بلا رجعة الاصلاح الشعبي وأصبح منذ ذلك الحين محرضاً سياسياً بحتاً •

وكانت تعاليمه الفلسفية اللاهوتية تهاجم الأفكار الرئيسية للكاثوليكية والمسيحية عامة ، ففي ظل الاشكال المسيحية كان يقدم عظاته نوعاً من ال Pantheism التي تشبه بشكل غريب التأمل الباطني الحديث (١) Contemplation بل يقارب الالحاد احيانا ورفض الكتاب المقدس بوصفه مصدر الوحي الوحيد • فالالهام الحقيقي الحي ـ كما قال ـ مصدره العقل وهو الهام وجد ويوجد لدى كافة الشعوب في كل الازمان • فوضع الكتاب المقدس في مقابل العقل

---

(١) يشير انجلز الى آراء الفيلسوف الألماني المثالي شتراوس والى الهيغليين الشباب الذين عالجوا في كتاباته المبكرة مسائل الدين كمعتقدين بوحدة الوجود •

معناه أن تقتل الكلمات الروح اذ أن الروح المقدسة التي يتكلم الكتاب عنها ليست شيئاً يوجد خارجنا • ان الروح المقدسة هي عقلنا وما الايمان الا العقل بعث حياً في الانسان • ولذلك فانه يمكن أن يكون لدى الوثنيين أيضا ايمان • وخلال هذا الايمان وخلال العقل الذي بعث حياً أصبح الانسان على شاكلة الاله ومباركاً فالجنة ليست اذن عالماً آخر بل يجب البحث عنها في هذه الحياة ومهمة المؤمنين اقامة هذه الجنة ـ مملكة الله ـ على الارض هنا. وكما توجد جنة فيما بعد فلا يوجد كذلك جحيم ولا عذاب • وبالمثل لايوجد شيطان الا جشع الانسان وشهواته الشريرة• وقد كان المسيح رجلا مثلنا ، نبيا ومعلما ، وعشاؤه وجبة بسيطة للذكرى حيث يؤكل الخبز والنبيذ دون أية زخارف صوفية غامضة •

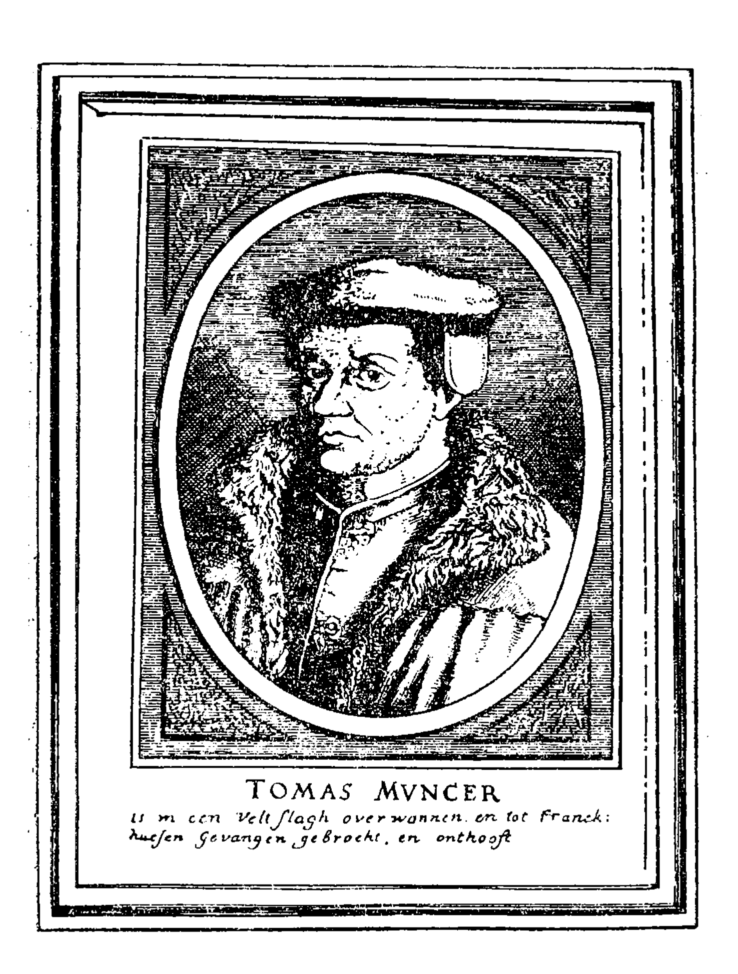
وكان مونزر ينشر تعاليمه هذه مغلفة في الغالب بعباءة من الألفاظ المسيحية الدارجة التي كان على الفلسفة الجديدة أن تتخفى تحتها لفترة من الزمن • الا أن الفكرة الاساسية البالغة الالحادتلحظ بسهولة في كافة كتاباته • ومن الواضح أنه كان يستعمل عباءة الكتاب المقدس بشكل أقل جدية مما يستعملها به كثير من تلامذة هيغل في العصر الحديث • ومع ذلك فان ثلاثمائة عام تفصل بين مونزر والفلسفة الحديثة •

وكانت تعليم مونزر السياسة تسير في أثر مفهوماته الدينية الثورية وكما كان لاهوته يتخطى المفاهيم السائدة في عصره كانت تعاليمه السياسية تسير الى أبعد من الظروف السياسية والاجتماعيه السائدة بشكل مباشر • **وكما كانت فلسفة مونزر الدينية تقارب الالحاد كان برنامجه السياسي يقارب الشيوعية ، بل انه في عشية ثورة شباط كان أكثر من فريق من شيوعيي اليوم تنقصهم**

الروافد النظرية الشاملة التي وجدت لدى مونزر في القرن السادس بقدر ماكان رؤيا تنبؤية بظروف تحرر البروليتاريا ، التي لم تكن قد بدأت بعد في النمو بين العامة • كان هذا البرنامج يطالب باقامة مملكة الله فوراً ، وبالعصر الألفي المنتظر عن طريق اعادة الكنيسة الى مكانتها الأصلية والغاء كافة المؤسسات التي تتناقض مع هذه الكنيسة المسيحية الاولى المزعومة ، والتي كانت في الحقيقة كنيسة جديدة تماماً • **وكان مونزر يعني بملكة الله مجتمعاً بلا فوارق طبقية ولا ملكية خاصة وبلا سلطة دولة مستقلة • بل وغريبة ـ عن أعضاء المجتمع ويجب قلب كافة السلطات القائمةطالما كانت لاتريد الخضوع والانضمام للثورة كما يجب أن يشارك كل الناس في العمل وفي الملكية ، ويجب أن تسود المساواة الكاملة وأن يقام اتحاد لتحقيق كل ذلك لا في ألمانيا فحسب ولكن على نطاق المسيحية كلها • ويجب دعوة الامراء واللوردات الى هذا الاتحاد واذا رفضوا فليحمل الاتحاد السلاح ضدهم ويطيح بهم أو يقتلهم لدى أول فرصة سانحة •**

وبدأ مونزر فوراً في تنظيم الاتحاد وأصبحت عظاته أكثر نضالية وثورية•وأرعد وأبرق ضد الامراء والنبلاء والسادة بحماس مساو لحماسه ضد رجال الكنيسة ووصف مونزر الاستبداد السائد بألفاظ نارية وقابل بينه وبين رؤياهعنالعصر الألفي للمساواة الاجتماعية الجمهورية • ووزع الكتيب الثوري تلو الكتيب وأرسل رسله الى كافة الانحاء ، بينما كان هو شخصيا ينظم الاتحاد في أولشتادت وضواحيها •

وكانت أولى ثمار هذه الدعاية هي تدمير كنيسة سانت ماري في ميليرباخ Mellerbach قرب أولشتادت وفقا لتعاليم الكتاب المقدس



TOMAS MVNCER

is in een Velt ſlagh overwonnen. en tot Franck: huesen Gevangen gebrocht, en onthooft

توماس مونزر

«...سوف تدمرون معابدهم وتحطمون أعمدتهم الى شظايا وتحرقون صورهم المحفورة بالنار». وجاء أمراء سكسونيا بأشخاصهم الى أولشتادت ليهدئوا القلاقل وأتوا بمونزر الى القلعة ، وهناك ألقى موعظة لم يسمعوا بمثلها قط من لوثر «كتلة اللحم المترفة من فيتنبرغ» كما كان يسميه مونزر . وكان مونزر يعتقد أن الحكام الذين يعصون الله وخاصة القسس والرهبان الذين كانوا يعتبرون الانجيل هرطقة يجب أن يقتلوا معتمداً في ذلك على نصوص من العهد الجديد . فالخطاة لاحق لهم في الحياة الا برحمة من أولئك الذين اصطفاهم الله . واذا لم يستأصل الامراء شأفة الخطاة فسوف ينزع الله منهم سيوفهم « **لأن المجتمع بكامله له سلطة السيف** ». ان الامراء والسادة هم المحرك الأول للسلب والنهب والسرقة . انهم يعتبرون كافة الكائنات ملكا خاصاً لهم ، السمك في الماء والطيور في الهواء والنبات في الارض ثم يعظون الفقراء « لاتسرق » بينما يستولون هم أنفسهم على كل مايقع في أيديهم ويسرقون ويستبدون بالفلاحين والصناع ، وعندما يرتكب أحد هؤلاء أقل هفوة فالشنق جزاؤه . ويبارك الدكتور لوغنر (١) كل هذا بقوله آمين . « **ان السادة هم الملومون لأن الفقراء أصبحوا أعداء لهم ، فاذا لم يزيلوا أسباب الثورة فكيف يمكن أن تسير الأمور على مايرام في المدى البعيد ، أيها السادة الاعزاء سيحطم الاله هذه الآنية القديمة بقضيب من حديد ، أعتبر ثائراً بقولي فليكن الأمر كذلك** » (٢) .

---

(١) يشير انجلز الى لوثر وهو يتلاعب بلفظ Lugner الذي يعني بالألمانية لصاً .

(٢) زيمرمان حرب الفلاحين الجزء الثاني .

وطبع مونزر عظته هذه وعاقب الدوق يوهان دوق ساكسونيا طابعها في اولشتادت بالنفي • وحظرت حكومة دوقية فيمار كتابات مونزر منذ ذلك الوقت فصاعداً • الا أنه لم يعر هذا الامر اهتماماً اذ سرعان ماوزع منشوراً شديد (١) الاثارة في مدينة مولهاوزن التابعة للامبراطور دعافيه الشعب الى توسيع نطاق الشغب **حتى يدرك العالم ويرى من هم سادتنا العظام الذين بكفرهم حولوا ربنا الى مانيكان ملون** » **وانتهى** المنشور بقوله ••• « **يجب أن يعاني العالم هزة كبيرة سيكون هناك نضال عظيـم حتى أن الخطاة سـوف يلقون من على كراسيهـم وينهض المغلوبون على أمرهـم** » • كمـا كتب مونـزر « الرجل ذو المطرقة » الشعار التالي على الصفحة الأولى « **احذروا لقد وضعت كلماتي في افواهكـم ولقد رفعتكـم فوق الشعب وفوق الامبراطورية حتى يمكنكم أن تخلعوا وتدمروا وتقلبوا وتنثروا ، حتى يمكنكم أن تبنوا وأن تزرعوا ، ان حائطاً من حديد قد قام ضد الملك والامراء والقسس وضد الشعب • فليقاتلوا بعضهم بعضا فسيؤدي النصر بشكل مدهش الى محو الطغاة الاقوياء المستبدين** » (٢) •

ووقعت القطيعة بين مونزر وبين لوثر وحزبه قبل ذلك بكثير • فقد كان على لوثر أن يقبـل بعض الاصلاحات التي ادخلهـا مونزر دون استشارته • وأخذ يراقب نشاط مونزر بعين المصلح المتبـدل الذي يشك في حزب اكثر نشاط وأبعد هدفاً • وقبل ذلك في ربيع

---

(١) يقصد انجلز كتيب مونزر (الرفض القاطع للاعتقاد الزائف بعدم وجود الـه للعالم بشهادة انجيـل لوقا مقدم للمسيحيـة البائسة ألتي تستحـق الرثاء في ذكرى خطئها هذا » ظهر في مولهاوزن عام ١٥٢٤ •

(٢) يستعيد مونزر في هذه المقدمة كلمات من كتاب النبي جيرميا (العهد القديم) بعد أن بعث فيها معنى ثوريا •

عام ١٥٢٤ كتب مونزر خطابا الى ملانشتون ـ ذلك النموذج للمنافق المحموم جليس البيت ـ يقول فيه أنهما ـ ملانشتون ولوثر ـ **لايفهمان الحركة على الاطلاق ، وانهما يحاولان خنقهما بكلمات الكتاب المقدس وأن تعاليمهما ينخر فيها السوس • « أخي العزيز فليهجر تسويفك وترددك فقد أزف الوقت والصيف على الابواب • لاتبق على صداقة الخطاة الذين يعوقون الكلمة من أن تفعل فعلها • لاتنطر امراءك والا هلكت معهم • أيها المثقفون فئران الكتب الضعفاء لاتحقدوا فاني لاأستطيع أن أعمل شيئا لتغيير ذلك المصير »** •

وكان لوثر قد تحدى مونزر اكثر من مرة لمناظرة مفتوحة ، ولكن الأخير ، المستعد دائماً لخوض معركة أمام الشعب ، لم يكن لديه أدنى رغبة في أن يزج بنفسه في مجادلة لاهوتية أمام جمهور جامعة فيتنبرغ أنصار لوثر • فقد كان لايحب في أن يقتصر استجواب الروح على الاساتذة المتفقهين » فاذا كان لوثر صادقاً فليستخدم سيطرته لوقف الألاعيب ضد ناشر مونزر ورفع قرار الخطر حتى يمكن أن يخضوضا جدلهما بحرية على صفحات الصحف •

ولكن الان وبعد أن منعت مذكرة مونزر الثورية التي سبقت الاشارة اليها تخلى لوثر علانية وأعلن في كتيبه « **رسالة الى امراء سكسونيا ضد الروح الثائرة** » أن مونزر أداة بيد الشيطان وطالب الامراء بالتدخل مثيري الفتنة من البلاد حيث أنهم لم يقتصروا على نشر تعاليمهم الشريرة بل أثاروا العصيان والأعمال العنيفة ضد السلطات •

وفي الأول من آب اجبر مونزر على المثول أمام الامراء في قلعة فيمار بتهمة اثارة التمرد • وجمعت ضده أدلة تدينه بدرجة كبيرة ، فقد تتبعوا اتحاده السري واكتشف أن له يداً في جمعية المعدنين والفلاحين

وهدد بالنفي،وعندما عادالى اولشتات فعلم أن جورج دوق ساكسونيا قد طلب تسليمه له • فقد ضبطت رسائل بخطه يطالب فيهـا رعايا الدوق بالمقاومة المسلحة ضد أعداء الانجيل وكان المجلس سيسلمـه لولا أنه غادر المدينة •

وخلال ذلك قاد ازدياد القلق بين الفلاحين والعامة الى تسهيل العمل الدعائي لمونزر بدرجة لاتقارن • ووجد « اللامعمدين » وسطاء ذوي قيمة كبيرة لهذا الغرض • وقد تجمعت هذه الطائفة التيلاتدين بعقائد محددة والتي يجمعها فقط اشتراكها في معارضة كافة الطبقات الحاكمة والرمز المشترك للتعميد الثاني ، والتي كانت تحيا حياة متقشفة زاهدة لايطالها الملل ، متعصبة جريئة في الدعوة لمعتقداتهـا، تجمعت لتصبح اكثر قرباً من مونزر • ولما كان الاضهاد قد شتت أفرادها ، فقد تشرد أعضاؤها في ألمانيـا يحملون معهم أينمـا حلوا أخبار تعاليمهم الجديدة والتي جعل مونزر مطالبهم ورغباتهم واضحة لهم فيها • وقد عذب الكثيرون من هؤلاء « اللامعمدين » على آلات التعذيب وأحرقوا أو أعدموا ولكن شجاعة واحتمال هؤلاء الرسل لم تتزعزع • وأحرز نشاطهم نجاحا هائلا بين الجماهير التي كاد قلقها يزداد هكذا وجد مونزر عند فراره الارض ممهدة له حيثما اتجه •

وبالقرب من نورمبرغحيثتوجه مونزرحيث كانتثورةفلاحيةقد أخمدت في المهد منذ شهر مضى (١) • ووجه مونزر دعايته في هـدوء وسرعان ماظهر أناس يدافعون عن قضاياه اللاهوتية ، حول الطبيعة

---

(١) وفقا لادق المعلومات اتجه مونزر أولا الى مـدينة مولهاوزن التـابعة للامبراطور ثم نفي منها في ايلول ١٥٢٤ لاشتراكه في الاضطرابات التي حدثت بين فقراء المدينة ومنها اتجه الى نورمبرغ •

غير القسرية للكتاب المقدس ، وسخافة القربان ، وأن المسيـــح مجرد رجل عادي ، وأن سلطة الحكام غير مستمدة من الله • وصاح لوثر « هاهو الشيطان يخطر ••• انها روح اولشتادت » • وفي نورمبرغ نشر مونزر رده على لوثر (١) • وأتهمه بممالأة الامراء وسادة الحزب الرجعي باعتداله السخيف ، الا أن الشعب سيحرر نفسه رغم ذلك وسيكون موقف الدكتور لوثر كالثعلب الأسير • وأمر مجلس المدينة بمصادرة المنشور واخراج مونزر من المدينة •

وانتقل مونزر عبر سوابيا الى الالزاس ثم الى سويسرا وعاد بعد ذلك الى الغابة السوداء حيث كان قد ثار هناك عصيان منذ عدة أشهر يعود الفضل فيه بدرجة كبيرة الى رسل « اللامعمدين » • ولا شك أن رحلة مونزر الدعائية هــذه قد ساهمت بشكل أساســي في اقامة حزب الشعب وفي ولادة مطالبه التي أدت في النهاية الى انفجار العصيان في نيسان ١٥٢٥ ومن خلال هذه الرحلة ظهر بشكل خاص الأثر المزدوج لنشاط مونزر ، فمن ناحيته كان تأثيره على النــاس عظيماً • فقد كان يخاطبهم باللغة الوحيدة التي يفهمونها عندئذ وهي التنبؤ الديني • ومن ناحية أخرى استطاع أن يجند أعضاء يستطيع البوح لهم بأهدافه النهائية • وكان مونزر – حتى قبل رحلته – قد جمع في تورينجيا حلقة من الرجال ذوي الارادة من بين الشعب ومن صغار رجال الكنيسة وضعهم على رأس جمعيته السرية وصار مونزر روح الحركة الثورية كلها في جنوب ألمانيا الغربي ونظم العــلاقات بين ساكسونيا وتورينجيا عن طريق فرانكويا وسوابيا حتى الالزاس

---

(١) كان عنوان ردمونزر الحاد على لوثر « دفاع على أسس متينة ورد على الكافر كتلة اللحم المترفة في فتيبزغ الذي لوث المسيحية المسكينة بشكل يثير الرثاء عن طريق تشويهه الذي لاأثر للخجل فيه للكتب المقدسة » •

والحدود السويسرية وضم الى صفوفه تلامذته وقادة اتحاده مثيري جنوب ألمانيا مثل هيوبرماير من فالد شوت ، وكونراد غريبل من زيورغ وفرانز رابمان من غريش ، وشابلر من منينغن وجاكوب فيهي من لبسيهايم ودكتور مانتل من شتوتغارت ، وكان معظمهم قساوسة ثوريون وبقي هو أكثر الوقت في غريسن على حدود شافهاوزن متنقلا من هناك الى هيغاو وكلتغاو وغيرها • وساهمت الاعدامات الدموية التي قم بها الامراء المذعورون والنبلاء في كل مكان ضد هرطقة العامة الجديدة هذه ، بدرجة كبيرة في اذكاء روح الثورة وتدعيم صفوف الجمعية • وبهذه الطريقة قاد مونزر اثارته لمدة خمسة شهور تقريباً في ألمانيا العليا ثم عاد الى ثورنفيا عندما اقترب موعد وقوع المؤامرة لأنه كانّ يرغب في قيادة الحركة بنفسه وسوف نقابله هناك فيما بعد •

وسوف نرى بصدق كيف عكست شخصية وسلوك قادةالحزبين واتجاه الحزبين • كيف أن تردد لوثر وخوفه من الحركة التي ازدات أبعادها اتساعاً وخضوعه الذليل للامراء • يتفق تماماً مع **سياسة البورجوازية المترددة الغمضة وكيف أن طاقة مونزر وتصميمه الثورين تضاعفا بين اكثر الفئات تقدماً من العامة والفلاحين • وكان الفارق الوحيد بينهما هو أنه بينما قصر لوثر نفسه على التعبير عن آراء ورغبات أغلبية طبقته وبالتالي نال شعبية رخيصة للغاية ،** ذهب مونزر على العكس الى أبعد من الأفكار المباشرة ومطالب العامة والفلاحين فنظم بالدرجة الأولى حزباً من صفوة العناصر الثورية الموجودة حينئذ والتي ظلت دائماً أقلية ضئيلة فقط من الجماهير الثائرة الى الدرجة التي شاركته أفكاره وطاقته فيها •

- ٣ -

وظهرت علامات الروح الثورية بعد حوالي خمسين سنة تقريباً من سحق حركة الهوسيت وذلك بين الفلاحين الألمان •

وفي عام ١٤٧٦ وقعت أول مؤامرة فلاحية في أسقفية فورزبرغ ، وهي أرض كانت حروب الهوسيت ، « والحكومة السيئة والضرائب العديدة ، والأقساط ،والكراهيات،والحرب والنار والجريمة والسجن وما الى ذلك سببا في افقارها » وكذلك الاساقفة والقسس والنبلاء الذين كانوا يسلبون الفلاحين بطريقة دائمة لاتعرف الخجل • وظهر راع موسيقي شاب يدعى **هانز بوهيم من نيكلاسهوزن** فجأة في وادي الثوبر،وادعى النبوة ،كان يدعى أيضا قارع الطبل **أو هانز الزمار** • **وأعلن أن العذراء مريم ظهرت له وأمرته أن يحرق طبلته وأن يدعو** الخاطئة « فليطهر كل واحد نفسه من الخطايا وشهوات العالم الفانية وليهجر الزخارف والبهرج وليحج الى « مادونا نيكلاسهاون » ليحصل على الغفران •

وضمن هذه العلامات نجد نوعا من الزهد المختلط بالدين والذي يميز جميع انتفاضات العصور الوسطى كما يميز في العصور الحديثة المراحل الأولى لكل حركة بروليتارية • وهذا الزهد الروحي الصلب وطلب التخلي عن جميع لذائذ الحياة ومباهجها يواجه الطبقات الحاكمة بمبدأ المساواة الاسبارطية من ناحية ، وهو من ناحية أخرى

مرحلة انتقالية ضرورية لاتندفـع أدنى فئات المجتمـع الى التحرك بدونها أبداً • فلكي تزيد من قواها الثورية وتدرك بميولها العدوانية تجاه جميع عناصر المجتمع وتثبت نفسها كطبقة ، تبدأ الفئات الدنيا من المجتمع بتجريد نفسها من أي شيء يمكن أن يلين جانبها للنظام الاجتماعي القائم • فتجد لزاماً عليها أن تتخلى عن المباهج اليسيرة التي تعينها ــ على الأقل حالياً ــ على تحمل أوضاعها المؤلمة ، والتي لايستطيع أي استبدادأن يحرمها منهاوهذا الزهدالعامي والبروليتاري يختلـف في كل من شكلـه المتعصب الوحشي وجوهره عن الزهـد البورجواي ، كمـا يظهر في الاخلاق اللوثريـة البورجوازية ولـدى الانقياء الانكليز (باعتبارهم مختلفين عن المستقلين والفرق الأخرى الأكثر تطرفاً) والذي يكمن سره في التقتير البورجوازي •

ومن المنطقي أن يفقد هذا الزهد العامي البروليتاري طبيعتـه الثورية تدريجيا كلما ضاعف تقدم القوى الانتاجية الحديثة انتـاج الكماليات بلانهاية • وهكذا تمسي المساواة الاسبارطية شيئاً غفـلا لاحاجة له ، ويصبح بالتالي وضـع البروليتاريا ذاتها اكثر ثوريـة دائماً • ويختفي هذا الزهد تدريجيا من بين الجماهـير والفرق التي تعول عليه،وينحلل اما الى تقتير بورجوازي واما الى تبجج بالفضائل ينتهي بالممارسة أيضا الى تقتير معلمي الطوائف القذر•هذا بالاضافة الى أن دعوة البروليتاريا الى التخلي عن المباهج أمر متعـذر لسبب بسيط أنه لايكاد يوجد شيء لديها كي تطرحه •

ولقيت دعوة هانز الزمار الى التوبة استجابة كبيرة • وقد بدأ كل أنبياء الثورة بالدعوة الى مناهضة الخطيئة • وفي الحقيقة لم يكن ليحرك هذه الأنواع من الفلاحـين المتفككة المبعثرة المنتشـرة ، التي

نشأت على الخضوع الأعمى ، لم يكن ليدفعها الى الحركة المنظمة سوى دافع عنيف للعمل وطرح مفاجىء لكل أوضاع الحياة المألوفة. وبدأ الحج الى نيكلاسهاوزن وانتشر بسرعة ، وكلما اتسع سيل الحجاج كلما ازداد تصريح الثائر الشاب بخططه فقال ان عذراء نيكلاسهاوزن قالت له منذ الآن فصاعدا لايجب أن يكون هناك أمير أو ملك ولابطريرك ولا أي نوع من الاكليروس أو السلطة الدنيوية . يجب أن يكون كل الناس اخوة وأن يكسبوا خبزهم بعرق جباههم وألا ينال واحد أكثر من جاره ، كما يجب الغاء كافة الضرائب والايجارات والخدمات وضرائب استخدام الطرق والاسواق وضرائب الاراضي وكافة المدفوعات والجمارك الى الابد وأن تصبح الغابات والمياه والمراعي مجانا للناس في كل مكان .

استقبل الناس هذا الانجيل الجديد بالفرح وعمت شهرة النبي « رسول سيدتنا العذراء » جميع الارجاء وهرع الحجاج اليه من أودنفالد ومن وين وكوشر وغاست وحتى من بافاريا وسوابيا والراين. ونسبت المعجزات الى الزمار ، وركع الناس أمامه يصلون اليه كقديس ويتقاتلون من أجل قطع من ردائه كما يتقاتلون من أجل الرقى والآثار المقدسة . وعبثا حاول القسس الهجوم عليه ورفض رؤاه ونعتها بأنها أوهام شيطانية ومعجزاته بأنها حيل جهنمية وزاد عدد المؤمنين به ازديادا هائلا وبدأت فرقة ثورية جديدة بالظهور . وأخذت مواعظ الراعي الثائر في أيام الآحاد تشد الى نيكلاسهاوزن جمهوراً يزيد على ٤٠٬٠٠٠ شخص .

واستمر هانز الزمار يعظ الناسد شهوراً عديقد : الا أنه لم يكن يهدف الى الاقتصار على المواعظ .فكانت لديه علاقات خفية بقسيس نيكلاسهاوزن وفارسين هما كونترفون تنفلد وابنه اللذان اعتنقا

مباده وصارا القائدين العسكريين للانتفاضة المدبرة • وفي النهاية، في يوم الأحد السابق على يوم القديس كيلين وعندما بلغت قوته أوجها أطلق الراعي الاشارة فختم موعظته قائلا : « **والآن اذهبوا الى بيوتكم واعلموا أن سيدتنا المقدسة قد أعلنت عن نفسها لكم وفي يوم السبت القادم اتركوا زوجاتكم وأطفالكم وعجائزكم في المنازل وعودوا أنتم أيها الرجال الى نيكلاسهاوزن في يوم القديسة مارغريت الذين يوافق يوم السبت القادم واحضروا معكم اخوتكم وأصدقاءكم اكبر عدد ممكن منهم ولاتحضروا معكم عصا الحجاج بل الدرع والسلاح شمعة في يد وسيف أو حربة أو بلطة في اليد الاخرى وسوف تخبركم العذراء المقدسة عندئذ بما تريدكم أن تفعلوا** » •

ولكن قبل أن تصل جموع الفلاحين قبض فرسان الاسقف على النبي الثائر في الليل ونقلوه الى قلعة فورزبورغ وفي اليوم المحدد تجمع ٣٤٫٠٠٠ فلاح مسلح الا أن الانباء صدمتهم فعاد الكثيرون منهم الى منازلهم بينما جمع الاعضاء حولهم ١٦٫٠٠٠ فلاح وساروا بهم الى القلعة بقيادة كونزفون تنفلد وابنه ميخائيل واغراهم الاسقف بالانصراف والعودة فيما بعد ولكن ماأن تفرقوا حتى هاجمهم رجاله وأسروا الكثيرين واعدم اثنان بقطع الرأس بينما أحرق هانز الزمار وهرب كونزفون تنفلد ولم يسمح له بالعودة الا بعد أن تنازل عن كافة أملاكه للأسقفية •واستمر الحج الى نيكلاسهاوزن لبعض الوقت الا أنه منع كذلك في النهاية • وبقيت ألمانيا بعد تلك المحاولة هادئة لمدة من الزمن ، الا أنه في السنوات الأخيرة من القرن اشتعلت ثورات ومؤامرات فلاحية جديدة •

وسوف نغفل ثورة الفلاحين الهولنديين عام ١٤٩١ - ١٤٩٢ التي أخمدها دوق ساكسونيا أولبرخت في موقعة هيمزكرك . وكذلك الثورة الفلاحية التي حدثت في الوقت ذاته في اسقفية كيمبتن في سوابيا العليا وثورة الفريزيان بقيادة سيارد ايلفا في حوالي ١٤٩٧ والتي أخمدها كذلك الدوق أولبرخت . فقد كانت هذه الثورات من ناحية بعيدة عن مسرح حرب الفلاحين الحقيقية . كما كانت من ناحية أخرى عبارة عن انتفاضات من جانب الفلاحين الاحرار ضد محاولة فرض الاقطاع عليهم قسراً . وننتقل بعد ذلك الى المؤامرتين اللتين وضعتا الاساس لحرب الفلاحين وهما **اليوندشو ، وكونراد الفقير** .

وأدى ارتفاع الاسعار الذي كان السبب في ثورة الفلاحين في الاراضي الواطئة عام ١٤٩٣ الى أن ينشأ في الالزاس اتحاد سري للفلاحين والعامة به أثار من المعارضة البورجوازية الخالصة ، ويتمتع بحد معين من الدعم حتى من قبل صغار النبلاء وكان مقر الاتحاد منطقة شلتسادت وسولز ودامباخ وروزهايم .. الخ .

وكان المتآمرون يريدون سلب اليهود والقضاء عليهم ، اولئك الذين أدى اشتغالهم بالربا في الماضي كما في الحاضر الى امتصاص دم فلاحي الالزاس . كما كانوا يطالبون باقامة احتفال سنوي تلغى خلاله كافة الديون وترفع الضرائب وغيرها من الأعباء وكذلك الغاء البلاط الاكليريكي والامبراطوري والغاء حق فرض الضرائب وتخفيض ما يتقاضاه القسيس الى ٥٠ أو ٦٠ غليدر والغاء الاعتراف السمعي، وانشاء محاكم في الاقاليم ينتخبها الأهالي أنفسهم . وحالما قويت شوكتهم دبر المتآمرون الأستيلاء على شلتسادت المنيعة ومصادرة خزائن الأديرة والمدينة ، وأن يبدأوا منها حركة لاثارة أقليم الالزاس

كله . وكان علم الاتحاد الذي سيرفع في بداية الثورة يحتوي رسماً للحذاء الخشبي الذي يحتذيه الفلاحون يتدلى منه لسان جلدي طويل المسمى بوندشو وقد استخدم كرمز واسم لمؤمرات الفلاحين خلال العشرين عاماً التي تلت ذلك .

وكان المتآمرون يعقدون اجتماعاتهم في المساء فوق جبل هنجر النائي ، وكان الانضمام الى البوندشو يتضمن طقوساً غامضة ووعوداً هائلة بمعاقبة الخائن . الا أن الأمر تسرب قرب عيد الفصح عام ١٤٩٣ وهو الوقت الذي كان معينا للاستيلاء على شلتسادت . وتدخلت السلطات فوراً وألقي القبض على عدد كبير من المتآمرين وخضعوا للتعذيب وأطيح برؤوس البعض وقطعت أصابع وأيدي الكثيرين وطردوا خارج البلاد وهرب كثيرون غيرهم الى سويسرا .

ولكن البوندشو لم تكن لتهزمها هذه الضربات الأولى . بل على انقيض ظلت تعمل سراً ، وانقلب اللاجئون الكثيرون المنتشرون في سويسرا وجنوب ألمانيا الى دعاة . وكان الناس يتعرضون لنفس الكبت في كل مكان وكانت بالتالي لديهم الرغبة ذاتها في الثورة ، ونشروا الدعوة للبوندشو في أنحاء مايعرف اليوم ببادن . ولقد كان العناد والمثابرة صفتان تميز بهما فلاحو جنوب ألمانيا في تآمرهم خلال الثلاثين عاماً التي أعقبت ١٤٩٣ ولقد تغلب الفلاحون بهاتين الصفتين على كافة العقبات الناشئة من اسلوب حياتهم المشتت كما كانت هاتان الصفتان هما سبيلهم الى انشاء تنظيم أوسع وأكثر مركزية ، وكذلك كانت هاتان الصفتان العناد والمثابرة هما السبيل الذي جدد الفلاحون بهما مؤمراتهم المرة تلو الاخرى ابان العديد من الهزائم والانتكاسات واعدام القادة حتى سنحت الفرصة أخيراً لانتفاضة شاملة . وكان ذلك كله شيئاً يثير الاعجاب فعلا .

وظهرت في عام ١٥٠٢ علامات حركة سرية بين الفلاحين في اسقفية سبير التي كانت تضم عندئذ اقليم بروسال • فقد أعاد البوندشو تنظيم نفسه هناك بنجاح حقيقي فانضم حوالي ٧ آلاف الى الجمعية التي اتخذت مقراً لها أونترغرومباخ بين بروشال وفينغارتن التي تشعبت على طول الراين حتى وصلت الى مين والى دوفية بادن • وكانت منشوراتها تقول : « لن تدفع العشور أو الضرائب بعد اليوم للامراء أو النبلاء أو القسس **يجب الغاء الرق ومصادرة الأديرة وغيرها من أملاك الكنيسة وتوزيعها على الشعب وان ندين بحكم الا للامبراطور** » •

وقد عبر الفلاحون هنا لأول مرة عن مطلبي اخضاع أملاك الكنيسة للسلطة الدنيوية لصلحة الشعب واقامة مملكة ألمانية متحدة غير قابلة للانقسام • وسيرفع الفلاحون والعامة هذين المطلبين من الآن فصاعداً حتى يغير توماس مونزر مطلب **توزيع** أملاك الكنيسة الى **مصادرتها** وتحويلها الى **ملكية عامة** • ومطلب امبراطورية ألمانية متحدة الى **جمهورية** متحدة غير قابلة للانقسام •

وكان للبوندشو الجديد — مثل القديم — أماكن اجتماعاتهم السرية وقسم السر وطقوس الانضمام وعلمهم الذي نقش عليه شعار « لاشيء سوى عدالة الرب » وكانت خطتهم في العمل مشابهة لخطة الاتحاد الالزاسي فقد رتبوا الاستيلاء على برونشال التي كان معظم سكانها ينتمون الى البوندشو ، ومن هناك يسير جيش من رجال البوندشو الى الاقاليم المحيطة بها بوصفه نقطة التقاء متنقلة •

وكشف عن الخطة أحد القسس الذي علم بها من أحد المتآمرين أثناء الاعتراف واتخذت الحكومة فورا اجراءات مضادة • ويبدو مدى

انتشار البوندشو من الخوف الذي انتاب مختلف المدن الامبراطورية في الالزاس وفي عصبة سوابيا (١) وتجمعت القوات المضادة وتمت عمليات القبض بالجملة ٠ وأصدر الامبراطور مكسيميليان « آخر الفرسان » مرسوما عقابيا دمويا ضد أعمال الفلاحين التي لم يسبق لها مثيل وتجمعت فئات من الفلاحين هنا وهناك وقاومت بالسلاح ٠ الا أن القوات الفلاحية المنعزلة لم تكن تستطيع المقاومة طويلا ٠ واعدم بعض المتآمرين وهرب البعض الآخر ٠ الا أن السرية كانت محكمة حتى أن الاغلبية والقادة ظلوا في أمان اما في أقاليمهم أو في ممتلكات النبلاء المجاورين ٠

وتلت هذه الهزيمة الجديدة فترة طويلة من الهدوء السطحي للصراع الطبقي الا أن العمل في السر ٠ وتشكلت خلال السنوات الأولى من القرن السادس عشر حركة كونراد الفقير في سوابيا وذلك بتأييد ظاهر من الاعضاء المنتشرين للبوندشو ٠ فقد ظل البوندشو يعيش في فئات صغيرة منعزلة في الغابة السوداء حتى استطاع قائد فلاحي نشيط أن ينجح بعد عشر سنوات في تجمع مختلف الخيوط في مؤامرة كبيرة وانكشفت المؤمرات الواحدة تلو الأخرى في السنوات العاصفة ١٥١٣ ـ ١٥١٥ وفيها نهض الفلاحون السويسرون والهنغاريون والسلوفينيون على التوالي في سلسلة من الانتفاضات الثورية الكبيرة ٠

---

(١) عصبة سوابيا ، تكونت من امراء ونبلاء وأشراف المدن الامبراطورية في جنوب المانيا الغربي عام ١٤٨٨ ٠ كان هدفها الاساسي مناهضة حركة الفلاحين والعامة ٠ وكان للعصبة هيئاتها الادارية والقضائية الى جانب الجيش ٠ الا أنها تفككت في عام ١٥٣٤ نتيجة للمنازعات الداخلية ٠ وكان أمراء الجنوب والغرب يريدون استخدامها في تدعيم حكمهم الأوليجاركي على المانيا ٠

وكــان جوس فرتيز من أونترغرومباخ هو الرجل الذي أحيــا البوندشو في أعلى الراين • وكان أحد لاجئي مؤامرة ١٥٠٢ ، جندي سابق وشخصية بارزة في كافة النواحي • وعاش بعد هربه متنقلا في عدة أقاليم بين بحيرة كونستاس والغابــة السوداء ومكث أخــيراً في ليهن قرب فريبورغ في بريسيجا حيث أصبح أحــد الحراس للغابات ويوجد في سجلات المحاكمة عدد من الحقائق المثيرة عن الطريقة التي أعاد بها تنظيم البوندشو في هذا المركز الملائــم وكيف جند بطريقــة عبقرية اناسا من مختلف الطبقات ، فقد أدت العبقرية الدبلوماسية والنشاط الذي لايكل لهذا المتآمر النموذجي الى تجنيد عدد كبــير من النــاس من مختلف الطبقــات لعضوية ابونــدشو • فرســان وقساوسة وبورجوازية ، وعامة وفلاحين ، بل ويبدو من المؤكد أنــه نظم المؤامرة على عدة مستويات منفصلة بدرجة أو بأخرى فقد استفاد من كل العناصر الممكن استخدامهــا بمنتهى المهارة والفطنــة • فالى جانب الدعاة الأصليــين الذين كانوا يتنقلــون في البلاد ، استخــدم المتشردين والمتسولين في المهمات الاضافية ، وكان جوس على اتصال مباشر بملوك المتسولين وعن طريقهم كان يمسك بالخيوط التي تجمع كافة المتشردين بين يديه • وكان ملوك المتسولين يقومون بدور هــام في مؤامرته • وكانوا شخصيات غاية في الغرابة • فكان كل واحــد منهم يطوف البلاد وقد اتكىء الى فتاة صغيرة يتخذ من رجلها التي تبدو مجروحة حجــة للتسول وفي قبعته اكثر من ثمانــي شارات ، المخلصون الاربعة عشر ، سانت اوسيكي ، أمنا العذراء •• الخ وذلك الى جانب لحية حمراء كبيرة وعصاة ذات عقد وخنجر وشوكة • وآخر يتسول باسم سانت فلتن يحمــل التوابل والبذور للبيع ويرتــدي عباءة مخططة بالفولاز وقبعة حمراء عليها طفل ترنيت ويتدلى سيف

من جانبه وفي منطقته عدة خناجر وسكاكين · والآخرون لديهم جروح صناعية وملابس زاهية مماثلة · وكان يوجد منهم عشرة على الأقل وكان عليهم أن يشعلوا النار في مناطق الالزاس وبادن وبريسغلو في آن واحد مقابل ۲۰۰۰ غليد وأن يضعوا أنفسهم ومعهم ۲۰۰۰ شخص مثلهم على الأقل تحت امرة جورج شنايدر وهو نقيب سابق في المشاة وذلك في يوم معرض أسقفيــة زيران في روزن للاستيلاء على تلـك المدينة · وأقيم نظام للبريدمن محطة لأخرى بواسطة الاعضاء العاملين في البوندشو · وكان جوس فريتز وداعيته الرئيسي ستوتل أوف فريبورغ يتنقلان دائماً من مكــان الى آخر ليعقــدوا استعراضــات عسكرية ليلية للمنتسبين الجدد وتمتلىء سجلات المحاكمة بشواهد كافية على انتشار البوندشو في الريف الأعلى والغابة السوداء ، كما تحتوي أسماء لاحصر لها وأوصافا للأعضاء من مختلف أقاليم تلـك المنطقة · وكان معظمهم اجراء يليهم الفلاحون وأصحاب الخانات وقليل من النبــلاء والقسس (مثل قسيس ليهن) والجنود ممن لايجــدون قوت يومهم · ويبين هذا التركيب للبوندشو الطبيعة الاكثر تطوراً للجمعية في ظل جوس فريتز · فقد بدأ عنصر العامة في المدن يؤكـد وجوده اكثر فأكثر · وامتدت خيوط المؤامرة خلال الالزاس ومايعرف اليوم ببادن الى فيرتمبرغ ومين · وكانت تعقد الاجتماعات الكبـيرة من وقت لآخر في الجبال المنعزلة مثل كينيبس وغيره ، لتناقش مسائل الجمعية · وكانت اجتماعات القادة التي يشترك فيها غالبا الاعضاء المحليون ومبعوثو المناطق البعيدة ، تعقد فوق جبل هارتمان بالقرب من ليهن · وفي هذا المكان أقر برنامج البوندشو المكون من أربعة عشر مادة : لاسيادة الا للامبراطور والبابا (وفقا للبعض) ـــ الغاء محكمة الامبراطورية وقصر المحكمة الكنسية على المسائل الدينية الغاء كافة

الفوائد على رأس المال اذا زادت قيمتها على قيمته - لاتزيد قيمة الفائدة على ٥٪ - حرية الصيد - وصيد الاسماك ، والرعي وقطع الاخشاب - قصر دخل القس على راتب واحد لكل قسيس - مصادرة كافة أراضي الكنيسية وخزائن الاديرة لصالح البوندشو - الغاء كافة الجمارك والضرائب غير العادلة - السلام الدائم في مملكة المسيحية - اتخاذ الاجراءات الرادعة ضد أعداء البوندشو ، وضد الضرائب المفروضة على البوندشو - الاستيلاء على مدينة حصينة مثل فريبورغ لتكون قاعدة لبناء البوندشو - المفاوضات مع الامبراطور حالما تتجمع جموع البوندشو ، ومع سويسرا في حالة رفض الامبراطور للمفاوضة. كانت هذه هي النقاط التي تم الاتفاق عليها ، ومن الواضح أن مطالب الفلاحين والعامة اتخذت باضطرد شكلا اكثر تحددا وجزما . كما أنه من الناحية الاخرى كان يجب اعطاء تنازلات بنفس المقدار الى المعتدلين والمسالمين .

وكان ميعاد الهجوم في خريف عام ١٥١٣ . ولم يكن ينقصه الا الراية فذهب جوس فريتز الى هيبرون لرسمها . وكانت تحمل الى جانب كافة أنواع الصور والرموز صورة حذاء الفلاح الخشبي وشعار « فليساعد الرب على اقرار عدالته القدسية » .

وفي الوقت الذي كان فريتز يقوم بهذه المهمة قامت محاولة غير ناضجة للاستيلاء على فريبورغ ولكنها اكتشفت . فقد أدى شيء من من عدم التزام السرية في نشر الدعاية الى أن وضع مجلس مدينة فريبورغ وحاكم بادن أيديهم على أثر للجمعية ، كما أدت خيانة المتآمرين الى اكمال سلسلة الاكتشافات . وسرعان ماأرسل حاكم بادن ومجلس مدينة فريبورغ وحكومة أنيششيم الامبراطورية (١) ،

---

(١) الحكومة النائبة عن اسرة هامبورغ النمساوية في أعلى الالزاس وبرويسغاو .

الجواسيس والجنود وقبض على عدد من أعضاء البوندشو وعذبـوا وأعدموا • ولكن الاغلبية تمكنت من الفرار للمرة الثانية ومن بينهم جوس فريتز • الا أن الحكومة السويسريـة في هذه المرة اضطهـدت اللاجئين بقسوة بل وأعدمت كثيرين منهم • ولكنها على أي حال لـم تصادف الا نجـاحاً قليلا • مثلما حدث مع جاراتهـا في محاولة منـع الجانب الاكبر من اللاجئين أن يظلوا دائماً على مقربة من أوطانهم ، بل والعودة اليها بعد زمن•وكان الغضب الذي انتاب حكومة الالزاس في انسيشيم أعنف مما انتاب أي حكومة أخرى فحكمت بقطع رؤوس عدد كبير منهم • وتمزيق غيرهم على العجلة وتوسيط البعض الآخر • أما جوس فريتز فقد ظل على الجانب السويسري من الراين أساساً، ولكنـه كان غالبـاً مايجتازه الى الغابـة السوداء دون أن يكتشفـه أحد قط •

أما لماذا عادى السويسـريون البوندشو هذه المرة مثل بقيـة الحكومات المجاورة فيتضح من الثورة الفلاحية التي اندلعت في السنة التالية ١٥١٤ في برك وسولوفرن ولوسـرن وأدت الى التخلص من الحكومات الارستقراطية والسادة عموماً • كما انتزع الفلاحون عدة ميزات لأنفسهم • وكان نجاح الثورات السويسرية المحلية راجعـاً ببساطة الا أن المركزية في سويسرا كانت أقل منها في ألمانيا • وعندما حاول الفلاحون في كل مكان عام ١٥٢٥ التخلص من سادتهم المحليين لم يستطيعوا واستسلموا للجيوش المنظمة للامراء الا أنه لم يكن في سويسرا مثل هؤلاء الامراء •

وفي الوقت الذي ثارفيه البوندشو في بادن،قامت مؤامرة أخرى في فيرتمبرغ على علاقة مباشرة بالاولى على مايبدو • وبينت الوثائق أنها كانت تختمر منذ عام ١٥٠٣ ، ولكن لما كان اسم البوندشو قد

أصبح خطيراً بعد نكسة متآمري اونترغرمباخ فقد اتخذت اسم كونراد الفقير • وكان مقرها وادي الريمز عند سفح جبل هوهنتسوفن ولم يكن وجودها خافيا منذ مدة طويلة على الأقل بالنسبة للشعب • وقد أدى الاستبداد العاتي (الذي لم يكن له وازع من ضمير) لحكومة الدوق أولريخ وكذلك عدة سنوات من المجاعة الى انـدلاع حركات عامي ١٥١٣ ، ١٥١٤ ، كما قادت الى ازدياد عدد المتآمرين • وكانت الضرائب الجديدة التي فرضت على النبيـذ واللحم وضريبـة رأس المال – التي كان مقدارها فينـغ على كل غليدر – سبب انـدلاع الانتفاضة الجديدة • وكان الاتفاق أن يتم الاستيلاء أولا على مدينة شورندوروف ، وهي المدينة التي كان يلتقي فيهـا زعماء المؤامرة في منزل أحد تجار الأسلحة المسمى كاسبار بريجزر واندلعت الثورة ، وتجمع أمام المدينة ثلاثة آلاف فلاح ، وفي قول آخر خمسة آلاف الا أن ضباط الدوق استطاعوا اغراءهم بالوعود المعسولة حتى انسحبوا وعندما وصل الدوق أولريخ – الذي كان قد وافق على الغاء الضرائب الجديدة علي جناح السرعة يقود ثمانين فارسا وجد الهدوء سائـدا بفضل هذه الوعود • فوعـد بعقد مجلس للنواب « دايت » يبحث كافة الشكاوى • الا أن قادة الجماعة كانوا يعلمون جيداً أن أولريخ يعمل على ابقاء الشعب ساكناً حتى يجند ويجمع قوات كافية فيتراجع عن وعده ويجبي الضرائب بالقـوة • ومن منزل كاسبـار بريجرز « مقر كونراد الفقير » أصدروا دعوة لعقد مؤتمر وأرسلوا الرسل الى كافة الجهات • ودفع النجاح الذي حققته الانتفاضة الأولى في وادي الريمز الحركة وسط الجماهير • ولاقت النداءآت والمبعوثين استجابة طيبة • وعقد المؤتمر في أوثوركايـم في ٢٨ أيار وحضـره مندوبون من كافة أنحاء فيرتمبرغ • وتقرر الاستمرار فوراً في الدعاية ، وكذلك

الانتفاض في وادي الريمز لدى أول فرصة حتى تنتشر الانتفاضة من تلك النقطة في كافة الاتجاهات • وبينما كان بانتهانزاوف دتيبنجين وهو جندي سابق وسينجرهانزاوف فوورتينجن وهو فلاح محترم يدعون « سوابيا الألبية » الى الجمعية اندلعت الانتفاضة في كل مكان ورغم أن سينجرهانز قدهوجم والقي القبض عليه الا أن مدن باكنانج، ووبنزن وأركسروتينجن سقطت في أيدي الفلاحين الذين ضموا قواتهم الى العامة وأصبحت المنطقة كلها من فينزبرغ الى بلاويهرن ومنها الى حدود بادن في ثورة مكشوفة • واضطر اولريخ الى الاستسلام • وبينما دعي الى عقد الدايت في ٢٥ كانون الثاني كتب الى الامراء المجاورين والمدن الحرة طالبا العون ضد الانتفاضة التي - على حد قوله تهدد كافة الامراء والسلطات والنبلاء في الامبراطورية «والتي بها شبه غير عادي من البوندشو » •

في ٨ أيار اجتمع الدايت - نواب المدن وممثلو الفلاحين الذين طالبوا بمقاعد لهم فيه - في شتوتغارت • ولم يكن الاساقفة قد حضروا بعد • كما لم يدع الفرسان وأيدت المعارضة في شتوتغارت مطالب الفلاحين ، كما أيدتها حشود الفلاحين الغاضبة في ليونبرغ ووادي الريمز الذين سمح لمندوبيهم بحضور الاجتماع • وتقرر التخلص من مستشاري الدوق الثلاثة المكروهين ومعاقبتهم وهم لامبارتز ، وثومب ، ولودشر،وتعيين مجلس من أربعة فرسان وأربعة من سكان المدن وأربعة من الفلاحين ، وتحديد مخصصات الدوق المدنية ومصادرة الأديرة ومخصصاتها لصالح خزينة الدولة •

وواجه الدوق اولريخ هذه القرارات الثورية بانقلاب • ففي ٢١ حزيران ركب مع فرسانه ومستشاريه الى توبينغن وتبعه الاساقفة وأمر سكان المدينة أن يتبعوه فخرجوا وراءه وعقدوا اجتماع

Die grundtlichen vnd rech
ten haupt Artickel aller
baurſchafft vnd hinderſeſſen
der Geiſtlichen vnd Welt=
lichen oberkeyten vonn
welchen ſye ſich be
ſchwert vermei=
nen.

صفحة من رسالة المواد التي نشرها الفلاحون الثوريون .

الدايت بدون ممثلي الفلاحين • وعندما واجه سكان المدينة الارهاب العسكري خانوا حلفاءهم الفلاحين • وفي ٨ تموز صدر اتفاق توبينغن الذي وضع على كاهل البلاد مايقرب من المليون من ديون الدوق وفرض بعض القيود على الدوق لم يكترث بها قط وتخلص من الفلاحين بعدة عبارات عامة هزيلة وفرض قانون عقوبات حاسم ضد التمرد وتكوين الجمعيات • وبالطبع لم يذكر شيء عن تمثيل الفلاحين في الدايت • واعتبر الفلاحون ذلك خيانة الا أن الدوق الذي كان قد حصل على قروض جديدة بعد أن تحملت ديونه الاقطاعيات سرعان ماجمع جيشاً وأمده جيرانه بالمساعدة العسكرية خاصة نائب الامبراطور Elector Plataine وهكذا تم قبول اتفاق توبينغن على البلاد كلها قرب نهاية تموز ولم تحدث مقاومة الا في وادي الريمز حيث وقف كونراد الفقير • وتوجه الدوق بنفسه الى هناك حيث كاد أن يقتل • وعسكر الفلاحون فوق جبل كابل • ولكن الموضوع عندما طال تفرق الكثير من المتمردين لقلة الغذاء، وعاد الباقون الى أوطانهم بعد أن عقدوا اتفاقا غامضاً مع بعض أعضاء الدايت • وخلال ذلك هاجم أولريخ وادي الريمز رغم الاتفاق فنهب مدنه وقراه بعد أن تقوى جيشه بفضل الفرق التي وضعتها المدن تحت تصرفه، اذ انقلبت هذه المدن ، بعد أن نالت مطالبها ، على الفلاحين وأسر حوالي ١٦٠٠ فلاح قطعت رؤوس ١٦ منهم وأجبر الباقون على دفع غرامات باهظة لخزينة أولريخ • وبقي الكثيرون في السجن لمدد طويلة وصدرت عدة قوانين عقابية ضد أحياء الجمعية وضد كافة تجمعات الفلاحين • وكون نبلاء سوابيا عصبة خاصة للوقوف ضد كافة محاولات التمرد • ونجح قادة كونراد الفقير خلال ذلك في الهرب الى سويسرا • وعاد الكثيرون منهم بشكل فردي الى أوطانهم بعد بضعة سنوات •

وفي الوقت الذي قامت فيه حركة فيرتمبرغ لوحظت علامات أولية لنشاط جديد للبوندشو في بريسجاو وبادن • وفي حزيران حدثت محاولة للتمرد قرب بوهل الا أن المارغريف فيليب تمكن من ضربها وقبض على قائدها جوجل باستيان وقطعت رأسه في فريبورغ•

وفي ربيع عام ١٥١٤ أي العام ذاته ، قامت حرب فلاحية عامة في هنغاريا فقد قامت حملة ضد الاتراك ووعد الأقنان الذين ينضمون اليها بالحرية كالعادة • وتجمع حوالي ٦٠٫٠٠٠ ألف شخص تحت قيادة جورج دوشا وهو أحد أفراد قبيلة الزكلر الذي برز لبطولته في الحرب ضد الاتراك قبل ذلك ونال مرتبة النبالة • وكان الفرسان والنبلاء الهنغاريون لاينظرون بعين الرضى الى هذه الحملة التي تهدد بسلب أملاكهم وعبيدهم منهم • فكانوا يهاجمون الفلاحين المنعزلة ويستردون أقنانهم بالقوة ويسيئون معاملتهم • وعندما وصلت هذه الأنباء الى مسامع جيش الحملة انفجر غضب الفلاحين المقهورين•وغذى اثنان من أشد أعضاء الحملة حماساً وهما لورنتيس ميزيروس ، وبارناباس الحقد ضد النبلاء الخونة وتحول جيش الحملة الى جيش للثورة ووضع دوشا نفسه على رأس الحركة الجديدة • وخيم بفلاحيه في حقول راكوش قرب بودابست وأدت المصادمة باتباع النبلاء في القرى المجاورة وضواحي العاصمة الى بدء الاشتباكات وسرعان ماتحولت الى مناوشات ثم الى « صلاة المساء في صقلية(١) »

(١) صلوات صقلية اشارة الى انتفاضة شعبية قامت في صقلية ضد عائلة انجو الفرنسية التي غزت جنوب أيطاليا وصقلية عام ١٢٦٧ فقد آثار الاستبداد الاقطاعي الهائل والغاء بقايا الحكم الذاتي ، والنهب واستخدام العنف الى اثارة ثائرة الصقليين الذين انتقموا لأنفسهم من المعتدين خلال انتفاضة بالرمو في ٣١ آذار عند صلاة المساة بحيث ذبحوا عدة آلاف من الفرسان والجنود الفرنسيين وطرد المعتدون من صقلية الا أنهم ظلوا محتفظين بسيطرتهم على جنوب ايطاليا لمدة من الزمن •

بالنسبة الى كافة النبلاء الذين وقعوا في أيدي الفلاحين وأحرقت كافة القصور المحيطة بالمنطقة وذهبت تهديدات البلاط عبثا • وبعد أن اتخذت أولى اجراءات العدالة الشعبية مجراها ضد النبلاء تحت أسوار العاصمة انتقل دوشا الى عمليات أبعد • فقسم جيشه الى خمسة فرق أرسل اثنتين منها الى جبال هنغاريا العليا لاثارة الشعب والقضاء على النبلاء ، والفرقة الثالثة بقيادة أمبروس ساليزرس ، وهو من مواطني بودابست بقي في حقول راكوش لمراقبة العاصمة ، بينما سارت الفرقتان الرابعة والخامسة بقيادة دوشا وأخوه جورج لحصار سجدين •

واجتمع النبلاء أثناء ذلك في بودابست ودعوا لنجدتهم يوهان زابوليا حاكم ثيفود في ترانسلفانيا • وهاجم النبلاء – الذين انضم اليهم سكان مدينة بودابست – جيشي راكوش وقضوا عليه بعد أن انضم ساليزرس وعناصر الطبقة الوسطى في جيش الفلاحين الى الأعداء • وأعدم عدد كبير من الأسرى بأبشع وسيلة وأرسل الباقون الى أوطانهم بعد جدع انوفهم وقطع آذانهم •

وفشل دوشا أمام سجرين وسار الى زاناد التي استولى عليها بعد أن هزم جيشا من النبلاء بقيادة ستيفان باتواي والاسقف ساكي • وتقاضى ثأرا دمويا من الاسرى في مقابل فظائع راكوش من بينهم الأسقف والمستشار الملكي تيليكي • وفي زاناد أعلن الجمهورية والغاء طبقة النبلاء والمساواة العامة وسيادة الشعب • وسار بعد ذلك الى تيمسفار التي هرب اليها باتوري وبينما ظل يحاصر هذه القلعة طيلة شهرين وتعززت قواته بجيش جديد بقيادة أنطون هوزو، لاقى جيشاه الآخران في هنغاريا العليا الهزيمة في عدة مواقع على ايدي النبلاء • وتقدم يوحان زابوليا بجيشه الترانسلفاني لملاقاته • وهاجمه وفرق

شمل الفلاحين وأخذ دوشا أسيراً وشوي حيا على مقعد محمى وأكل لحمه أتباعه الذين ارتضوا هذا الشرط لاطلاق سراحهم • وتجمع شمل الفلاحين مرة أخرى تحت قيادة لورنيتس وهوزو ، الا أنهم هزموا ثانية ومن وقع منهم في ايدي العدو شنق أو وضع على الخازوق•وعلقت الآلاف من أجساد الفلاحين على الطرق أو في مداخل القرى المحترقة • ويقال ان ستة آلاف قد سقطوا في القتال أو ذبحوا• واهتم النبلاء في اجتماع الدايت الذي تلا ذلك بأن يعاد الاعتراف بالقنانة قانوناً من قوانين البلاد •

أما ثورة الفلاحين في ملكيات الفند أي في كارنيثيا وكارنيولا وستيريا التي حدثت في الوقت نفسه تقريباً فقد نشأت أصلا من مؤامرة ــ تشبهمؤامرة البوندشو كثيراً ــ دبرت وأثارت انتفاضة منذ عام ١٥٠٣ في تلك المنطقة • التي امتص دماءها موظفو الامبراطور ، واستهلكها الغزو التركي وعذبتها المجاعات • وفي عام ١٥١٣ رفع فلاحو هذه المنطقة من السلوفينيين الألمان مرة أخرى علم معركة « الحقوق القديمة • واذا كان هؤلاء الفلاحين قد استكانوا للهدوء في المرة الأولى واذا كانوا في عام ١٥١٤ عندما تجمعوا من جديد في أعداد كبيرة قد خضعوا لاغراء الامبراطور مكسيميليان بالوعد الصريح باعادة الحقوق القديمة وعادوا الى بيوتهم•فقد اندلعت حرب الانتقام لهذه الخدع بقوة شديدة في ربيع عام ١٥١٥ • وكما حدث في هنغاريا دمرت الحصون والأديرة وحوكم الأسرى من النبلاء أمام قضاة من الفلاحين واعدموا • وفي ستيريا وكارنثيا سرعان ماتمكن قائد قوات الامبراطور (دتيرشتين) من سحق الثورة • أمافيكارنيولا فلم تسحق الثورة الا بمذبحة على الراين (في خريف ١٥١٦) وبالفظائع التي ارتكبها النمساويون بعد ذلك والتي كانت جزءاً متمماً لفظائع النبلاء الهنغاريين •

ويتضح من ذلك أن السبب في اخلاد الفلاحين الألمان للهدوء فترة طويلة هو تلك السلسلة من الهزائم الحاسمة والفظائع الجماعية للنبلاء ومع ذلك فلم تتوقف المؤامرات والانتفاضات المحلية تماماً ، ففي عام ١٥١٦ عاد معظم اللاجئين من البوندشو وكونراد الفقير الى سوابيا والراين الأعلى ، وفي عام ١٥١٧ عادت البوندشو الى كامل سطوتها في الغابة السوداء • ورجع جوس فريتز نفسه الذي كان لايزال محتفظاً منذ ١٥١٣ براية البوندشو على قلبه ، عاد ليقطع مسالك الغابة السوداء ويباشر نشاطه الشديد • ودبرت المؤامرة من جديد ، تماما مثلما كانت الاجتماعات تعقد منذ ٤ سنوات مضت فوق جبل كينبس • الا أن السر ذاع وعلمت الحكومات بالأمر وتدخلت وقبض على الكثيرين وأعدموا • واضطر أعظم الأعضاء ذكاء ونشاطاً الى الهرب ومن بينهم جوس فريتز الذي تمكن من الهرب مرة أخرى ولو أنه يبدو أنه مات في سويسرا اذ لم يسمع عنه خبر بعد ذلك •

- ٤ -

وعنـدما كانت تسحق مـؤامرة البوندشو الرابعة في الغابـة السوداء ، أطلـق لوثر في فتنبرغ اشـارة البدء للحركـة التي كان مقرراً لها أن تجر كافة المقاطعات الى الدوامة وأن تهز الامبراطورية كلها هزاً • فقد كان للمواد التي نشرها هذا الأوغسطيني (١) القادم من تورنجيا أثر الكبريت على البارود• اذ وجدت فيها المطامح المتصارعة المتعددة للفرسان وسكان المدن والفلاحين والعامة والامراء الراغبـين بالسلطة ، وصغار رجال الدين والفرق الصوفية السرية والمعارضة الادبية المثقفـة التي كانت تتناول الأوضاع بالكتـابة الساخرة (٢) (البرلسك) وجدت كل تلك المطامـح في قضايا لوثر تعبـيراً عاماً مشتركا مؤقتاً جمعت نفسها حوله بسرعة مدهشة • وكشف هـذا التحالف الذي تكون في يوم وليلة من كافة العناصر المعارضة ، كشف فجأة عن القوة الهائلة للحركة ودفعها الى الامام بسرعة أكبر •

---

(١) يشير انجلز الى الخمسة وتسعين مادة في البيـان الذي الصقـه لوثر على باب كنيسة فيتنبرغ (وقد بدأ لوثر حياته الكنيسية كراهب بسيط في دير اوغسطين في تورينجيا) وكانت هذه المواد تحتج بشدة ضد بيع صكوك الغفران وتحقر من شان رجال الدين الكاثوليكي كما كانت تحتوي الخطوط العامة المبداية لتعاليم لوثر الدينية المصاغة وفق فكرة الكنيسة الرخيصة التكاليف لدى سكان المدن•

(٢) البرلسك Burlesque نوع من الأدب الساخر ، انتشـر بين كتـاب عصـر النهضة وأصحاب النظرية الانسانية استخدموه للتسخيف من الاسلوب المنمق لشعر البلاط والسلوك المتعالي للفئة العليا من المجتمع الاقطاعي •

الا أن هذا النمو السريع للحركة كان من المحتم أن ينمي بذور الشقاق التي كانت مختفية في داخله • وعلى الأقل كان محتوماً أن يمزق الاجزاء المكونة لتلك الكتلة الهائجة والتي كانت بحكم مكانها في الحياة في تناقض مباشر مع بعضها البعض • ويعيدها الى حالها الطبيعي من العداوة • وكان هذا الاستقطاب للمعارضة المتنافرة الى قطبين أمراً ملحوظاً منذ السنوات الأولى للاصلاح الديني • فتجمع النبلاء وسكان المدن بدون قيد ولا شرط تحت قيادة لوثر بينما كون الفلاحون والعامة ـ الذين كانوا حتى ذلك الوقت لايرون في لوثر عدواً مباشراً ـ حزبا ثوريا منفصلاللمعارضة كماكان الحال من قبل، وكل ماجد في الأمر أن الحركة قد غدت الآن اكثر سعة وشمولا وأكثر تطلعاً عما كانت قبل لوثر وبالتالي جعلت من التناقضات الحادة والصراع المكشوف بين الحزبين أمرا حتميا • وسرعان مابرز هذا التناقض المباشر • فهاجم كل من لوثر ومونزر بعضهما البعض في الصحف وعلى المنابر تماما مثلما كانت تضم في الغالب لوثريين أو على الأقل قوات ميالة للوثر ـ تجتث جموع الفلاحين والعامة •

أما كيف تباينت مصالح ومطالب العناصر المختلفة المنضوية تحت لواء الاصلاح الديني فيتضح من محاولة النبلاء تحقيق مطالبهم في مواجهة الامراء ورجال الدين حتى قبل حرب الفلاحين •

وقد سبق أن رأينا موقف النبلاء الألمان في مستهل القرن السادس عشر • فقد كانوا في طريقهم الى فقدان استقلالهم والخضوع الى الامراء الدينيين والدنيويين الذين كانت تزداد سيطرتهم ورأت طبقة النبلاء في الوقت نفسه أن انهيار السلطة الامبراطورية يسير جنبا الى جنب مع تفتت الامبراطورية الى عدد من المقاطعات ذات السيادة واعتبرت أن انهيارها هي نفسها مرتبط بانهيار الألمان كأمة •

وفضلا عن ذلك فان النبلاء وخاصة الفئة الخاضعة مباشرة للامبراطور كانت هي الطبقة التي بفضل اتخاذها الحرب مهنة لها وموقفها من الامراء ، كانت تمثل الامبراطورية والحكم الامبراطوري • كذلك كان النبلاء هم اكثر الطبقات وطنيـــة ، وكلما زادت القوة الامبراطوريـــة والوحدة الألمانية وضعف الامراء وقل عددهم كلما ازدادت قوة النبلاء وسطوتهم • وكان هذا هو السبب في الغضب العارم والعام للفرسان على الحالة السياسية المتدهورة لألمانيـــا ، مابين ضعف السياســـة الخارجية للامبراطورية ـ التي ازداد ضعفهـــا كلما ضمت العائلـــة الامبراطورية بحكـــم الوراثة مقاطعة اثر مقاطعـــة ـ ومابين دسائس الدول الأجنبية ضد الحكم الامبراطوري • لهـــذا كان لابد أن تتركز مطالب النبـــلاء في اصـــلاح امبراطوري على حســـاب الامراء وكبـــار رجال الكنيسة • وقد أخذ أولريخ فون هتن منظر النبلاء الألمان على عاتقه مهمة صياغة مطلب الاصلاح مع فرانز فون سيكنجن المتحدث الرسمي العسكري والديبلوماسي باسم النبلاء •

وقد صاغ هتن الاصـــلاح الامبراطوري المطلوب باسم النبـــلاء بطريقة رئيسية واضحة المعالم فلم يطلب أقل من القضاء على كافة الامراء والاستيلاء على كافة المقاطعات ومدن الكنيسة واملاكها واقامة ديموقراطية النبـــلاء برئاسة ملك ، تشبـــه بدرجة كبير الجمهوريـــة البولندية الأخيرة في أوج مجدها • وكان هتن وسييكنجن يأمـــلان في توحيد الامبراطورية وجعلها حرة ذات سطوة مرة أخرى عن طريـــق حكم النبلاء ، وطبقة عسكرية سائدة ، والقضاء على الامراء حاملـــي بذور الشقاق ونسف سلطة الكهنة وتحرير المانيا من سيطرة روما•

وكانت ديموقراطية النبلاء هذه مؤسسة على العبودية كمـــا كان الحال في بولندا ، وكما كان الحال بشكل معدل في الدول التي

غزتها القبائـل الجرمانيـة في القرون الأولى : وهي أحد الأشكـال البدائية جداً للمجتمع وطريق نموها الطبيعي هو هيراركية اقطاعية نامية بدرجة كبيرة وعلى مستوى عال · ومثل هذا النمط · ومثـل هذا النمط من ديمقراطية النبلاء الخالصة كان مستحيلا في القـرن السادس عشر · كانت مستحيلة ولو لسبب واحد وهو وجود المدن الألمانية الهامة القوية · ومن الناحية الاخرى كان من المستبعد قيام تحالف بين صغار النبلاء والمدن ، كالذي أحدث في انكلترا التحول من الملكية الاقطاعية الى الملكية البورجوازية الدستورية · فكانت لاتزال تعيش في ألمانيا طبقة النبلاء القديمة بينما كانت قد تقلصت في انكلترا في حروب الوردتين الى ٢٨ عائلة ، وحل محلها نبلاء جدد ذوي أصول بورجوازية وميول بورجوازية · أما في ألمانيا فكانت القنانة لاتزال منتشرة وكان النبلاء يستخلصون دخولهم من مصادر اقطاعية بينمـا كانت القنانة قـد ألغيت في انكلترا وأصبـح النبلاء مـلاك أراضي بورجوازيين عاديين ذوي مصدر بورجوازي للدخل وهو ريع الارض · وفي النهاية كان من المستحيل وجود تمركز للملكية المطلقـة كالذي قام في فرنسا منذ عهد لويس الحادي عشر ونما من خلال الصراع بين النبلاء والبورجوازية · كان ذلك مستحيلا في ألمانيا ولو لسبب واحد هو انعدام ظروف قيام القومية المركزيـة تماما أو وجودها بشكـل بدائي جداً ·

وفي ظل هذه الظروف وجد هتن أنه كلما توغل في وضع مثله موضع التطبيق كلما وجد نفسه مضطراً الى المزيد من التنازلات ، وكلما أصبحت الخطوط العامة لاصلاحـه الامبراطوري غير محـددة المعالم · وكان النبلاء تنقصهم القوة لفرض الاصلاح الذي يريدونـه بأنفسهـم · وكان ضعفهم واضحـاً اذا ماقورنوا بالأمراء · كانـوا

يحتاجون الى حلفاء الا أنهم لم يكونوا ليوجدوا الا في المدن وبين الفلاحين والمنظرين الاقوياء لحركة الاصلاح الديني. ولكن المدن كانت تعرف النبلاء جيداً لدرجة لاتسمح لها بالثقة بهم ، ورفضت بالتالي كافة عروض التحالف . وكان الفلاحون يرون في النبلاء ألد أعدائهم ، الذين يستغلونهم ويسيئون معاملتهم . أما بالنسبة لمنظري الاصلاح الديني فكانوا اما مع سكان المدن والامراء واما مع الفلاحين . فما هي بالله الميزات التي كان بوسع النبلاء أن يعدوا بها سكان المدن والفلاحين مع اصلاح امبراطوري يقصد به أساساً اعلاء شأن النبلاء. وهكذا لم تكن أمام دعاية هتن الا أن تتحدث باختصار شديد أو تصمت عن مستقبل العلاقات بين النبلاء والمدن والفلاحين ، وأن تلقى اللوم كل اللوم على الامراء والقسس وعلى الاعتماد على روما وأن تبين لسكان المدن أنه من مصلحتهم أن يظلوا على الحياد على الأقل في الصراع المقبل بين النبلاء والامراء . ولم تذكر شيئا عن الغساء القنانة أو الخدمات التي يفرضها النبلاء على الفلاحين .

لقد كان موقف النبلاء الألمان من الفلاحين في ذلك الوقت هو نفس موقف النبلاء البولنديين من فلاحيهم خلال حركات التمرد والعصيان ١٨٣٠ ـ ١٨٤٦ ، وكما هو الحال في الانتفاضات البولندية الحديثة لم يكن من المستطاع قيام الحركة في ألمانيا الا عن طريق تحالف كافة أحزاب المعارضة وخاصة النبلاء والفلاحين . الا أن هذا التحالف ذاته هو ماكان مستحيلا في كلا البلدين . فلم يكن النبلاء مواجهين بضرورة التخلي عن ميزاتهم السياسية وحقوقهم الاقطاعية على الفلاحين بينما لم يكن من الممكن جر الفلاحين الثوريين عن طريق مشروعات غامضة وعامة الى التحالف مع النبلاء ، أشد الطبقات اضطهاداً لهم . فلم يكن في مقدور النبلاء كسب الفلاحين الى

صفهم في ألمانيا عام ١٥٢٢ ، تماماً مثلما فشلوا في ذلك عام ١٨٣٠ في بولندا • لم يكن من الممكن جذب سكان الريف الى النبلاء الا عن طريق الالغاء الكلي للقنانة والعبودية وكافة امتيازات النبلاء • ولكن النبلاء مثلهم مثل كافة الطبقات الممتازة لم تكن لديهم أدنى رغبة في التخلي طواعية عن امتيازاتهم ومكانتهم البالغة الرفعة ومعظم مصادر دخلهم •

وهكذا عندما وقع الصدام في النهاية وجد النبلاء أنفسهم وحدهم في الميدان أمام الامراء • ولم تكن مفاجأة أن الامراء ـ الذين ظلوا لمدة قرنين من الزمان يسحبون الارض من تحت أقدام النبلاء ـ أحرزوا نصراً سهلا هذه المرة أيضاً •

ومجرى الوقائع معروف ، ففي عام ١٥٢٢ نظم هتن وسيكجن الذي كان معترناً به القائد السياسي والعسكري لنبلاء وسط ألمانيا ، نظما في لانداو اتحاداً لنبلاء الراين وسوابيا وفرانكونيا مدته ست سنوات وغرضه الظاهر الدفاع عن النفس • وكون سيكجن جيشا اعتمد فيه على موارده الخاصة من ناحية وعلى التعاون مع جيرانه من ناحية أخرى • ونظم عملية التجنيد والتعزيزات في فرانكونيا وعلى طول الراين الادنى وفي الاراضي الواطئة ووستفانيا • وفي شهر ايلول ١٥٢٢ بدأ الاشتباكات باعلانه الحرب ضد أسقف ترير • وبينما كان معسكراً قرب ترلير قطعت خطوط امداداته بتدخل سريع من الأمراء وهرع لاندجريف أوف هيس والبالاتين الى نجدة ترير • واضطر سيكجن الى التقهقر بسرعة الى قصره في لاندشتول • ورغم كافة جهود هتن وأصدقائه الآخرين تركه النبلاء المتحدون معه وحيداً بعد أن أخافتهم حركة الامراء السريعة المتناسقة ، وجرح سيكجن جرحاً مميتاً • وسلم لاندشتول وسرعان ماأسلم الروح • واضطر

هتن الى الهرب الى سويسرا حيث مات بعد عـدة شهور في جزيرة أوفنا في بحيرة زيوريخ ٠

وأدت هذه الهزيمة ووفاة الزعيمين الىدحرقوة النبلاء بوصفهم هيئة مستقلة عن الأمراء ٠ ومنذ ذلك الحين فصاعداً لم يظهر النبلاء الا في خدمة وتحت قيادة الامراء ٠ وأدت حرب الفلاحين التي اندلعت بعد ذلك بوقت قصير الى وقوع النبلاء تحت حماية الامراء المباشـرة أو غيرالمباشرة وبرهنت أيضا على أن النبلاء الألمان يفضلون الاستمرار في استغـلال الفلاحـين تحت سيطرة الامراء على أن يتلبوا سلطـة الامراء والقسس في تحالف صريح مع الفلاحين المتحررين ٠



قوات الفلاحين أثناء المسير والزحف

٥

ولما تكاد تمر سنة على اعــلان لوثر الحرب على الهيراركيـة الكاثوليكية Catholic hierarchy حتى انطلقت جميع عناصرالمعارضة في ألمانيا في التحرك بـدون أن يقدم الفلاحون مطالبهم • وبـين عامي ١٥١٨ و ١٥٢٣ كانت الثورات المحلية الواحدة بعد الاخرى تنطلق في الغابة السوداء وفي سوابيا العليا • وبعد ربيع عام ١٥٢٤ أصبحت هذه الثورات متعاقبة • ورفض الفلاحون في شهر نيسان من عام ١٥٢٤ في **أسقفية مارختال** Abbey of Marchthall أن يؤدوا ضريبة القنانة، كما أعلن فلاحو شتاينهيم قرب ميمنجن أنهم لم يدفعوا العشور • وفي شهري تموز وآب ثار فلاحو نيرجاو وأخمدت ثورتهم نتيجة لتدخل زيوريخ من جانب ولوحشية الاتحاد الذي أعدم عددا كبيرا منهـم من جهة أخرى • واخيرا قامت انتفاضة حاسمة في دوقية شتولينجن وهي التي يمكن اعتبارها **البداية المباشرة لحرب الفلاحين** •

ورفض فلاحو شتولينجن فجأة تسليـم أي شيء اللاندغريف Landgrave وتجمعوا في أعداد قوية وفي ٢٤ آب ١٥٢٤ تحركوا نحو فالشوت بقيادة هانز موللر أوف بولجيناخ وأنشأوا جمعية أخوية بروتستانتية (أنجيلية) بالاشتراك مع سكان المدن • وانضم الأخيرون الى المنظمة لأنهم كانوا عندئذ في صراع مع حكومة الممتلكات النمسوية (١) حول

---

(١) وتشمل ممتلكات أسرة هابسبورغ النمساوية ونوابهم المباشرين في سوابيا العليا والغابة السوداء •

اضطهادها الـديني لواعظهم بالتهـازار **هيبماير** صديق توماس مونزر وتلميذه • وفرضت الجمعية ضريبة اسبوعية على الاعضـاء مقدارها ٣ كرويتزر وهو مبلغ كبـير بالنسبة لقيمة المال عنـدئذ • وأرسل الـدعاة الى الالزاس والمزيـل وكافة أنحـاء الراين الاعلى وفرانكونيا لدعوة الفلاحين في كل مكان الى الاشتراك في الجمعية • وأعلنت الجمعية هدفها : الغاء الحكم الاقطاعي وتحطيم كافة الحصون والاديرة واستئصال كافة السـادة ماعدا الامبراطور • وكان العلـم **الألماني الثلاث الألوان** (١) شعارا للجمعية •

وربحت الانتفاضة تأييدا سريعا في جميع مايعرف الآن ببـادن العليا واجتاح الرعب نبلاء سوابيا العليا الذين كانت معظم جيوشهم في ايطاليا مشتركة في الحرب ضد فرنسيس الأول ملك فرنسا • ولم يكن أمامهم خيار لامعالجة الأمر بالمفاوضات حتى يتمكنوا من جمع الأموال وتجنيد القوات فيعاقبوا الفلاحين على جرأتهم « باحراقهـم وجلدهم وقتلهم (٢) وهناك بدأت تلك الخيانة المنظمة والخداع والحقد المضطرد الذي ميز النبلاء والأمراء خـلال حرب الفلاحين بأكملها ، والذي كان سلاحهم الحاد ضد الفلاحين المفككين الذين كان تنظيمهم غاية في السوء • وتدخلت عصبة سوابيا التي كانت تشمـل الامراء والنبلاء والمدن الامبراطورية في جنوب غرب ألمانيا بين الفريقين ولكن دون أن تؤمن للفلاحين أي تنـازلات حقيقية • وظـل الفلاحون في حركتهم ، وسار هانز موللر أوف بولجنباخ من ٣٠ ايلول حتى منتصف تشرين الأول عبر الغابة السوداء الى اوراخ وفورتوانجن وزادت قواته

(١) العلم الاسـود ، الاحمر ، الذهبي الـذي كان رمزاً في ذلك الوقت وفيمـا بعـد للوحدة الألمانية •

(٢) مقتبسة من الانذار النهائي الذي وجهه جورج تروتشس قائد الجيش الانتقامي لعصبة سوابيا الى الفلاحين الثوار في هيجاو في ١٥ شباط ١٥٢٥ بعد أن جمع النبلاء قواتهم المعادية للثورة •

حى بلغت ٣٥٠٠ رجل واتخذ مواقعه قرب ايفاتنجن « في ضواحي شتوهلينجن» • ولم يكن لدى النبلاء اكثر من ١٧٠٠ رجل وحتى هؤلاء كانوا مفرقين • واضطر النبلاء لطلب الهدنة التي عقدت بالفعل في معسكر ايفاتنجن • ووعد الفلاحون بتسوية سلمية امابشكل مباشر بين الاطراف ذات المصلحة أو بواسطة مفوضين • على أن تقوم المحكمة الاقليمية في ستوكاخ Stockach بتحقيق الشكاوى • وبناء على ذلك تفرقت جيوش كل من النبلاء والفلاحين •

وانجز الفلاحون ستة عشر مطلبا يقدمونها الى محكمة ستوكاخ • وكانت المطالب متواضعة جدا فلم تذهب الى أبعد من الغاء حقوق الصيد وعمل السخرة والضرائب القهرية وامتيازات السادة عموما والحماية ضد السجن التعسفي الجائر والمحاكمات التعسفية •

وماأن عاد الفلاحون الى بيوتهم حتى طالب النبلاء باعادة كافة الامتيازات المتنازع عليها معطلين قرار المحكمة • وبالطبع رفض الفلاحون وأحالوا النبلاء الى المحكمة وثار الصراع من جديد وعاد الفلاحون للتجمع ثانية • وحشد الامراء والنبلاء قواتهم • وفي هذه المرة اتسعت الحركة اكثر الى مابعد بريسجاو وفي أعماق فيرتمبورغ وأخذت جيوش النبلاء بقيادة **جورج ترتشس** أوف فالدبرغ الملقب « البا حرب الفلاحين » (١) تراقب تحركات الفلاحين وتهاجم الفرق المنفردة منهم ولكنها لم تجرؤ على مهاجمة القوة الرئيسية • وتفاوض جورج ترتشس مع رؤساء الفلاحين واستطاع ان يصل الى اتفاقات في عدة أماكن •

وفي نهاية شهر كانون الأول بدأت الاجراءات القضائية في محكمة ستوكاخ

(١) نسبة الى القائد العسكري الشهير دوق البا •

الاقليمية • واحتج الفلاحون بأن المحكمة تتألف بأجمعها من النبلاء تقريء عليهم ردا على ذلك المرسوم الامبراطوري imperial edict (١) • فسحبت الاجراءات وخلال ذلك سلح النبلاء والامراء عصبة سوابيا أنفسهم وأمر الارشيدوق فردينانده الذي كان يحكم فيرتمبرغ (١) والغابة السوداء جنوب الالزاس بالاضافة الى الارض التي ورثها والتي كانت ماتزال تعود الى النمسا ، أمر الارشيدوق باستخدام أشد القسوة مع الفلاحين المتمردين • فقد كان يجب القاء القبض عليهم وتعذيبهم وذبحهم بلا رحمة • يجب ابادتهم بأي طريقة ملائمة وحرق ممتلكاتهم وتدميرها وطرد زوجاتهم وأولادهم من الارض •• وهذا يبين ببساطة كيف كان الامراء والنبلاء يتقيدون بالهدنة الحربية • وماذا كانوا يعنون بالوساطة الوديةوالتحقيق في المظالم • وسلح الارشيدوق فرديناند ـ الذي كان يتلقى المال من البيوت الحاكمة في فلسر واوجزبرغ ـ نفسه بكل سرعة • وقررت عصابة سوابيا أن تجمع الأموال وتنشىء جيشا على ثلاث دفعات •

وحتى هذه اللحظة تزامن حدوث هذه التمردات مع الشهور الخمسة التي قضاها توماس مونزر في المناطق الجبلية • ولايوجد دليل مباشر على تأثير بداية الحركة ومجراها به • الا أنه من المؤكد أنها تأثرت به بشكل غير مباشر • فقد كان أغلب الثوريين العنيدين بين الفلاحين من تلامذته ويدافعون عن آرائه وينسب اليه معاصروه جميعا صياغة المواد الاثني عشر وبيان برنامج فلاحي المناطق الجبلية رغم

(١) كان المرسوم الامبراطور مكسيمليان ينص بأنه لايسمح الا لممثلي الطبقات النبيلة بعضوية المحاكم الاقليمية •

(٢) بعد أن نفت عصبة سوابيا ونبلاء فيرتمبورغ وسكان مدنها الدوق أولريخ في ١٥١٩ انتقل حكم فيرتمبرغ الى الارشيدوق النمساوي •

أنه من المؤكد أنه لم يكن له دور في تأليف الأولى على الأقل • وعندما كان في طريقه عائداً الى تورينجيا وجه بيانا ثوريا جريئاً الى الفلاحين(١) •

وكان الدوق أولريخ الذي نفي من فيرتمبرغ في ١٥١٩ مشتركا في المؤامرات لاستعادة أرضه بمساعدة الفلاحين ولم يتوقف منذ نفيه عن استخدام الحزب الثوري وكان يعاونه باستمرار ، وارتبط اسمه بكثير من الاضطرابات المحلية بين عامي ١٥٢٠ — ١٥٢٤ في الغابة السوداء وفيرتمبرغ • وكان في تلك المدة يتسلح من أجل الهجوم على فيرتمبرغ من قلعته هوهنتفيل Hohentwiel • ان الحقيقة هي أن الفلاحين هم الذين استخدموه ولم يكن له أي تأثير عليهم كما لم يكن ينال ثقتهم بشكل واف •

ومر الشتاء ولم ينجز الطرفان أي شيء حاسم • واختبأ السادة والامراء في حين أن نطاق ثورة الفلاحين قد اتسع • وفي شهر كانون الثاني عام ١٥٢٥ كانت البلاد جميعها فيما بين الدانوب والراين والليخ تستمر فيها الثورة وفي شهر شباط انبثقت العاصفة بشكل عريض •

وفي الوقت الذي كانت فيه **قوات الغابة السوداء وهيجاو** تحت قيادة هانز موللر أوف بولجنباخ تتآمر مع أولريخ أوف فيرتمبرغ وشاركته في حملته الفاشلة على شتوتغارت (شباط وآذار ١٥٢٥) تجمع الفلاحون في ريد على نهر الأولم ، وتحركوا في ٩ شباط والتقوا في معسكر قرب بالترينغن محصن من كافة جوانبه بالمستنقعات

(١) يشير انجلز الى الكتيب المجهول المؤلف الذي طبع في نورمبرغ بداية عام ١٥٢٥ وكان عنوانه « الى مجموع الفلاحين الساخطين والمتمردين في الاجزاء العليا من الأمة الألمانية وفي كثير من الاماكن ، حول ماذا كان سخطهم في موضعه وما يجب أن يفعلوه ازاء السلطات على اساس الكتب المقدسة • ألفه ووافق عليه تماما اخوة المناطق العليا » •

ورفعوا العلم الاحمر وكونوا جيش بالتريغن بقيادة أولريخ شميدث وتراوح عددهم بين ١٠٫٠٠٠ ، ١٢٫٠٠٠ رجل ٠

وفي ٢٥ شباط تجمع جيش أولغاو العليا الذي يبلغ تعداده ٧٠٠٠ رجل عند شوسمن ٠ وقد حركته الاشاعة القائلة بأن جيشا يتقدم ضد الفئات الغاضبة التي ظهرت في هذا الاقاليم كما ظهرت في كل مكان ٠ وفي اليوم التالي احتشد أهالي كمبتن Kempten الذين كانوا يناوشون أسقفهم طوال الشتاء ، والتحقوا بالفلاحين ٠ كما انضمت مدينتا ميمنغن وكاف فبرين الى الحركة بموجب شروط ٠ الا أن الاتجاه غير الواضح للمدن في هذا الصراع كان جليا من قبل ٠ وفي ٧ آذار حاز برنامج ميمنغن على موافقة كافة فلاحي أوليغاو العليا ببنوده الاثني عشر ٠

وبناء على ماعرف من أخبار فلاحي أوليغاو تألف جيش البحيرة بقيادة اثيل هانز على بحيرة كانستانس ونما سريعا وكان مقر قيادته في برماتنغن ٠

وبالمشابهة ففي أوائل آذار ثار الفلاحون في أوليغاو السفلى في منطقة أوخزن هاوزن وشيلنبرغ وفي زيل وفالدبورغ ممتلكات ترتيشبس ٠ وعسكرت قوات أولغاو السفلى التي بلغ عددها ٧٠٠٠ رجل قرب فورزاخ wurzach ٠

ووافقت هذه الجيوش الاربعة على جميع مواد برنامج ميمنغن التي كانت أكثر إعتدالا من بنود هيغاو ٠ وظهر فيه ضعف الموقف فيما يتعلق باتجاه الجيوش المسلحة نحو النبلاء والحكومة ولم يظهر الموقف القوي أينما ظهر الا خلال الحرب بعد أن عرف الفلاحون أساليب عمل أعدائهم ٠

وفي الوقت ذاته تألف جيش سادس على الدانوب • فقد تجمع الفلاحون من جميع الاقليم من أولم الى دونافورت من وديان الالر والرون والبير وخيموا هناك وهرع كل رجل قادر أعزب من ١٥ أقليما بينما تتابعت التعزيزات من ١١٧ اقليما • وكان أولريخ شون هو قائد جيش ليبهايم في حين أن (هانز) جاكوب فيهن راعي ليبهايم كان واعظ هذا الجيش •

وهكذا كان في بداية آذار من ٣٠٫٠٠٠ الى ٤٠٫٠٠٠ ثائر مسلح من فلاحي سوابيا العليا المسلحين في ستة معسكرات • وكانت جيوش الفلاحين مزيجاً متنوعاً • كما كان حزب مونزر الثوري أقلية في كل مكان ولكنه كان العمود الفقري لجميع معسكرات الفلاحين • وكانت جموع الفلاحين على استعداد دائما للوصول الى اتفاق مع النبلاء حيثما وعدوا بالتنازلات التي كان الفلاحون يأملون بالحصول عليها بواسطة تهديداتهم • وبينما كانت الانتفاضة تتردد ويزداد اقتراب جيوش الامراء نما لدى الفلاحين الشعور بالملل من الحرب وعاد مغلب من كان يملك شيئا يخاف عليه الى بيته • وبالاضافة الى ذلك انضمت فئات المتشردين من حثالة البروليتاريا الى الجيوش مما أدى الى زعزعة نظامها والحط بمعنويات الفلاحين لأن المتشردين كانوا ينضمون الى الجيوش ويتركونها طيلة الوقت • وهذا وحده أمر كاف ليفسر لنا لماذا بقي الفلاحون أولا يتخذون في كل مكان موقف الدفاع ولماذا تدنت معنوياتهم في المعسكرات • ولماذا – اذا أشحنا النظر عن ضعف طرقهم والحاجة الى القادة الممتازين – لم يكونوا بأي حال نداً لجيوش الامراء •

وأثناء ماكانت الجيوش لاتزال تتجمع غزا الدوق أولريخ فيرتمبرغ من هوهنتغيل بفصائل متطوعة من المجندين وعدد من فلاحي

هيغاو • وكانت عصبة سوابيا ستنهار لولاأنالفلاحين هجموا عندئذ من الناحية الثانية على قوات ترتشس فون فالدبورغ الا أنه بسبب الموقف الدفاعي للفلاحين فسرعان مانجح ترتشس في عقد هدنة مع بالترينغن وأولغاو وفلاحي البحيرة وفي بدء المفاوضات معهم وتحديد أحد جوديكا (١) (الثاني من شهر نيسان) باعتباره اليومالذيسيتم على الموضوع بكامله • وقد أعطاه هـذا فرصة للسير ضـد الدوق أولريخ واحتلال شتوتغارت وارغامه على تسليم فيرتمبرغ ثانيا في ١٧ آذار • ثم تحول الى الفلاحين • الا أن جنوده من المرتزقة ثاروا ورفضوا محاربة الفلاحين • وألحف ترتشس في تهدئة العصاةوتحرك نحو أولم حيث تجمعت تعزيزات جديدة • وترك مركزاً للحراسة في كيرشهايم قرب مدينة تك Teck . •

وألقت عصبة سوابيا القناع عن وجهها بعد أن وجدت يديها أخيرا حرة وجمعت أولى فرقها وأعلنت أنها (٢) « مصممة على أن تنهي بالسلاح وبمعونة الله ماأعتزمه الفلاحون » •

وكان الفلاحون خلال ذلك ينفذون الهدنة بكل دقة • فصاغوا مطالبهم الاثني عشر المشهورة من أجل مفاوضات أحد جوديكا فطالبوا بحق انتخاب وعزل القسس عن طريق الأهالي • والغاء (٣) العشور

---

(١) أحد جوديكا هو الأحد الخامس من فترة الصيام التي تبدأ من يوم الاربعـاء حتى عيد الفصح • وهي فترة الصيام الموافقة لصيام المسيح في البرية •

(٢) اتخذ هذا القرار في مؤتمر لسلطات العصبة في أولـم في آذار ١٥٢٥ في الوقت الذي كان ممثلو عصبة سوابيا لايزالون يفاوضون الثوار وهي مسجلة في وثيقة، في محفوظات أولم وأوردها زيمرمان في كتابه •

(٣) العشور الصغرى والكبرى نوعان من الضرائب الثقيلة يدفعها الفلاحون للكنيسة الكاثوليكية وكان حجم وطبيعة هذه الضريبة يختلف بدرجة كبيرة في مختلف أنحاء ألمانيا وكانت غالبا ماتزيد على عشر انتاج الفلاح • العشور الصغيـرة كانت غالبا تجبى على الماشية كقاعدة بينما كانت العشور الكبـيرة تجبى على المحصول •



فلاحون فرانكونيون مسلحون

الصغرى واستخدام العشور الكبرى بعد دفع رواتب القسس منهـا في المنافع العامة • الغاء عبودية الارض وضريبـة التركات • حـق صيد البر والبحر • الحد من المغالاة في العمل الاجباري والضرائب والايجار • اعادة الغابات والمراعي والامتيازات التي سلبت بالقـوة من الجماعات والافراد • الغاء القضاء والادارة الظالمـة • وكان من الجلي أن عناصر التهدئة والاعتدال لايزال لها اليد الطولى في جيش الفلاحـين • وكان الحزب الثوري قـد وضع برنامجه من قبـل في « رسالة البرنامج » وكانت خطابا مفتوحا موجها الى كافة الفلاحين يدعوهم للانضمام الى « اخوة وتحالف الفلاحين المسيحيين » من أجل ازالة كافة الاعباء ، اما عن طريق حسن النية وهو أمر غير محتمل واما عن طريق العنف • وهدد الخطـاب كل من يرفض الانضمـام بالطرد من المجتمع وحرمانه من كل انواع التعامل مع أعضاء الجمعية• كما أن كافة القصور والاديرة وممتلكـات القسس سيشملها هـذا الحرمان مالم يتخل النبلاء والقسس والرهبان برضاهم عنها وينتقلوا الى منازل عادية كباقي الناس وينضموا الى التحـالف المسيحي • وهكذا يتحدث هذا البيان الثوري ـ الذي يتضـح أنه وضع قبل انتفاضة ربيع ١٥٢٥ ـ عن الثورة وعن الانتصار الكامل على الطبقات التي مازالت في السلطة وعن حق الحرمان المصمم خصيصا للمستبدين والخونة الذين يجب أن يقتلـوا ، وللقصـور التي يجب أن تحرق والاديرة والممتلكـات التي يجب أن تصادر وللكنـوز التي يجب أن تتحول الى نقود •

ولكن قبل أن يصـل الفلاحون لتقديم الاثني عشر بنـدا الى محكمة التحكيم المختصة علموا بنبأ انتهـاك عصبة سوابيا للهدنـة واقتراب جيوشها فاتخذوا فوراً الاجراءات المضادة ، وعقد اجتماع

عام لكافة فلاحي أولغاو وبالترينغن والبحيرات في جيزبيرن ٠ واتحدت الجيوش الاربعة وأعيد تنظيمها في أربعة أرتال٠واتخذ قرار بمصادرة أملاك الكنيسة وبيع كنوزها لصالح خزينة الحرب واحراق القصور٠ وهكذا أصبحت **رسالة البرنامج** بجانب الاثني عشر بنداً الرسمية شريعة الحرب وأصبح أحد جوديكا ، اليوم المخصص لعقد الصلح ، أصبح هو موعد **الانتفاضة العامة** ٠

وكان ازدياد الاضطرابات في كل مكان ، والاشتباكات المحلية الدائمة بين الفلاحين والنبلاء وأنباء الانتفاضة في الغابة السوداء ، تلك الانتفاضة التي ظلت تنمو خلال الشهور الستة السابقة — وانتشارها حول الدانوب والليبخ ، كانت كل هذه الاشياء كافية لتفسير التتابع السريع لثورات الفلاحين على نطاق ثلثي ألمانيا ٠ الا أن قيام هذه الثورات — كل ثورة لوحدها — في آن واحد يثبت أنه كان هناك قادة على رأس الحركة نظموها عن طريق « اللامعمدين » Rothenburg وغيرهم — من المبعوثين ٠ ففي النصف الثاني من آذار انفجرت الاضطرابات في فيرتمبرغ في الروافد العليا من نهر النيكار وفي أودنفالد وفي فرانكونيا الوسطى والسفلى ٠ وكان قد تعين يوم ٢ نيسان يوم أحد جوديكا موعداً للانتفاضة العامة في كل مكان وفي الاسبوع الأول انفجرت الثورة العامة ووجهت الضربة القاصمة ٠ ودق فلاحو أولغاو وهيغاو والبحيرات الاجراس في أول نيسان داعين الى اجتماعات عامة لدعوة جميع القادرين الى معسكرهم ٠ وبدأوا الهجوم على القصور والأديرة في نفس اليوم الذي قام فيه فلاحو بالبشرنغن بذلك ٠

وفي **فرانكونيا** حيث كانت الحركة متجمعة في ستة مراكز انفجرت الانتفاضة في كل مكان في الايام الأولى من نيسان ٠ وتألف

في وقت واحد تقريبا معسكران للفلاحين بالقرب من **نوردلينغن** وتمكن الحـزب الثوري في المدينـة بمساعدتهما تحت قيادة **انطون فورنر** Anton Forner من السيطرة عليها وعين فورنر محافظاً للمدينـة ونشأ اتحاد بين المدينة والفلاحين٠وفي اقليم آنزباخ ثار الفلاحون في كل مكان في الفترة مابـين أول نيسان الى ٧ نيسان وامتدت الثـورة من هنـاك الـى بافاريا ٠ وفي اقليـم روتنبـورغ Rothenburg كان الفلاحون تحت السلاح منـذ ٢٢ آذار ٠ ونجح صغار التجـار وأصحاب الحرف والعامة في المدينة روبتنبرغ تحت قيادة ستيفان فون **منزيغن** في الاحاطة بحكم النبلاء ٠ ولكن لما كانت الضرائب التي يدفعها الفلاحون هي المصدر الرئيسي لدخل المدينـة فقد ترددت الحكومـة الجديدة أيضا واتخـذت موقفا مائعاً نحـو الفلاحين ٠ وفي اوائل نيسان قامت انتفاضة عامة من الفلاحين وسكان المدن بمقاطعة **ويرزبرغ** ٠ وفي أبرشية **بامبرغ** قام عصيان عام اضطر الاسقف الى التراجـع خلال خمسـة أيام ٠ وتشكل معسكـر قوي للفلاحين في **بيلد هاوزن** في الشمال على حدود ثورينغيا ٠

وفي **أودنفالد** حيث قاد **فندل هبلر** – وهو من النبلاء والمستشار السابق للكونت هوهنلده – **وجورج ميلتز** – وهو صاحب حانة من بالبنرغ بالقرب من كرواتهايم – الحزب الثوري انفجرت الحركة في ٢٦ آذار ٠ وتقدم الفلاحون من مختلف الاتجاهات نحو مدينة توبر ٠ واشترك في الزحف ألفان من رجال معسكر روتنبرغ وتولى جـورج متزيلر القيادة ٠ وعندما وصلت التعزيزات جميعا زحف في ٤ نيسان على دير شونتال على نهر الجاسست حيث انضم اليـه فلاحو **وادي النيكـار**(١) Neckar Valley وعلـى رأسهـم **جاكلين روورباخ** Jacklein-Rohrbach وهو صاحب حانـة في بوكينغـن بالقرب من هيلبرون ٠ وكان العصيـان قد اعلن في فلاين وسنتهايـم وغيرهما في يوم أحد جوديكا ٠ واستـولى فندل هيبلر على مـدينة

أورينغن بهجوم مفاجىء بعدد قليل من المتآمرين واستطاع أن يضم الفلاحين في المنطقة المجاورة للحركة · وانضمت الى الحركة فرقتا الفلاحين في شونتال وكونتا الفرقة المرحة · وقبلت الفرقة الاثني عشر بنداً وقامت بحملات ضد القصور والاديرة · وكانت تضم نحو ٨٠٠٠ جندي مزودين بالمدافع وثلاثة آلاف بندقية · وانضم اليها فروريان جاير وهو من فرسان فرانكونيا وكونوا الفرقة السوداء وهي فرقة مختارة يتألف معظم أعضائها من أبناء روتنبرغ وأورينغن·

وبدأ الكونت لودفيغ فون هلفنشتين قاضي فيرتمبرغ العمليات العسكرية في نيكرسولم وأمر باعدام جميع الفلاحين الذين وقعوا في يده فوراً · وتقدمت الفرقة المرحة لملاقاته · وكان الفلاحون يشعرون بالمرارة لما بلغهم من أنباء المذبحة وكذلك لأنباء الهزيمة التي تعرضت لها فرقة ليبيهايم واعدام هانز جاكوب فيهي والفظائع التي ارتكبها ترشيس · وهاجم الفلاحون فون هلفنشيتن الذي كان قد تسلل الى فينزبرغ · وقام فلوريان جاير بالاستيلاء على القصر وتم الاستيلاء على المدينة بعد معركة طويلة·وأخذ الكونت لودفيغ أسيراً ومعه عدد من الفرسان · وفي اليوم التالي – ١٧ نيسان – عقد جاكلين رورباخ مع أشد أعضاء الفرقة عزماً محكمة للأسرى وأصدروا حكمهم على أربعة عشر منهم وعلى رأسهم فون هلفنشيتن بالموت ضربا بالقفازات الحديدية باعتبار هذه الميتة أشد الميتات وضاعة في رأيهم · وكان لسقوط فينزبرغ وانتقام جاكلين المرعب من فون هلفنشيتن أثره على النبلاء · فانضمت اسرة فون لوفنشيتن الى تحالف الفلاحين ، وسارعت اسرة الكونت فون هو هنلوه التي كانت قد أعلنت تأييدها للحركة ولكن لم تقدم لها عونا ماديا ، الى ارسال المدافع والبارود اللازمين ·

وتناقش رؤساء الفلاحين في مسألة تسليم قيادتهم الى جوتزفون برليتشنغن « مادام يستطيع أن يضمن لهم تأييد النبلاء » ولقي الاقتراح استجابة طيبة • غير أن فلورياك جاير الذي لمح في هذا الموقف من جانب الفلاحين ورؤسائهم بذوراً رجعية انفصل عن الفرقة وزحف بفرقته السوداء على مسؤوليته الخاصة عابراً اقليم فيكار ثم اقليم فيرزبرغ محطما القصور وأوكار القسس أينما ذهب •

وزحفت بقية القوات على هيلبرون • وكان رئيس مجلس الاشراف في هذه المدينة الامبراطورية الحرة يواجه معارضة ثورية ومعارضة من جانب التجار وأصحاب الحرف كما كان الحال في جميع المدن تقريبا • وقد قامت هذه المعارضة بالاتفاق السري مع الفلاحين بفتح أبواب المدينة أمام متزيلر وجاكلين رورباخ يوم ١٧ نيسان أثناء الاضطرابات • واستولى زعماء الفلاحين ورجالهم على المدينة وقبلت في تحالفهم ودفعت ١٢٠٠ غليدر نقداً وقدمت فصيلة من المتطوعين • ولم تنهب غير ممتلكات رجال الكنيسة وفرسان التيوترن (١) • وفي ٢٢ نيسان تحرك الفلاحون خارجين من المدينة تاركين وراءهم حامية صغيرة • وأصبحت هيلبرون مركزاً لمختلف القوات التي كانت ترسل مندوبين عنها للتباحث في الأعمال والمطالب المشتركة للفلاحين • ولكن المعارضة المكونة من التجار وأصحاب الحرف والاشراف الذين انضموا الى التحالف بعد هجوم الفلاحين لم تلبث أن أصبح لها اليد العليا في المدينة ، ومنعت اتخاذ خطوات حاسمة وظلوا في انتظار اقتراب قوات الامراء ليخونوا الفلاحين نهائياً •

وزحف الفلاحون نحو أودنفالد ، وكان جوتزفون برليشنغن قد عرض خدماته منذ أيام قليلة على الغراند اليكتور بالاتين ، ثم عاد

(١) الفرسان التيوترن فئة من الفرسان الدينيين في ألمانيا •

فعرضها على الفلاحين ، ثم عرضها مرة أخرى على اليكتور وانضم أخيراً الى الاخوة الانجيلية Evangelist Fraternity في ٢٤ نيسان وتولى القيادة العامة للفرقة المشرقة (في مقابل الفرقة السوداء التي يقودها فلوريان جاير) بيد أنه كان في الوقت نفسه أسيرا الفلاحين الذين لم يكونوا يثقون به وقيدوه بمجلس للقادة لم يكن يستطيع تنفيذ أمر دون الرجوع اليه وزحف جوتز ومتزيلر مع الجزء الأكبر من الفلاحين الى أموزباخ عبر بوخن حيث تمكنوا من اثارة اقليم مين بأسره خلال اقامتهم التي استمرت من ٣٠ نيسان حتى ٥ أيار · واضطر النبلاء في كافة المدن الى الانضمام اليهم وبذلك نجت قصورهم ولم تنهب أو تحرق سوى الاديرة · وكان من الجلي أن القوات قد انحطت معنوياتها · وكان أكثر الرجال حيوية ونشاطا قد ذهبوا مع فلوريان جالير أو مع جاكلين روزباخ الذي لم يلبث هو أيضا بعد الاستيلاء على هيلبرون أن انفصل عن القوات ، لأنه لم يكن ليستطيع — وهو من أصدر الحكم على الكونت فون هلفنشيتن — أن يواصل العمل مع الحركة التي تؤثر المصالحة مع النبلاء وكانت هذه الرغبة الملحة في الوصول الى تفاهم مع النبلاء دليلا في حد ذاتها على تدهور الروح المعنوية · ولم يلبث فندل هيبلر أن قدم اقتراحا ملائما تماما لاعادة تنظيم القوات· اذ اقترح قبول المرتزقة الذين كانوا يقدمون خدماتهم كل يوم ، وألا تتجدد القوات شهريا مع وصول امدادات جديدة وتسريح الفصائل القديمة وأن يبقى الجنود القدامى الذين حصلوا على قدر من التدريب العسكري ولكن الجمعية العامة رفضت الاقتراحين وازداد الفلاحون ضراوة وأصبحوا لايرون في الحرب غير السلب والنهب وكانوا يرون في منافسة المرتزقة لهم خطراً على مصالحهم · وكانوا يريدون أن تتوفر لهم الحرية في العودة الى ديارهم بمجرد

أن تمتلىء جيوبهم بالمال ووصل الأمر في أمورباخ الى حد أن تمكن هانزبرلين وهو من مستشاري هيلبرون من اقناع الرؤساء ومجالس القوات بقبول بيان « الاثني عشر بنداً وهو وثيقة أضاعت ماكان قد بقي من البنود الاثني عشر ووصفت على لسان الفلاحين عبارات استرحام ذليلة الا أن ذلك كان فوق احتمال الفلاحين الذين رفضوا البيان بضجة كبيرة وتمسكوا بالبنود الأصلية ٠

وفي الوقت ذاته حدث تغير حاسم في اقليم فيرزبرغ ٠ فقد اضطر الأسقف الذي كان قد لجأ الى مدينة فراونبرغ الحصينة بالقرب من فيرزبرغ بعد الانتفاضة الأولى في أوائل نيسان وأرسل الى جميع الجهات يطلب المعونة عبثا ، اضطر آخر الامر الى تقديم تنازلات مؤقتة ٠ وفي ٢ أيار انعقد مجلس للنواب مثل فيه الفلاحون٠ ولكن تسربت الى المجلس رسائل تثبت تآمر الأسقف مما أدى الى فض المجلس على الفور وبدأت العمليات العسكرية بين رجال المدن الثائرين والفلاحين من ناحية ، وبين قوات الاسقف من ناحية أخرى٠ وفر الأسقف الى هيدلبرغ في ٥ أيار ٠ وفي اليوم التالي ظهر فلوريان جاير مع فرقته السوداء في فيرزبرغ وجاءت معه قوات « حمامة فرانكونيا » المؤلفة من فلاحي ميرغنتهايم وروتنبرغ وآنزباخ ٠ وفي ٧ أيار وصل غوتزفون برليشتنغن مع فرقته المشرقة وبدأ حصار فراونبرغ ٠

وفي ليمبورغ والغانغن وهال تشكلت فصيلة أخرى في أواخر آذار كمله تشكلت في أواخر أيار قوات غيلدروف أو القوات المرحة العامة ٠ وكانت هذه القوات عنيفة التصرفات بحيث أثارت الاقليم كله وأحرقت كثيراً من الأديرة والقصور ٠ ومن بينها مقر

هوهنتستاوفن وأجبرت جميع الفلاحين على الانضمام اليها،واضطرته النبلاء بل وحاملي كأس لينبرغ على الانضمام الى التحالف المسيحي • وفي أوائل أيار أغارت على فيرتمبرغ ولكنهااضطرتها الى التراجع ووقف التنظيم الألماني القائم على اساس من الدول الصغيرة المنفصلة في ذلك الحين – مثلما وقف بعد ذلك عام ١٨٤٨ – عقبة في طريق القيام بعمل مشترك من جانب الثوريين في مختلف الدويلات • وكان من الطبيعي أن تتفرق فرقة غليدورف التي كانت تعمل داخل نطاق اقليم صغير عندما تحطمت كل مقاومة في ذلك الاقليم وعقدت اتفاقية مع مدينة غموند وعاد رجالها الى ديارهم ولم يبق منهم تحت السلاح غير خمسمائــة •

وفي دوقية الراين (١) تشكلت قوات الفلاحين على كل من ضفتي الراين مع نهاية شهر نيسان ودمرت تلك القوات كثيراً من القصور والاديرة • وفي أول أيار استولت على نيوستادت على نهر الهاردت Hardt بعد أن عبر فلاحو بروشريا النهر في اليوم السابق وأجبر سباير على توقيع اتفاق • ولم يستطع مارشاك هابرن الذي كان يقود القــوة الصغيرة التابعة لدب لايثن أن يفعل شيئا ضد قوات الفلاحين . وفي ١٠ أيار اضطر البالايثن الى الاتفاق معهم ووعدهم بازالة أسبــاب شكاواهم عن طريق المجلس النيابي (الدايت) •

وأخيراً اندلعت الثورة في **فيرتمبرغ** في وقت مبكر وفي امــاكن متفرقة • ففي ألب اوراخ شكل الفلاحون اتحاداً ضد القسس والنبلاء منذ شهر شباط وثار فلاحو بلوبورن وأوراخ ومونشينغن وروزنفلد في أواخر آذار وغزت فرقة غليدروف اقليم فيرتمبرغ عند مدينة كوبنغن كما قام

---

(١) Palatinate وهو الاسم الذي كا يطلق على الدوقيات التي يحكمها كونت له مطلق التصرف فيها ويسمى بالاثين •

جاكلين روورباخ بالهجوم على براكتهايم ، وقامت البقية من فرقة ليبهايم المهزومة بالهجوم على فولنغن داعية الفلاحين الى الثورة • كذلك حدثت اضطرابات خطيرة في عدة أماكن أخرى وفي ٦ نيسان سلمت فولنغن للفلاحين • واضطرت حكومة الارشيدوق النمساوي الى التراجع وكانت بحاجة الى المال والجنود ، كما كانت القصور والمدن في حالة سيئة بدون حاميات أو ذخيرة • بل أن أسبرج Asperg نفسها كانت عزلاء بالفعل •

وكانت محاولة الحكومة لدعوة احتياطي المدن ضد الفلاحين قد سببت هزيمتها الفورية • ففي ١٦ نيسان رفضت قوات الاحتياط في مدينة بوتفار تنفيذ الأوامر وبدلا من الزحف على شتوتغارت اتجهت نحو فوننشيتن بالقرب من بوتفارت حيث كونت نواة لمعسكر الفلاحين وأصحاب الحرف أخذ عدده يتزايد بسرعة وانفجرت الثورة في زابرجاو في اليوم ذاته ، وتعرض دير مولبرون للنهب كما تم تدمير عدد من القصور والأديرة بشكل تام • ووصلت امدادات من بروخراين الى الفلاحين المجاورين لها في غاو •

وكانت قوات فوننشيتن تحت قيادة ماترن فورباخر Matern Feuerbacher أحد مستشاري مدينة بوتفارت ، وكان من قادة حركة المعارضة المكونة من التجار وأصحاب الحرف ولكنه اضطر الى الالتحاق بالفلاحين وظل معتدلا جداً دائماً • فمنع تطبيق خطاب البرنامج على القصور وحاول دائماً التوفيق بين الفلاحين والتجار المعتدلين • وفشل اندماج فلاحي فيرتمبرغ مع الفرقة المشرقة كما أغوى فرقة غيلدروف بالانسحاب من فيرتمبرغ فيما بعد • وفي ١٩ نيسان أعفي من منصبه بسبب

ميوله نحو التجار ، ولكنه أعيد الى القيادة في اليوم التالي فلم يكن بالامكان الاستعاضة عنه • وحتى عندما وصل جاكلين روورباخ في ٢٢ نيسان مع ٢٠٠ من رجاله للالتحاق بفلاحي فيرتمبرغ لم يجد مناصاً من الابقاء على فورباخر في محله واكتفى بترصد أعماله بشكل دقيق وصارم •

وفي ١٨ نيسان حاولت الحكومة مفاوضة الفلاحين المعسكرين في فرنبشيشن وأصر الفلاحون على قبول البنود الاثني عشر ، ولكن كان من الطبيعي أن يرفض ممثلو الحكومة ذلك • فتحركت القوات ووصلت في ٢٠ نيسان الى لاوفن حيث رفضت لآخر مرة اقتراحات مندوبي الحكومة وفي ٢٢ نيسان ظهرت الفرقة التي يبلغ عددها ٦٠٠٠ رجل في مدينة بينغايم وهددت شتوتغارت • وكان معظم مجلس المدينة قد هرب وتكونت لجنة من المواطنين للاشراف على الادارة وكان سكان المدينة كغيرها من المدن منقسمين الى حزب للاشراف ، ومعارضة من التجار ، وعامة ثوريين • وفي ٢٥ نيسان فتح هؤلاء العامة أبواب المدينة أمام الفلاحين وسقطت شتوتغارت فوراً • وتم فيها تكوين فرقة المسيحيين المرحين • وهو الاسم الذي اتخذه الآن ثوار فيرتمبرغ • ووضعت قواعد صارمة لرفع الاجور وتقسيم الغنائم وأعمال الصيانة والتموين •• الخ كما انضمت الى الفرقة فصيلة من أبناء شتوتغارت برئاسة ثيوس ديربر •

وفي ٢٩ نيسان زحف فورباخر بكل رجاله ضد غليدروف الذي كان قد دخل اقليم فيرتمبرغ عند شورندوف • وتمكن من اغراء الاقليم كله بالتحالف معه وأقنع فرقة غيلدروف بالانسحاب وبذلك منع العناصر الثورية في قواته تحت قيادة روورباخ من الانضمام الى قوات غيلدروف المندفعة والتي كانت ستكتسب بذلك قوة خطيرة وعندما

علم بتقدم ترتشس خرج من شورندورف لمواجهتـه وعسكر في أول أيار بالقرب من كيرشهايم على نهر التك ·

وهكذا نكون قداقتفينا أثر نشأةالحركة وتطورها في ذلكالجزء من ألمانيا الذي لابد من اعتباره المنطقـة التي نشأت فيها المجموعـة الأولى من جيوش الفلاحين · ولابـد قبل أن ننتقل الى المجمـوعات الأخرى (في ثورينغيا وهس والالزاس والنمسا والالب) من الحديث عن العمليات العسكرية التي قام بها ترتشس وكان يعمل بمفرده في البداية ثم لقي تأييداً من جانب مختلف الامراء والمدن تمكن بواسطته من القضاء على هذه المجموعة الاولى من الثائرين ·

خلفنا ترتشس قرب أولـم ، وكان قد وصلهـا في اواخر آذار بعد أن ترك فصائل مراقبـة في كيرشهايم على نهر التك بقيـادة دتيريش سبات وتمركزت قوات ترتشس التي بلغت حوالي ١٠٫٠٠٠ رجل بعد وصول تعزيزات العصبة في مدينة أولم · وكانت تضم ٧٫٢٠٠ من المشاة وكان ذلك هو الجيش الوحيد تحت امرتـه للهجـوم على الفـلاحين · وكانت التعزيزات تصـل أولـم في بطء شديد ، بسبب صعوبة التجنيد في الاقاليم الثائرة من ناحية ولحاجة الحكومة الى المال من ناحية أخرى ولكون القوات القليلة الموجـودة ضرورية تماماً في كل مكان لحماية القصور والقلاع · وقد لاحظنـا من قبل ضآلة عدد القوات التي كانت تحت تصرف الامراء والمـدن خارج عصبة سوابيا · ومن هنـا كان كل شيء يتوقف على جورج ترتشس وجيش العصبة التابع له ·

واتجه ترتشس أولا الى قوات **بالترينغن** التي كانت قد بدأت بتدمير القصور والاديرة بالقرب من رايد · وانسحب الفلاحون عندما

اقتربت قوات العصبة ودفعتهم هذه القوات خارج المستنقعات وعبروا الدانوب وخاضوا الوهاد والغابات المحيطة بجبال الالب في سوابيا ولم تكن الفرسان ولا المدافع ــ وهي القوة الرئيسية لجيش العصبة ــ ذات جدوى كبيرة في هذه المنطقة فلم يتتبعهم ترتشس أبعد من ذلك • وهاجم فرقة ليبهايم التي كانت تبلغ ٥٠٠٠ رجل وتعسكر في ليبهايم نفسها الى جانب ٤٠٠٠ رجل في وادي مندل ، ٦٠٠٠ رجل آخرين في البرينش وكانت تثير الاقليم وتدمر الاديرة والقصور وتستعد للهجوم على أولم بفرقها الثلاث مجتمعة • ويبدو أن نوعاً من ضعف الروح المعنوية ساد بين الفلاحين وأدى الى المس بروحهم العسكرية • اذ أن (هانز) جاكوب فيهي سعى منذ البداية للتفاوض مع ترتشس • غير أن هذا الأخير مستنداً الى تفوقه العسكري رفض المفاوضة • وهاجم القوة الرئيسية في ليبهايم في ٤ نيسان وقضى عليها • وقبض على (هانز) جاكوب فيهي وأولريخ شنون واثنين آخرين من قادة الفلاحين واعدموا • واستسلمت ليبهايم ولم تلبث بقية الأقاليم أن خضعت بعد عدد قليل من العمليات العسكرية في المناطق الريفية المجاورة •

وقام المتمردون الجدد بحركة عصيان جديدة مطالبين بالغنائم وزيادة الاجور مما أدى الى تعطيل ترتشس من جديد حتى العاشر من نيسان ، عندما زحف نحو الجنوب الغربي على **قوات بالنبرنغن** التي كانت في ذلك الوقت قد غزت أملاكه في فالدبرغ وزيل وفولنغ وحاصرت قصوره • ولكنه وجد الفلاحين هنا أيضا غير متحدين ، وأنزل بهم الهزيمة يومي ١١ ، ١٢ نيسان على التوالي في معركتين منفصلتين ، مما ادى الى التفكك النهائي لفرقة بالنبرنغن • وانسحبت البقية الباقية منها بقيادة القس فلوريان وانضمت الى

فرقة البحيرة واتجه ترتشس الآن الى هذه الفرقة • وكانت فرقـة البحيرة لم تكتف بالتجوال في أنحاء الريف بل كانت قـد نجحت في ضم مدينتي بوخور (فريد ريكسهاش) وفولماتبنغن الى الأخـوة وعقدت مجلساً حربيا كبيرا في دير سالم في ١٣ نيسان واتخذت قراراً ضدترتشس ودقت أجراس الخطر على الفور وتجمع ١٠٫٠٠٠ رجل وانضمت اليهم فرقة بالثيرنغن المهزومة في معسكر بيرماتنغن •

وصدمت هذه القوات في معركة مع ترتشس في ١٥ نيسان الذي لم يشأ أن يغامر بجيشه في معركة فاصلة وفضل التفاوض وشجعه على ذلك انباء اقتراب قوات الجاو وهيغاو • وفي ١٧ نيسان عرض اتفاقا على فلاحي بالثيرينغن والبحـيرة في فاينغارتن بدا للفلاحـين ملائماً • ولم يترددوا في قبوله ونجح في آخر الأمر في اقناع ممثلـي الفلاحين في الجاو العليا والسفلى بقبول هذا الاتفاق وزحف علـى فيرتمبرغ •

وأنقذ ترتشس نفسـه من دمار مؤكد بواسطة الدهـاء • فلو لم ينجح في خداع الفلاحين الضعفاء القليلي الحيلة والذين كانت روحهم المعنوية قد هبطت هبوطا شديدا ، ولو لم يضلل قادتهم الذين كانوا في أغلب الاحيان عاجزين جبناء وفاسدين لحوصر جيشه الصغير بأربع فرق يبلغ تعدادها على الأقل مابين ٢٥٫٠٠٠ ، ٣٠٫٠٠٠ رجل، ولكان قد هزم بلا شك • لقـد كان ضيق افق اعدائه — وهو أمـر لايمكن تجنبه بين الفلاحين — هو الذي مكنـه من التخلص في نفس اللحظة التي كان بوسعهم فيها أن ينهوا الحرب كلها بضربة واحدة، على الأقل في سوابيا وفرانكونيا • وانضـم فلاحو البحـيرة الـى الاتفاقية التي انقلبت ضدهم بطبيعة الحال • والتزموا بنصوصهـا

حرفيا لدرجة أنهم حملوا السلاح فيما بعدضد حلفائهم فلاحي هيغاو. وعلى الرغم من أن فلاحي الغاو الذي جذبهم قادتهم الى الخيانة لم يلبثوا أن نقضوا الاتفاق ، الا أن ترتشس كان في منأى من الخطر في ذلك الحين .

ومع أن الفلاحين في هيغاو Hegau لم يكونوا مرتبطين باتفاقية فاينغارتن Weingarten الا أنهم ضربوا مثلا جديداً على ضيق الافق المتناهي وعلى الاقليمية الضيقة التي كانت مصرع الفلاحين بأسرها. فعندما انتهت مفاوضتهم مع ترتشس بالفعل، وزحف على فيرتمبرغ ، ساروا في أعقابه ولم يتخلوا عن ملاحقته ، ولم يخطر لهم أن ينضموا الى فرقة المسيحيين المرحين في فيرتمبرغ .. وكان سبب ذلك أن فلاحي فيرتمبرغ ووداي النيكار كانوا قد رفضوا مساعدتهم في مرة سابقة. وعندما ابتعد ترتشس عن أراضيهم رجعوا بهدوء وزحفوا على فرايبورغ .

ولقد تركنا فلاحي فيرتمبرغ تحت قيادة ماترفورباخر في كيرستهايم على التك حيث كانت حامية المراقبة كلها التي تركها ترتشس تحت قيادة دتيريش سبات قد انسحبت الى اوراخ . وبعد محاولة فاشلة للاستيلاء على اوراخ اتجه فورباخر الى نورتينغن وكتب الى القوات الثائرة في المنطقة المحيطة بها يدعوها الى مساعدته في المعركة الحاسمة . ووصلته بالفعل امدادات كبيرة من أطراف فيرتمبرغ ومن غاو . وتقدم فلاحو غاو الذين كانوا قد تجمعوا حول البقية الباقية من فرقة ليبهايم ــ وكانت قد انسحبت الى فيرتمبرغ الغربية وأثارت كافة وديان النيكار وناغولد حتى بوبلينغن وليونبرغ ــ تقدموا في تشكيلين قويين للانضمام الى فورباخر عند بوبلينغن

واندفع ترتشس لمهاجمة الفرقة المتحدة عند بوبلينغن • واختار أمام عددها وقوتها المدفعية ومركزها الحصين • فبدأ المفاوضات كعادته على الفور وعقد هدنة مع الفلاحين ، ولكنه لم يلبث بعد أن اطمأن الى مركزه أن هاجمهم في ١٢ أيار خلال فترة الهدنة وفرض عليهم معركة فاصلة وقاوم الفلاحون مقاومة طويلة وجريئة حتى سلمت بوبلينغن أخيراً لترتشس نتيجة لخيانة التجار واضطر الجناح اليساري من الفلاحين – الذي فقد القاعدة التي يستند اليها – الى التراجع ولم يلبث أن طوقه وحسم ذلك مصير المعركة اذ عمت الفوضى صفوف الفلاحين غير المدربين ، وهربوا بغير نظام ، ومن لم تدركه فرسان العصبة بالقتل أو الاسر ألقى أسلحته وهرع الى منزله • وسحقت الفرقة المسيحية المرحة وسحقت معها كل ثورة فيرتمبرغ • وفر ثيوس ذيربر الى اسلينغن وفورباخر الى سويسرا ووقع جاكلين رورباخ في الاسر واقتادوه مصفداً بالاغلال الى نيكار غارتاخ حيث أمر به ترتشس فربط الى عمود وأحيط بالنار حتى مات شياً على نار هادئة بينما كان ترتشس يحتسي الخمر ويصخب بين فرسانه وينظر بعين التشفي الى هذا المشهد الجدير بالفرسان•

ومن نيكار جارتاخ دعم ترتشس العمليات التي كان يقوم بها البالاتين ، وذلك بغزو كراتيشيغاو • ولم يكد البالاتين يسمع بانباء انتصارات ترتشس حتى نقض اتفاقه مع الفلاحين وهجم في ٢٣ أيار بالقوات التي كان جمعها من بروخراين واستولى على مالشي وأحرقها بعد مقاومة ضارية ونهب عدداً من القرى وحاصر بروخال • وفي الوقت نفسه هاجم ترتشس أبينغن وقبض على انطوان أيزنهات زعيم الحركة المحلية ولم يلبث البالاتين أن اعدمه فوراً مع عشرة

آخرين من قادة الفلاحين تقريبا · وبذلك أخضعت بروخريان وكراتيشغاو واضطرته الى دفع غرامة حوالي ٤٠٫٠٠٠ غليدر · وانضم الجيشان · جيش ترتشس - الذي كان قد انخفض عدده خلال المعارك السابقة الى ٦٠٫٠٠٠ رجل - وجيش البالاتين (٦٥٠٠ رجل) وزحفا ضد أودنفالد ·

ونشرت هزيمة بوبلينغن الارهاب بين الثوار في كل مكان · وتنفست الصعداء المدن الامبراطورية الحرة التي كانت قد خضعت لحكم الفلاحين الشديد الوطأة · وكانت مدينة هيلبرون أولى المدن في السعي الى المصالحة مع عصبة سوابيا · وهناك أخذ مندبو الفلاحين وممثلو مختلف الفرق في مناقشة المقترحات التي يمكن تقديمها الى الامبراطور والامبراطورية باسم جميع الفلاحين الثائرين· واتضح مرة اخرى في هذه المفاوضات - التي كانت نتيجتها ستنسحب على ألمانيا بأسرها - أنه لم يكن هناك بين الطبقات القائمة ، ومن بينها الفلاحون طبقة بلغت من التطور حداً يمكنها من اعادة تشكيل جميع ظروف ألمانيا وفقا لوجهة نظرها · وكان من الواضح منذ اللحظة الاولى أنه لابد من الحصول على تأييد النبلاء وعلى وجه الخصوص تأييد التجار وأصحاب الحرف · وتولى **فندل هيبلر** مسؤولية المفاوضات · وكان هو من بين قادة الحركة جميعا أكثرهم ادراكا للوضع القائم · ولم يكن ثوريا بعيد النظر مثل مونزر ، ولم يكن ممثلا للفلاحين مثل متزيلر أو روورباخ · وكانت خبرته الواسعة ومعرفته العملية بموقف كل طبقة ازاء الاخرى تمنعه من تمثيل أي طبقة على حدة من الطبقات المشتبكة في هذه الحرب في معارضتها للطبقات الاخرى · وكما اتجه مونزر وهو ممثل البروليتاريا

الناشئة والتي كانت في ذلك الحين خارج نطاق التنظيم الرسمي للمجتمع ، الى التنبؤ بالشيوعية ، اتجه فندل هيبلر الذي يمكن أن يقال أنه يمثل قطاعاً عريضا للعناصر التقدمية في الأمة الى التنبؤ **بالمجتمع البورجوازي الحديث** • ولم تكن المبادىء التي يمثلها والمطالب التي قدمها ممكنة التنفيذ على الفور • ولكنها كانت النتيجة الحتمية والمثالية لاضمحلال المجتمع الاقطاعي • وكان الفلاحون الذين أخذوا على عاتقهم مهمة التشريع للامبراطورية بأسرها مضطرين الى قبول تلك المطالب • وهكذا اتخذت المركزية التي طالب بها الفلاحون في هيلبرون صورة محددة ولكنها كانت تبعد بعداً شاسعاً عن الصورة التي تصورها الفلاحون بها ، فقد كانت مثلا واضحة الصياغة في المطاليب المتعلقة بتوحيد النقود والمكاييل والموازين والغاء الجمارك الداخلية ٠٠٠الخ • أي فيما يتعلق بالمطالب التي تحقق مصالح سكان المدن قبل مصالح الفلاحين وقدمت تنازلات في سبيل الاتفاق مع النبلاء أقرب ماتكون الى النظام الحديث لتحرير الارقاء ، وهي التنازلات التي ستحول الملكية الاقطاعية للأرض الى ملكية بورجوازية في المدى الطويل • وبعبارة موجزة ، فلما كانت مطالب الفلاحين قد صيغت على أنها برنامج « للاصلاح الامبراطوري » فانها لم تجسد المطالب المباشرة للفلاحين • بل أصبحت تقع بالضرورة في اطار المصالح المحدودة للتجار وأصحاب الحرف •

وفي الوقت الذي كان فيه هذا الاصلاح الامبراطوري موضع مناقشة في هيلبرون Heilbronn كان هانزبراين ، واضع « بيان الاثني عشر بنداً » في طريقه لمقابلة ترتشس ومفاوضته على تسليم المدينة باسم الاشراف والتجار وأصحاب الحرف • وكانت الحركات الرجعية داخل المدينة تؤيد هذه الخيانة واضطر فندل هيبلر الى الفرار مع الفلاحين فذهب الى

فاينزبرغ حيث حاول تجميع البقية الباقية من فرقة فيرتمبرغ وفرقة غليدروف ، القليلة العدد والسريعة الحركة • ولكن اقتراب البالاتين وترتشس اضطره الى الانسحاب من هناك كذلك • وأجبر على التوجه الى فيرزبرغ لدفع الفرقة المشرقة الى العمل • وفي الوقت ذاته تمكنت جيوش العصبة والبالاتين من اخضاع كل اقليم النيكار وألزمت الفلاحين بتجديد يمين الولاء ، وأحرقت كثيراً من القرى وشنقت أو ذبحت جميع الفلاحين الفارين الذين وقعوا في أيديها وأحرقت فاينزبرغ انتقاماً لاعدام فون هلفنتشين •

وتجمع الفلاحون قرب فورزبورغ في تلك الاثناء وحاصروا مدينة فروانبورغ وفي ١٥ أيار حاولوا بشجاعة أن يقتحموها حتى قبل أن يفتحوا ثغرة في سور القلعة ولكنهم لم ينجحوا • وتركوا خلفهم في الخنادق ٤٠٠ رجل - بين قتيل وجريح - من خيرة الرجال معظمهم من فرقة فلوريان جاير • وبعد يومين في ١٧ أيار وصل فندل هيبلر وعقد مجلسا حربيا واقترح ترك ٤٠٠٠ رجل فقط لحصار فراونبورغ على أن يعسكر بالقوة الرئيسية التي تبلغ ٢٠٠٠٠ر٢ رجل في كراوتهايم على الجاست تحت أنف ترتشس حتى تتركز كافة التعزيزات هناك • وكانت خطة ممتازة فعن طريق تجميع الكتل والتفوق العددي يتعزز الأمل في دحر جيش الامراء الذين كانت تبلغ عدته الآن ٠٠٠ر١٣ رجل • الا أن ضعف الروح المعنوية بين الفلاحين كان قد بلغ حداً منعهم من التفكير في اتخاذ أي خطوة جريئة • وربما قام غوتزفون برلينختنفن - الذي سرعان ماانكشف كخائن - بدور في منع الفرقة من العمل وهكذا لم يتح لخطة هيبلر أن توضع موضع التنفيذ • وبدلا من ذلك انقسمت الفرق كالعادة• ولم تبدأ الفرقة المشرقة عملياتها الا في ٢٣ أيار بعد أن قطع رجال

فرانكونيا على أنفسهم عهداً بالتقدم في أثرها بلا ابطـاء • وفي ٢٦ أيار رأت فصائل أنزباخ المعسكرة في فيرزبرغ أن تعود الى موطنها بعد أن بلغهـا أن مارغريف براندنبورغ (وهو كازيمير الـذي كان يملك أنزباخ وبيريت) بدأ يهاجم الفلاحين • أما بقية الجيش المحاصر للمدينة ومعه الفرقة السوداء التي يقودها فلوريان غاير فقـد لزم مراكزه في هيدينغزفيلد بالقرب من فورزبورغ • وفي ٢٤ أيار وصلت الفرقة المشرقة الى كرواتهايم عازفة عن القتال • وعلم الكثيرون من أفرادها أن قراهم أقسمت في غيابهم يمين الولاء لترتشس ، واتخذوا من ذلك ذريعة للعودة الى مواطنهم وتقدمت الفرقة نحو نكارسولم وفي ٢٨ أيار بدأت المفاوضة مع ترتشس • وفي الوقت نفسه أرسلت الرسل الى الفلاحين في فرانكونيا والالزاس وهيغاو بالغابة السوداء للمطالبة بارسال الامدادات بسرعة • ومن نيكار سولم زحف غوتز (فون برلنتغنغن) عائداً الى الى أوهرنغن • وذابت الفرقة تدريجياً وكذلك اختفى جوتز أثناء الزحف • فقـد عاد الى موطنه ، بعـد أن اتفق مع ترتشس عن طريق زميله القديم في السلاح دتير يشى سبات، على الانتقـال الى الجانب الآخـر • وفي اوهرنغن انتشرت شائعـة زائفة عن اقتراب العدو أدت الى نشر الذعر والفزع بين الفلاحـين الحائرين الذين فقدوا حماستهم • وتشتت الفرقة في كل اتجاه • ولم يتمكن متزلر وفندل هيبلر من الاحتفاظ بنحو ٢٠٠٠ رجل الا بمشقة بالغة ، وقادوهم مرة اخرى الى كرواتهايم • وفي الوقت نفسه وصل جيش فرامكونيا البالغ عدده ٥٠٠٠ رجل ولكنه قام بحملة جانبيـة خلال اقليم لوفنشيتن في اتجاه أوهرنغن • وكان ذلك بأمر من جوتز بغرض الخيانة طبعاً • مما أدى الى عدم التقائه بالفرقة المرحة وتقدمه الى نيكار سولـم • وكان ترتشس يحاصر هذه المـدينة التي كانت

تداعى عنها عدة فصائل من الفرقة المشرقة. ووصلت قوات فرانكونيا ليلا ورأت نيران جيش العصبة ولكن قادتها لم يجدوا الشجاعة ليبادروا بالهجوم وانسحبوا الى كرواتهايم حيث التقوا في النهاية ببقية الفرقة المشرقة. ولما لم تتلق نيكارسولم أي مساعدة استسلمت لقوات العصبة في ٢٩ أيار . وأعدم ترتشس على الفور ١٣ فلاحاً وزحف على الفرقة مشعلا النيران سالباً وناهباً وقاتلا على طول الطريق . وامتلأطريقه بين وديان نيكار وكوثر وغاصت بالدمار وجثث الفلاحين المعلقة على الأشجار .

وعند كرواتهايم انتصرت قوات العصبة على الفلاحين . فالتف ترتشس حولهم وأجبرهم على التراجع نحو كوينغز هوفن على نهر التوبر . وهناك عسكروا وكان عددهم ٨٠٠٠ ومعهم ٣٢ مدفعاً وتقدم ترتشس اليهم متخفياً وراء التلال والغابات وأرسل القوات لتطويقهم . وفي ٢ حزيران هاجمهم بتفوق كبير في العدد والنشاط فانهزموا وتشتتوا على الرغم من المقاومة العنيدة التي أبداها عدد كبير من الفصائل العديدة وهي المقاومة التي استمرت أثناء الليل. وكما حدث في كل مكان كان خيالة العصبة « هلاك الفلاحين » هم الاداة الرئيسية في القضاء على الجيش الثائر ، اذ يحملون على الفلاحين الذين تكون صفوفهم قد تزعزعت تحت نيران المدفعية والبنادق وهجمات الذبح فيحطمون صفوفهم تحطيما تاما ويقتلونهم فرداً فرداً . ونستطيع أن نفهم نوع الحرب التي خاضها ترتشس وفرسانه من المصير الذي لقيه ٣٠٠ من التجار وأصحاب الحرف في كوينغزهوفن ممن كانوا قد انضموا الى جيش الفلاحين فقد قتلوا جميعا في المعركة باستثناء ١٥ قطعت رؤوس أربعة منهم فيما بعد .

وهكذا سوى الأمر مع الفلاحين في اودنفالد ووادي النيكر وفرانكونيا السفلى وأخضع ترتشسس Truchsess الاقليم كله بسلسلة من الحملات التأديبية أحرق فيها قرى بكاملها وقتل أناساً بلا عدد . ثم زحف نحو فيرزبرغ ، وفي طريقه علم بأن فرقة فرانكونيا الثانية بقيادة فلوريان غاير وجريجور فون برنهايم تعسكر في سولزدورف فقرر فوراً الاتجاه اليها .

وبعد محاولته الفاشلة للاستيلاء على فراوبنورغ كرس فلوريان غاير كل جهده الرئيسي للتفاوض مع امراء المدن وخاصة مع روتنبرغ وكازيمير مارغريف اوف أنزباخ داعيا إياهم للانضمام الى أخوة الفلاحين ولكنه استدعي فجأة عندما جاءت أنباء هزيمة كوينغزهوفن . وانضمت فرقته الى فرقة أنزباخ تحت قيادة غريغور فون برنهايم وكانت هذه الفرقة الأخيرة حديثة التكوين . وكان المارغريف كازيمير قد نجح في ايقاف ثورة الفلاحين في اقليمه باسلوب هوهنزلرن الأصيل ، الوعود من ناحية والتهديدات من ناحية أخرى . وقد حافظ على الحياد التام ازاء جميع القوات الخارجية مادامت لاتحاول تجنيد رعايا أنزباخ . وحاول أن يوجه سخط الفلاحين أساساً الى أملاك الكنيسة اذ كان يأمل في مصادرتها آخر الأمر وضمها الى ثروته الخاصة . واستمر في تسليح نفسه منتظراً ماتسفر عنه الاحداث . وما أن علم بمعركة بوبلينغن حتى بدأ عملياته ضد الفلاحين الثائرين، فنهب قراهم وأحرقها وشنق الكثيرين منهم أو أعدمهم بمختلف الوسائل. غير أن الفلاحين سرعان ماتجمعوا وأنزلوا به الهزيمة في فندسهايم تحت قيادة غريغور فون برنهايم في ٢٩ أيار . ووصلتهم صيحة فلاحي أودنفالد المحاصرين وهم يتعقبونه فاتجهوا فوراً نحو هيدنغزفيلد . ومن هناك ساروا مع فلوريان غاير نحو فورن بورغ

مرة أخرى (في ٢ حزيران) ولما لم تصلهم أنباء عن فرقة اودنفالد تركوا ٥٠٠٠ من الفلاحين هناك وساروا في طريقهم بأربعة آلاف فقط • اذ كان عدد كبير من الفلاحين قد هجر الصفوف • ووصلتهم أنباء زائفة عن نتيجة معركة كوينغزهوفن زادت من اطمئنانهم • ولم يلبث ترتشس أن هاجمهم عند سولز دوروف وأنزل بهم هزيمة ساحقة • وأقام فرسان ترتشس ومشاته المذبحة المعتادة • وجمع فلوريان غاير بقية فرقته السوداء التي بلغ عددها ٦٠٠ وشق بهم طريقه الى قرية انغولز شتادت حيث قام ٢٠٠ منهم باحتلال الكنيسة وقام ٤٠٠ بالاستيلاء على القصر • وتعقبته قوات البالاتين وقام تشكيل منها مؤلف من ١٢٠٠ رجل بالاستيلاء على القرية وأشعل النار في الكنيسة • ومن نجا من النيران تلقفته الرماح • وعند ذلك فتحت قوات البالاتين ثغرة في سور القصر المحطم وحاولت الاستيلاء عليه • وتمكن الفلاحون من صدهم مرتين محتمين وراء السور الداخلي وعند ذلك دمر المهاجمون هذا السور أيضا وحاولوا للمرة الثالثة الاستيلاء على القصر ونجحوا في هذه المرة • وقتل نصف رجال غاير ولكنه نجح في الافلات مع ٢٠٠ من رجاله الا أن مكمنه اكتشف في اليوم التالي وأحاط جنود البالاتين بالغابة التي اختفوا فيها وذبحوهم عن بكرة أبيهم • ولم يؤخذ خلال هذين اليومين سوى ١٧ أسيراً • وشق فلوريان غاير طريقه مرة أخرى مع عدد قليل من أشد مقاتليه بأساً واتجه نحو فلاحي غيلدورف الذين عادوا الى تجميع فرقة بلغ عددها نحو ٧٠٠٠ رجل • ولكنه عندما وصل وجد أن أغلبهم قد انفض نتيجة للأخبار الساحقة التي تواترت من كل جانب فبذل محاولة أخيرة لجمع الفلاحين الذين انتشروا في الغابات ولكن القوات المعادية فاجأته في هال ٩ حزيران وسقط وهو يقاتل •

وكان ترتشس قد وجه رسالة الى فراونبورغ المحاصرة بعد انتصاره في كوينغزهوفن واتجه بقواته بعد هذه المعركة نحو فورزبورغ • ووصل المجلس معه الى اتفاق سري تمكن جيش العصبة بمقتضاه في ليلة ٧ حزيران من الاحاطة بالمدينة التي كان يعسكر فيها ••• امن الفلاحين • وفي الصباح التالي تقدمت قواته دون أن تطلق رصاصة واحدة عبر الابواب التي تولى المجلس فتحها أمامهم• وعن طريق هذه الخيانة التي قام بها « أشراف فورزبورغ تم نزع سلاح آخر فرق الفلاحين في فرونكونيا وقبض على جميع قادتها • وأمر ترتشس باعدام ٨١ منهم على الفور • وتوافد مختلف امراء فرانكونيا على فورزبورغ الواحد اثر الآخر وكان أسقف فورزبورغ نفسه وأسقف بامبرغ ومارغريت براندنبورغ وأنزباخ • ووزع السادة الافاضل الادوار فيما بينهم • وتقدم ترتشس مع أسقف بامبرغ الذي نقض اتفاقه مع فلاحيه ومنح أراضيه رجال جيش العصبة السفاكين • وقام المارغريف كازيمير بتخريب أراضيه • واحرقت دينغن ونهبت الكثير من القرى أو ذهبت طعمة للنيران • وفي كل مدينة عقد المارغريف محكمة دموية فأمر باعدام ١٨ من الثوار في نيوشتادت على نهر انجه ، ٤٣ في ماركت – بورغل وتقدم من هناك الى روتنبرغ حيث كان الاشراف قد قاموا بثورة مضادة • فقبض على ستيفان فون مينزنغن • ودفع صغار التجار والعامة في روتنبرغ عندئذ ثمنا غاليا لسلوكهم المريب ازاء الفلاحين وذلك عندما رفضوا تقديم أي عون لهم حتى آخر لحظة وأصروا بأنانيتهم الاقليمية الضيقة الافق على القضاء على الحرف القائمة في الريف لصلحة اتحادات الحرف في المدن،ولم يقبلوا التخلي عن دخل المدينة الذي يرد اليها نتيجة للخدمات الاقطاعية التي يؤديها الفلاحون الا

بشق الأنفس • فأمر المارغريف باعدام ١٦ منهم وفي مقدمتهم فيز نغن بطبيعة الحال • وطاف أسقف فورزبورغ باقليمه طوافا مماثلا ناهبا وسالبا مشعلا الحرائق حيثما ذهب • وأطاح خلال هذا الزحف المظفر بمئتين وخمسين رأسا من الثوار • ثم ختم جولته عند عودته الى فورزبورغ بقتل ١٣ آخرين من ثوار تلك المدينة •

وفي اقليم فيز تمكن الاسقف فيلهلم فون ستراسبورغ من اعادة النظام دون مقاومة تذكر ولم يعدم غير أربعة رجال • أما راينغاو التي كانت قد ثارت أيضا ولكن عاد جميع أبنائها الى دورهم منذ وقت طويل فقد غزاها فراوفون هتن وهو من أقارب أولريخ وتمت « تهدئتها » تماماً بعد اعدام ١٢ من قادة العصابات • وفي فرانكفورت التي عانت أيضا كثيراً من الحركات الثورية قمعت الحركة أولا عن طريق الموقف التوفيقي الذي اتخذه مجلس المدينة، ثم عن طريق القوات المسلحة بعد ذلك • وفي امارة الراين تجمع ٨٠٠٠ من الفلاحين من جديد بعد نقض البالاتين للاتفاق وعادوا الى حرق الاديرة والقصور،ولكن هب كبير أساقفة ثرير لمساعدة مارشال هابرن وقضى على الحركة في موقعة فورزهايم يوم ٢٣ حزيران وأدت سلسلةمن الفظائع (أعدم في فورزهايم وحدها ٨٢ شخصاً) وسقوط فايزنبرغ في ٧ حزيران الى وضع حد نهائي للعصيان •

ولم يبق من جميع فرق الفلاحين غير اثنتين : فرقة هيغاو بالغابة السوداء وفرقة الجاو وقد جرب الارشيدوق فرديناند استخدام الدهاء معهما • فكما سعى كازيمير وغيره من الامراء للاستفادة من حركة العصيان بضم اراضي الكنيسة والمقاطعات • رغب فرديناند أن يستخدمها لزيادة مجد البيت النمساوي الحاكم •

فتفاوض مع هانز موللر أوف بولغنباخ قائد هيجاو بهدف اغراء الفلاحين باعلان الولاء للنمسا • ولكن رغم رشوة القائدين فانهما لم يستطيعا اقناع فرقتيهما بشيء اكثر من اعلان الهدنة بين فرقة الجاو والارشيدوق واعلان الحياد ازاء النمسا •

وأثناء التراجع من اقليم فورتمبرغ دمر فلاحو هيغاو عدداً من القلاع وجمعوا تعزيزات في أقاليم امارة بادن • وفي ١٣ أيار زحفوا الى فرايبورغ وأطلقوا عليها قنابلهم ابتداء من ١٨ أيار وعندما استسلمت المدينة في ٢٣ أيار دخلوها دخول الظافرين • ومن هناك تقدموا نحو ستوكاخ ورادولغزل وشنوا حرباً طويلة الأمد ضد حاميتي هاتين المدينتين ولكنها لم تؤد الى شيء وطلبت رادولغزل بالاشتراك مع النبلاء وغيرها من المدن المجاورة العون من فلاحي البحيرة بموجب اتفاقية فاينغارتن ، فتجمع ٥٠٠٠ من الثوار السابقين من أعضاء فرقة البحيرة ليقاتلوا اخوانهم ، وكان الفلاحون من ضيق الافق وقصر النظر بحيث لم يرفض القتال غير ٦٠٠ أعربوا عن رغبتهم في الانضمام الى فلاحي هيغاو ولم يلبثوا أن اعدموا • أما فلاحي هيغاو أنفسهم فقد تولى هانز موللر — الذي كان قد باع نفسه للعدو — اقناعهم ، فرفعوا الحصار وعندما فر هانز تشتتوا • أما البقية فقد تحصنوا عند مرتفعات هيلزمنغن حيث لحقت بهم الهزيمة في ١٦ أيار على يد القوات التي كانت قد توفرت في ذلك الحين • وتولت المدن السويسرية المفاوضة باسم فلاحي هيغاو • غير أن هذه المفاوضة لم تمنع الطرف الآخر من القبض على هانز موللر وقطع رأسه في لوفنبرغ ، وذلك على الرغم من خيانته • وفي بريسغاو تخلت مدينة فرايبورغ أيضا عن اتحاد الفلاحين (في ١٧ أيار) وأرسلت قواتها لتحارب ضده ، ولكن نظراً لضعف قوات الامراء تم

التوصل في هذه المنطقة ـ كما حدث في المناطق الاخرى ـ الى اتفاق أووفنبورغ (١) (في ١٨ ايلول) وهو الاتفاق الذي شمل سندغاو أيضا • وادى استبداد الكونت فون سولز الى عودة ثماني مجموعات في الغابة السوداء وكذلك فلاحي كلينغاو الى الثورة ولم يكونوا قد نزعوا سلاحهم بعد ، ولكنهم هزموا في تشرين الأول • وفي ١٣ تشرين الثاني اضطر فلاحو الغابة السوداء الى توقيع اتفاق فالدشوت (٢) آخر حصن للثورة في الراين الاعلى وذلك في ٦ كانون الأول •

وبعد مغادرة ترتشس جدد **فلاحو الغاو** حملتهم على الأديرة والقصور وانتقموا للخسائر التي احدثها جيش العصبة • ولم تقابلهم الا قوات ضئيلة لم تقدر على اكثر من مناوشتهم مناوشات منعزلة غير ذات بال • ولم تتعقبهم أبداً داخل الغابات • وفي حزيران هبت حركة معادية للاشراف في ميمنغن التي كانت قد بقيت حتى ذلك الحين محايدة بدرجة أو بأخرى ، ولم تهزم الانتيجة لوجود بعض

---

(١) اتفاقية اوفنبورغ وهي التي وقعها ثوار بريسغاو مع الحكومة النمساوية • وتنص على اعادة الخدمات السابقة التي كان يقوم بها الفلاحون واتخاذ اجراءات صارمة ضد جمعيات الفلاحين و « الهراطقة » وتعهدت الحكومة بالعفو عن الفلاحين العاديين الذين أشتركوا في الحركة وأن تكتفي بغرامات متواضعة نسبيا • غير ان العفو لم يشمل قادة الحركة • ورغم ان هذه الاتفاقية لم تكن في صالح الفلاحين فان السلطات النمساوية والسادة الاقطاعيين لم يلبسوا أن نقضوها وانتقموا من الثوار انتقاما دمويا بمجرد ان وضع هؤلاء سلاحهم •

(٢) اضطر فلاحو الغابة السوداء بموجب هذا الاتفاق الى حلف يمين الولاء لاسرة هابسبورغ مرة أخرى•واستئناف خدماتهم السابقة للسادة الاقطاعيين والامتناع عن التدخل في الاجراءات الدموية الانتقامية التي يقوم بها المنتصرون جنبا مدينة فالدشوت التي كانت مركز قيادة الحركة • غير ان المدافعين عن فالدشوت ثبتوا في مراكزهم بضعة اسابيع ولم تسقط المدينة الا بسبب خيانة التجار واصحاب الحرف •

قوات العصبة بالقرب منها بالصدفة فسارعت الى نجدة الأشراف ولجأ تشابلر الواعظ وقائد حركة العامة الى سانت غالن • ووصل الفلاحون الى مشارف المدينة وأوشكوا على اطلاق النار لفتح ثغرة في اسوارها عندما علموا بأن ترتشس قادم من فورزبورغ • وفي ٢٧ حزيران خرجوا لملاقاته في نسقين احدهما في اتجاه بابن هافون والآخر في اتجاه أوبرغونزبرغ • وحاول الارشيدوق فرديناند مرة أخرى كسب الفلاحين الى صف البيت الحاكم النمساوي • وطلب من ترتشس بموجب الهدنة المعقودة بينه وبين الفلاحين ألا يواصل زحفه عليهم ، غير أن عصبة سوابيا أمرت ترتشس بالهجوم وأن يمتنع فقط عن سلب الاملاك واحراق المساكن ، الا أن ترتشس كان أذكى من أن يتخلى عن سلاحه الاساسي الفعال ، حتى ولو تمكن من كبح جماح المرتزقة الذين قادهم من بحيرة كونستاس حتى مدينة مين في حملات ارهابية متوالية • وبلغ عدد الفلاحين حوالي ٢٣٠٠٠ رجل تحصنوا وراء جبال الروليوباس • وكان ترتشس يواجههم بـ ١١٫٠٠٠ ألف رجل • وكانت مواقع الجيشين حصينة جداً، ولم تكن للخيالة قيمة نظراً للعوائق الأرضية اذ كان المرتزقة من جيش ترتشس يتفوقون على الفلاحين في التنظيم والتدريب العسكري والانضباط • فقد كان بين صفوف فلاحي الغاو طائفة من الجنود السابقين والضباط المدربين كما كانوا يملكون عدداً كبيراً من المدافع في حالة جيدة • وفي ١٩ تموز بدأ جيش العصبة باطلاق النار واستمر ذلك من الجانبين خلال ٢٠ تموز دون أي نتيجة • وفي ٢١ تموز انضم جورج فون فرندبرغ الى ترتشس ومعه ٣٠٠ من المرتزقة • وكان يعرف الكثيرين من قادة الفلاحين الذين عملوا تحت امرته في الحملات العسكرية في ايطاليا • وبدأ التفاوض معهم وكادت الخيانة تفلح

حيث لايكفي الفن العسكري • وباع فالترباخ وكثيرون غيره من القواد ورجال المدفعية أنفسهم فأشعلوا النار في ذخيرة الفلاحين بأسرها ثم دعوا الفرقة للقيام بحركة تطويق ولكن لم يكد الفلاحون يخرجون من مواقعهم الحصينة حتى وقعوا في كمين نصبه ترتشس بالتواطؤ مع باخ والخونة الآخرين • وزاد من عجزهم أن قادتهم الخونة تركوهم بحجة الاستطلاع وفروا الى سويسرا • وهكذا انهزم النسقان من قوات الفلاحين هزيمة تامة بينما تمكن التشكيل الثالث بقيادة نوف اوليوباس من الانسحاب بنظام جيد وعادالى موقعه فوق جبل كولن بالقرب من كمبتن حيث طوقه ترتشس • ولكنه لم يجرؤ على مهاجمة الفلاحين • فقطع كافة خطوط تموينهم وامداداتهم وحاول اضعاف روحهم المعنوية عن طريق احراق نحو ٢٠٠ قرية من القرى المجاورة • وادى الجوع ومشهد بيوتهم وهي تحترق بالفلاحين الى التسليم آخر الأمر (٢٥ تموز) وأعدم ترتشس اكثر من ٢٠ منهم على الفور وهرب اوف ليوباس – وكان الوحيد من بين قادة هذه الفرقة الذي لم يخن رايته – الى مدينة بريغنز • غير أنه اعتقل هناك وشنق بعد سجن طويل •

وقد جلب هذا نهاية حرب الفلاحين في سوابيا وفرانكونيا •

٦

وبعد انفجار الحركة الأولى في سوابيا Swabia ، أسرع مونزر مباشرة بالتوجه الى ثورنيجيا Thuringia مرة ثانية . وفي أواخر شباط وأوائل آذار بقي مونزر في مدينة مولهاوزن Mühlhausen الامبراطورية الحرة ، حيث كان حزبه أقوى هناك من أي مكان آخر . وكانت خيوط الحركة بمجملها بين يديه وكان يعرف أي عاصفة كانت توشك أن تهب في جنوب ألمانيا . وأخذ على عاتقه مهمة تحويل ثورنيجيا الى مركز للحركة في شمال ألمانيا . ووجد الأرض حصينة جداً لذلك . فقد كانت ثورنيجيا نفسها المسرح الرئيسي لحركة الاصلاح في وضع مضطرب . وكان بؤس واملاق الفلاحين المسحوقين وكذلك العقائد الدينية والسياسية الثورية قد خلقت شعوراً عاماً مستعداً للانتفاضة في أقاليم هيس وساكسونيا Saxony وهارتز Harz المجاورة . وفي مولهاوزن نفسهاأمكن كسب جماعات كبيرة من صغار التجار وأصحاب الحرف الى جانب مونزر وعقيدته المتطرفة . وكان من الصعب عليهم أن ينتظروا حتى يتحقق لهم التفوق على الاشراف المتغطرسين . ولمنع قيام الحركة قبل أوانها اضطر مونزر نفسه الى ابداء الكثير من الاعتدال . ولكن تلميذه فيفر Pfeifer الذي كان يقود الحركة هناك كان قد اندفع الى مدى جعله غير قادر على منع وقوع الانفجار . وفي ١٧ آذار ١٥٢٥ قامت مولهاوزن بثورتها قبل الثورة العامة في جنوب ألمانيا فأطيح بمجلس الاشراف القديم The old Patrician Council

وسلم الحكم الى « **المجلس الخالد** » الذي انتخب حديثا والذي كان يرأسه مونزر (١) ٠

ان اسوأ ما يمكن ان يقع لقائد حزب متطرف أن يضطر الى تولي الحكم في فترة لا تكون فيها الحركة قد نضجت بعد لتسمح بسيطرة الطبقة التي يمثلها وتطبيق الاجراءات التي تفرضها تلك السيطرة ولا يتوقف ما **يستطيع** اداؤه على ارادته بل على درجة التناقض بين الطبقات المختلفة وعلى مدى تطور الوسائل المادية للعيش وعلى ظروف الانتاج والتجارة التي تقوم عليها دائما التناقضات الطبقية ٠ اما **ما ينبغي** أن يعمله وما يطلبه حزبه منه ، فلا يتوقف عليه ولا على درجة تطور الصراع الطبقي وظروفه ٠ فهو مرتبط بعقائد ومطالب أعلنت من قبل وهي ليست صادرة عن العلاقات الطبقية في اللحظة الراهنة ، ولا عن المستوى العابر للانتاج والتجارة وانما تصدر عن قدرته على النفاذ ببصيرته الى النتيجة العامة للحركة الاجتماعية والسياسية ٠ وهكذا يجد نفسه بالضرورة في مأزق لا مخرج له منه ٠ **فما يستطيع** عمله يتناقض مع أعماله السابقة جميعا ومع مبادئه ومع المصالح العاجلة لحزبه وما ينبغي أن يقوم به لايمكن القيام به ٠ وبكلمة واحدة فهو مضطر لا الى تمثيل حزبه أو طبقته بل الطبقة التي تكون الحركة قد نضجت عندئذ لسيطرتها ٠ ومن أجل مصالح الحركة يضطر الى تقديم مصالح طبقة غريبة ٠ ولا يقدم لطبقته غير الوعود والكلمات ، وتأكيد أن مصالح تلك الطبقة الغريبة هي مصالح طبقته نفسها وكل من يوضع في هذا المركز الشائك يضيع

---

١) يؤكد الباحثون المحدثون ان مونزر لم يشغل اي منصب رسمي في « المجلس الخالد» ولكن حضوره لجلساته والنصائح التي كان يقدمها جعلته الرئيس الفعلي للحكومة الثورية الجديدة ٠

نهائياً • وقد رأينا أمثلة على ذلك في السنوات الأخيرة • ويكفي أن نذكر الموقف الذي اتخذه « ممثلو البروليتاريا » (١) في الحكومة الفرنسية المؤقتة أخيراً ، وان كانوا لايمثلون الا مرحلة دنيا من مراحل تطور البروليتاريا • وكل من يستطيع بعد الان أن يغامر بشأن المناصب الرسمية بعد تجربة حكومة شباط ، بل الحديث عن حكوماتنا الألمانية المؤقتة النبيلة وعن مجالس الوصاية الامبراطورية (٢) لايمكن الا أن يكون أحمق الى أقصر حدود الحمق أو مواليا للحزب الثوري المتطرف ولاء لفظيا فقط •

والواقع أن موقف مونزر في رئاسة « **المجلس الخالد** » في مولهاوزن كان اكثر دقة من موقف أي حاكم ثوري حديث • فلم تكن الحركة صالحة لأيامه فقط ، بل لم يكن عصره كله قد نضج لتلقي الأفكار ، التي لم يكن لديه هو نفسه الا فكرة ضئيلة عنها، كما أن الطبقة التي كان يمثلها كانت لاتزال تعاني آلام مولدها ، كما كانت لاتزال بعيدة عن اكتمال النمو والقدرة على اخضاع المجتمع وتطويره •

---

١) يشير انجلز الى لويس بلان والكساندر مارتن (البرت) من أشتراكيي البورجوازية الصغيرة اللذين مثلا البروليتاريا في الحكومة البورجوازية المؤقتة للجمهورية الفرنسية التي اقيمت في شباط ١٨٤٨ • ويقول لينين ان الاشتراكيين من طراز لويس بلان يقومون بدور يدعو الى الرثاء في الحكومات البورجوازية وأنهم لايعدو أن يكونوا (أدوات لتحسين مظهر الحكومة البورجوازية ، ومعاول في يدهما ضد السخط الشعبي ووسيلة لخداع الجماهير) •

٢) مجلس الوصاية الامبراطورية هو مجلس الوصاية الخماسي المشكل في حزيران ١٨٤٩ على يد الجمعية الوطنية في فرانكفورت لممارسة السلطات الى حين تطبيق (الدستور الامبراطوري) وانتخاب امبراطور لالمانيا • وكان هذا المجلس يتألف من مندوبين للبورجوازية الصغيرة « اليسارية » تبين فيما بعد أنهم لايقلون جبنا وضعفا وعجزا عن العمل الثوري عن الجمعية الوطنية نفسها ، ولم يلبث هذا المجلس أن حل بطريقة مهينة •

وكانت التغيرات الاجتماعية التي يتصورها في خياله لاتقوم على اساس متين من الظرف الاقتصادية القائمة وقتها • بل ان هذه الظروف هي التي مهدت الطريق لنظام اجتماعي كان على النقيض تماما مما طمح اليه • ومع ذلك فقد كان مرتبطا بمواعظه الاولى عن المساواة المسيحية والمشاعية الانجيلية في الملكية وكان ملزما بأن يحاول تطبيقها على الأقل • فأعلنت الملكية العامة ، وضرورة تقسيم العمل والتكافؤ فيه ، والغاء كافة الحقوق التي تتيح لأصحابها التسلط على غيرهم • ولكن في الواقع بقيت مولهاوزن مدينة امبراطورية جمهورية لها دستورها تتخلله بعض الديمقراطية ، ومجلس للشيوخ منتخب انتخاباً عاماً يقوده مكتب رئاسة ونظام لرعاية الفقراء وضع على عجل • ولم يكن الانقلاب الاجتماعي الذي أفزع التجار البروتستانيتين المعاصرين سوى محاولة ضعيفة ينقصها الوعي والنضج لاقامة المجتمع البورجوازي الذي نشأ فيما بعد •

ويبدو أن مونزر نفسه شعر بالهوة بين نظرياته والوقائع المحيطة به ، وهي هوة لابد أنه شعر بحدتها بسبب الصورة المشوهة التي أدركت بها عقول أتباعه الفجة خيالاته ، فكرس نفسه لتنظيم الحركة وتوسيع نطاقها بغيرة نادرة حتى بالنسبة اليه • فكتب الرسائل وبعث الرسل والدعاة الى جميع الانحاء وأصبحت كتاباته ومواعظه يسودها تعصب ثوري يبعث على الدهشة اذا ما قورن بكتاباته السابقة فاختفى تماما مرحه البسيط المتسم بروح الشباب الذي ساد كتاباته قبل الثورة • كما أن اسلوب المفكر المدرسي الرصين الذي اشتهر به من قبل لم يعد له وجود • وأصبح مونزر نبيا يدعو بحماس للثورة • فكان يذكر بلا هوادة الكراهية للطبقات السائدة ويحرك أعمق العواطف مستخدماً نفس اللغة العنيفة التي

استخدمها أنبياء التوراة مدفوعين بالنعرة الدينية أو القومية،ويعكس الاسلوب الذي اضطر الى استخدامه مستوى تعليم الجمهور الذي كان عليه أن يؤثر فيه .

وكان للمثل الذي ضربته مولهاوزن والدعاية التي يقوم بهما مونزر أثرهما السريع البعيد المدى ففي ثورنيجيا وايخفلد وفي الهارتز ودوقيات سكسونيا وفي هيس وفولدا وفي فرانكونيا العليا وفوغتلاند، هب الفلاحون وشكلوا الجيوش وأحرقوا القصور والاديرة . واعترف بمونزر قائداً للحركة بأسرها ـ بدرجة أو بأخرى ـ وأصبحت مولهاوزن مركزاً لها . بينما نجحت في ايرفورت حركة خالصة للتجار وأصحاب الحرف واتخذ الحزب الحاكم فيها موقفا متردداً من الفلاحين.

ووقف أمراء ثورينجيا في البداية حائرين عاجزين أمام الفلاحين مثلما حدث في فرانكونيا وسوابيا .ولم ينجح حاكم هيس في جمع جيش الا في أواخر نيسان . وهو الكونت فيليب Philip الذي يشيد البروتستانتيون والمؤرخون البورجوازيون لعصر الاصلاح بتقواه . والذي سنتحدث عن الفظائع التي ارتكبها ضد الفلاحين ولناحولها كلمة. وتمكن الكونت فيليب بسلسلة سريعة من التحركات والأعمال الحاسمة من اخضاع الجانب الاكبر من اراضيه ، واستدعى فصائل جديدة للقتال ثم حول جهوده الى منطقة مطران فولدا Fulda ،الذي كان حتى ذلك الحين السيد الاقطاعي الكونت . في ٣ أيار أنزل فيليب الهزيمة بجيش فلاحي فولدا في فراونبورغ وأخضع المنطقة كلها . وانتهز الفرصة ليتحرر من سيادة المطران بل وليجعل مطرانية فولدا تابعة لهيس على أن يتم اخضاعها للنظام المدني لا الديني بطبيعة الحال . ثم استولى على ايزناخ ولانغتسالزا وتقدم بالاشتراك مع قوات دوق ساكسونيا نحو مولهاوزن عاصمة العصيان . وجمع مونزر قواته التي

كانت تتألف من ٨٠٠٠ رجل وعدد من المدافع في فراكنهاوزن • ولم يكن لفرقة ثورينجيا تلك القدرة القتالية التي اكتسبها فريق من قوات فرانكونيا وسوابيا العليا أثناء القتال ضد ترتشس • وكان تسليحها سيئاً وانضباطها ضعيفا ، ولم يكن بين صفوفها سوى القليل من الجنود السابقين وكانت تفتقر الى القيادة افتقاراً واضحاً • ولم يكن لمونزر نفسه أدنى معرفة عسكرية • ومع ذلك رأى الأمراء أنه من الأفضل أن يستخدموا ضـده نفس التكتيك الذي كثـيراً ما عاون ترتشس على احراز النصر ألا وهو **نقض العهد** • فبدأو المفاوضات معه في ١٦ أيار وعقدوا هدنة • ثم هاجموا الفلاحين فجأة قبل انقضاء فترة الهدنة •

ونظم مونزر قواته فوق الجبل الذي مازال يسمى جبل المعركة (شـلاختبرغ) Schlachtberg محتمين وراء متـاريس منعربات النقل • وسرعان ماانتشـر التردد بـين رجاله اذ وعدهم الامراء بالعفو اذا سلموا اليهـم مونزر حيا • وعقد مونزر اجتمـاعاً عاماً لمناقشة اقتراحـات الامراء وتحدث أحد الأمراء وأحـد القسس في تأييـد التسليم • وأمـر مونزر بهمـا فقطعت رأساهمـا • وأدى هذا العمل الارهـابي الفعال ــ والذي رحبت به العنـاصر الثورية الصلبة ــ الى تدعيم النظام بين القوات غير أن أغلبية الجنود كانت تؤثر الانصراف بلا مقاومة لو لم يلاحظوا أن المرتزقة التابعين للامراء والذين كانوا قد طوقوا الجبل بأسره يقتربون من مواقعهم في صفوف متراصة على الرغم من الهدنة • وتشكلت خطوط القتـال على وجه السرعة وراء المتاريس غير أن قنابل المدافـع ورصـاص البنادق بدأت في التساقط فوق الفلاحين الذين كانوا شبه عزل من السلاح ، الذين لم يتدربوا على المعـارك • ووصـل المرتزقـة الى المتاريس وبعد مقاومة قصيرة تحطم خط عربات النقـل واستولت

قوات الامراء على مدافع الفلاحين وتشتت الفلاحون وانطلقوا بغير نظام ليقعوا في أيدي القوات الزاحفة والخيالة المحاصرين لهم فكانت مذبحة مروعة • فمن بين ٨٠٠٠ فلاح قتل اكثر من خمسة آلاف ووصل من تبقى منهم الى فرنكنهاوزن وخيالة الامراء في اعقابهم وسقطت المدينة • ووجد مونزر مصابا في رأسه مختفيا في أحد البيوت وقبض عليه • وفي ٢٥ أيار سلمت مولهاوزن كذلك • وفر فيفر الذي كان قد بقي فيها • ولكنه وقع في الاسر في اقليم ايزناخ •

وشد مونزر الى عجلة التعذيب في محضر الامراء ثم قطعت رأسه وقد لقي الموت بالشجاعة نفسها التي كان يواجه بها الحياة • وكان عمره عند اعدامه ٢٨ عاماً على الاكثر • وكذلك أعدم فيفر وعدد كبير آخر معه • وفي فولدا بدأ حاكم هيس الكونت فيليب ذلك الرجل التقي محكمته الدموية وأمر هو وأمراء ساكسونيا بقتل الكثيرين بالسيف من بينهم ٢٤ في ايزناخ ، ٤١ في لانفنسالزا ، ٣٠٠ بعد معركة فرانكهناوزن ، واكثر من ١٠٠ في مولهاوزن ، ٢٦ في غومار ، ٥٠ في ثونفيدا ، ١٢ في سانغرهاوزن ، ٨ في ليبزيغ • وذلك بالاضافة الى الاحكام الخاصة بقطع الأوصال وغيرها ونهب القرى والمدن واحراقها •

واضطرت مولهاوزن الى التخلي عن حريتها الامبراطورية وضمت الى اراضي ساكسونيا كما ضمت مطرانية فولدا الى امارة هيس •

وأخذ الامراء يتجولون في غابات ثورنيجيا حيث كان فلاحو فرانكونيا من معسكر بيلد هاوزن قد انضموا الى أهالي ثورنيجيا وأحرقوا كثيراً من القصور • ودارت رحى معركة أمام مدينة مينغن

وانهزم الفلاحون وانسحبوا نحو المدينة التي أغلقت أبوابها فجأة في وجوههم وهددتهم بالهجوم عليهم من الخلف وأوقعت هذه الخيانة من جانب الحلفاء الاضطراب في صفوف الفلاحين فسلموا للامراء وهربوا في كل اتجاه بينما كانت المفاوضات لاتزال دائرة . وكان معسكر بيلد هاوزن قد تشتت منذ أمد طويل . وبهزيمة هذه الفرقة قضي على بقايا الثوار في ساكسونيا وهيس وثورنيجيا وفرانكونيا العليا.

أما في الالزاس فقد انفجرت الثورة في وقت متأخر عن انفجارها على الضفة اليمنى للراين . فقد هب فلاحو أسقفية ستراسبورغ في منتصف نيسان . وعلى اثرها قامت انتفاضة للفلاحين في الالزاس العليا في سندغاو . وفي ١٨ نيسان قامت فصيلة من فلاحي الالزاس السفلى بنهب دير آلتدورف . وتشكلت فرق أخرى بالقرب من ايبرزهايم وبار ، وكذلك في وادي يللر ووادي أوربيس . وتجمعت هذه الفصائل في فرقة كبيرة للالزاس السفلى استولت على المدن والمساكن ودمرت الأديرة . ودعي رجل من كل ثلاثة للاشتراك في الفرقة . وكانت البنود الاثني عشر لهذه الجماعة اكثر ثورية من بنود سوابيا وفرانكونيا . وكان هناك تشكيل لابناء الالزاس السفلى يعمل بالقرب من سانت هيبوليت في أوائل أيار وقام بمحاولة فاشلة للاستيلاء على تلك المدينة . ثم استولى على بركين في ١٠ أيار وعلى رابولتز في ١٣ أيار وعلى رانجنفير في ١٤ أيار عن طريق التفاهم مع سكانها . وكان هناك تشكيل آخر بقيادة أرازموس جيربر يتحرك لمهاجمة ستراسبورغ هجوما مفاجئا . ولكن المحاولة فشلت واتجه التشكيل نحو فوج . ودمر دير ماورمونستر وحاصر زابرن التي سلمت في ١٣ أيار . ومن هناك اتجه نحو حدود اللورين وأثار المنطقة المجاورة من تلك الامارة وعزز في الوقت نفسه حاميات الممرات الجبلية.

وأقيم معسكران كبيران في كل من هير بتزهايم على نهر السار وفي نيوبرغ • وتحصن ٤٠٠٠ من فلاحي اللورين الألمان في سارغموند وفي النهاية تقدمت فرقتان هما فرقة كولين في الفوج عند ستورزلبرون وفرقة كليبرغ في فايزنبرغ وغطتا المقدمة والجناح الأيمن بينما التحم الجناح الأيسر بتشكيل الالزاس العليا •

وكان هذا التشكيل الأخير في حركة منذ ٢٠ نيسان ، فأجبر سولز على الانضمام الى اخوة الفلاحين في ١٠ أيار ثم جبفلير في ١٢ أيار وسنهايم وماجاورها في ١٥ أيار • واتحدت الحكومة النمساوية والمدن الامبراطورية القريبة ضدهم • ولكنهم كانوا أضعف من أن يقاوموا مقاومة جدية فضلا عن القيام بهجوم • وهكذا كان الالزاس بأسره باستثناء مدن قليلة قد وقع بأيدي الثوار في منتصف أيار •

ولكن الجيش الذي سيحطم روح الالزاسيين المتوقدة كان يقترب • فقد كان **الفرنسيون** هم الذين أعادوا السلطة الى النبلاء في هذه المنطقة ففي ٦ أيار زحف الدوق أنطون من اقليم اللورين بجيشه البالغ ٣٠،٠٠٠ رجل ومن بينهم زهرة نبلاء فرنسا وكذلك الفرق الاحتياطية من اسبانيا وبيدمونت ولومبارديا واليونان •

وفي ١٦ أيار التقى بأربعة آلاف من الفلاحين في لوبشتين فهزمهم بلا مجهود ، وفي ١٧ أيار أجبر زابرن التي كان الفلاحون قد احتلوها على التسليم ولكن حتى شروط التسليم لم تحترم فأثناء دخول أبناء اللورين ونزع سلاح الفلاحين هاجم المرتزقة الفلاحين العزل وذبحوا غالبيتهم وتفرقت التشكيلات الباقية من قوات الالزاس السفلى • وتقدم الدوق انطون لملاقاة أبناء الالزاس العليا ، وكان هؤلاء قد رفضوا مساعدة تشكيل الالزاس السفلى في زابرن • وهاجمت كل

قوات اللورين تشكيل الالزاس العليا عند شرفيلار ودارت معركة عنيفة ، ولكن التفوق العددي لثلاثين ألف ضد سبعة آلاف والخيانة التي أقدم عليها عدد من الفرسان ، وخاصة خيانة قاضي رايخنفاير جعلت الشجاعة عديمة الجدوى • فحاقت بهم الهزيمة وتفرقوا حتى آخر رجل ومضى الدوق في طريقه لاخضاع الالزاس كله بالقسوة المعهودة فيه ، ولم تفلت من براثنه غير ساندغاو التي وقعت في أوائل حزيران اتفاقية انزيشايم مع الحكومة النمساوية حين هددتها باستدعائه • ولكن الحكومة النمساوية لم تلبث أن نقضت تلك الاتفاقية وشنقت قادة الحركة ودعاتها بالجملة ، وثار الفلاحون من جديد وانضمت ساندغاو آخر الأمر الى اتفاقية أوفنبورغ في ١٨ ايلول •

لم يبق الا أن نتحدث عن حرب الفلاحين في مناطق الالب النمساوية فقد كانت تلك المناطق وكذلك أسقفية سالزبورغ المتاخمة لها في صراع دائم مع الحكومة والنبلاء منذ معركة ستار ابرافا ووجدت المبادىء الاصلاحية هناك أرضا خصبة كما أدى الاضطهاد الديني والتعسف في فرض الضرائب وجبايتها الى التعجيل بالثورة •

وكانت مدينة سالزبورغ في صراع مع الاسقف منذ عام ١٥٢٢ حول حقوقها كمدينة وحول شؤونها الدينية وكانت تلقى في ذلك تأييدا من الفلاحين وعمال المناجم • وفي أواخر ١٥٢٤ شن الاسقف هجوماً على المدينة برجاله من المرتزقة ، وأرهبها بقذفها بالقنابل من القصر وعذب دعاة الهرطقة من ابنائها ، وفرض في الوقت ذاته ضرائب جديدة قاسية واستثار السكان الى أقصى حد ، وفي ربيع ١٥٢٥ وفي الوقت الذي قامت فيه انتفاضات سوابيا وفرانكونيا وثورينغيا، قام الفلاحون ورجال المناجم في البلاد بأسرها وامتشقوا الحسام ونظموا جيشا بقيادة



فلاحون ثوريون مشاة فرسان

براسلر وفيتمـوزر وحرروا المدينـة وحاصروا قصر سـالزبورغ • وصاغوا ـ كما فعل الفلاحون في غرب ألمانيا ـ مطالبهم فيأربعة عشر مطلباً •

وفي ستيريا والنمسا العليا وكارنيثيا وكارنيولا حيث فرضت ضرائب ومكوس ورسوم جديدة مجحفة أنزلت أضرارا فادحة بمصالح الشعب • هب الفلاحون في ربيع ١٥٢٥ واستولوا على عـــدد من القصور وانزلوا الهزيمة عند مدينة غويز بديترشتاين القائد العظيم بطل معركة ستارابرانا • ورغم ان الحكومة نجحت في تهدئة بعض الثوار بالوعود الزائفة فقد بقيت غالبيتهم متماسكة وتحالفت مع فلاحي سالزبورغ بحيث أصبح أقليم سالزبورغ بأسره والجانب الاكبر من النمسا العليا استيريا وكارنيثيا وكارينـولا في ايدي الفـلاحين ورجال المناجم •

ووجدت مبادىء الاصلاح كثيراً من المؤيدين في التيرول ايضاً . ولقي دعاة مونزر هناك نجاحاً كبيراً يفوق مالقـوه في مناطق الالب النمساوية الاخرى • وصب الاسقف فرديناند اضطهاده على دعاة المباديء الجديدة مثلما حدث في كل مكان وانتهك حقوق السكان عن طريق الاجراءات المالية التعسفية • ونشأ عن ذلك كما نشأ في كل مكان آخر ، قيام انتفاضة في ربيع ١٥٢٥ بقيادة جيزماير وهو من رجال مونزر • وكان الخبير العسـكري الوحيد بين قـادة الفلاحـين واستولى الفلاحون على عدد كبير من القصور وشنوا حملة ناجحةعلى رجال الكنيسة وخاصة في الجنـوب في منطقة اتش • وكـذلك ثـار الفلاحون في فور البرغ وانضموا الى فلاحي الغاو •

ووجد الاسقف نفسه محاصراً من كـل جانب فأخذ في تقـديم التنازلات للثوار بينما كان منذ أمد قريب يرغب في أخذهم بالنـار

والحديد • فدعا المجالس النيابية في أراضيه الموروثة للاجتماع . وفي انتظار اجتماعها عقد هدنة مع الفلاحين • كان أثناء ذلك يتسلح بكل ما في وسعه حتى يتمكن بعد فترة قصيرة من مخاطبة الهراطقة بلغة أخرى •

وكان من الطبيعي ألا تحترم شروط الهدنة لفترة طويلة • فقد احتاج ديتريشتاين الى المال وبدأ في فرض الأتاوات على الدوقيات• وقامت قواته المؤلفة من السلاف المجريين بفظائع مخجلة ضد السكان مما دفع أبناء ستيريا الى ثورة جديدة • وهاجم الفلاحون ديتريشتاين في شلاومينغ في ليلة ٢ تموز وقتلوا كل من لا يتكلم الألمانية • وألقي القبض على ديتريشتاين نفسه • وفي صباح ٣ تموز دعا الفلاحون هيئة من المحلفين وحكموا بالاعدام على ٤٠ من النبلاء التشيك والكروات من الاسرى ، وقطعت رؤوسهم على الفور • وكان لذلك اثره اذ قبل الارشيدوق على الفور كافة مطالب الطبقات في الدوقيات الخمس (اوستريا العليا والسفلى ، وستيريا وكارنيثيا وكارنيولا) •

كذلك أصيبت مطالب مجلس Landtag في التيرول وبذلك هدأ الشمال • غير أن الجنوب تمسك بمطالبه الأصلية التي تختلف عن قرارات Landtag المعتدلة • وبقي شاهراً السلاح ، ولم يتمكن الارشيدوق من اعادة النظام بالقوة الا في شهر كانون الأول • ولم يفته أن يعدم عدداً ضخما من المحرضين والقادة الذين وقعوا في يده •

وزحف عشرة آلاف باڤاري بقيادة جورج فون فرندزبرغ على سالزبورغ • وأدى هذا الاستعراض للقوة ، وكذلك المنازعات التي نشأت بين صفوف الفلاحين الى دفع فلاحي سالزبورغ لتوقيع اتفاق مع الاسقف في أول شهر ايلول وهو اتفاق قبله الارشيدوق

أيضاً • ولكن الأميرين اللذين عملا أثناء ذلك على تدعيم قواتهما ، لم يلبثا أن نقضا الاتفاق ودفع ذلك فلاحي سالزبورغ الى انتفاضة جديدة •

وصمد الثوار طوال الشتاء • وفي الربيع انضم اليهم جيزماير وشن حملة رائعة على القوات المطبقة عليهم من كل جانب ، وفي سلسلة من المعارك الظافرة خلال شهري أيار وحزيران ١٥٢٦ أنزل الهزيمة بالبافاريين والنمساويين وقوات عصبة سوابيا والمرتزقة التابعين لأسقف سالزبورغ • ونجح لفترة طويلة في منع التقاء هذه الفرق ببعضها البعض • كما وجد أيضا الوقت اللازم لمحاصرة رادشتادت•ولكنه أحيط آخر الأمربقوات متفرقة فاضطر الى التراجع وشق طريقه على رأس بقية جيشه عبر الالب النمساوي حتى وصل الى أراضي فينيسيا • وكانت جمهوريتا فينيسيا وسويسرا المقر المختار لقادة الفلاحين الاشداء للاعداد لمغامرتهم الجديدة • وقضى عاماً كاملا يبذل المحاولات لجرهما الى حرب مع النمسا كان يمكن أن تتيح له الفرصة للقيام بانتفاضة جديدة للفلاحين • غير أن أحد القتلة المأجورين اغتاله إثناء المفاوضات • فلم يكن الارشيدوق فرديناند ولا أسقف سالزبورغ ليذوقا طعم الراحة مادام غيزماير على قيد الحياة • فاستأجرا ذلك القاتل الذي تمكن من القضاء على هذا الثائر الخطر في عام ١٥٢٧ •

٧

أسدل الستار على الفصل الختامي في حرب الفلاحين بانسحاب غيزماير Geismaier الى الأراضي الفينيسية. وأعيد اخضاع الفلاحين في كل مكان لسادتهم: رجال الكنيسة او النبلاء الاشراف . ونقضت الاتفاقات التي عقدت معهم وزاد عبء الضرائب المفروضة عليهم نتيجة للغرامات الضخمة التي الزم بها المهزومون. وانتهى أروع جهد ثوري عرفه الشعب الألماني بهزيمة بشعة ، وأدى - لفترة من الزمن - الى مضاعفة الاضطهاد . غير أن حالة الفلاحين لم تتدهور في المدى الطويل نتيجة لقمع حركتهم فكل ما كان النبلاء والامراء ورجال الكنيسة يستطيعون ابتزازه من الفلاحين عاماً بعد عام كان يبتز منهم حتى من قبل الحرب. كان ذلك أمراً مشتركاً بين الفلاح الألماني في تلك الايام وبين البروليتاريا المعاصرة ، فلم يكن نصيبه من نتاج العمل يتعدى الحد الادنى اللازم لابقائه على قيد الحياة ولتكاثر جنس الفلاحين . وبوجه عام لم يكن هناك ما يمكن اعتصاره من الفلاحين . وصحيح أن الفلاحين المتوسطين الميسوري الحال قد دمروا تدميراً وصودرت مساحات كبيرة من الاراضي العامة ، وحل الخراب بكثير من الفلاحين أو اضطروا الى التشرد أو أصبحوا من العامة في المدن نتيجة لتدمير دورهم وتخريب حقولهم وانتشار الفوضى ولكن الحرب والتخريب كانت من الظواهر اليومية في ذلك الحين . وكان مستوى طبقة الفلاحين عموما من الانحطاط بحيث لا يسمح بتدهور طويل الأمد في وضعها نتيجة لزيادة الضرائب .. لقد وجهت الحروب الدينية التي أعقبت ذلك وحرب

الثلاثين عاماً في آخر الأمر ، بما صحبها من خراب عام ونقص في عدد السكان ،وجهتالى الفلاحين ضربة أقسى بكثير من حرب الفلاحين. وكانت حرب الثلاثين عاما — مع ما حدث في الوقت ذاته من تدمير لكثير من المدن — هي التي دمرت الجانب الاكبر من القوى الانتاجية في الزراعة . مما أدى الى الهبوط بالفلاحين والعامة والتجار والمفلسين الى مستوى البؤس الايرلندي في أسوأ صوره .

وكانت الطبقة التي تأثرت أشد الأثر بحرب الفلاحين هي **رجال الكنيسة** فقد احرقت أديرتها وأملاكها ونهبت كنوزها أو بيعت خارج البلاد أو صهرت . واستهلكت مدخراتها . وكانت في كل مكان أقل الطبقات قدرة على المقاومة ، ومع ذلك كانت الهدف الرئيسي لكراهية الشعب . أما الطبقات الاخرى — الامراء والنبلاء والتجار — فقد سرت سروراً خفيا لماحدث بالقسس المكروهين من نكبات. ونشرت حرب الفلاحين فكرة اخضاع أراضي الكنيسة للسلطة المدنية لصالح الفلاحين وجعلتها شيئاً مألوفاً . وقرر الامراء المدنيون كما قررت المدن جزئياً اخضاع أراضي الكنيسة للسلطة المدنية **لصالحهم الخاص** . وسرعان ماانتقلت أملاك رجال الكنيسة في المناطق البروتستانتية الى ايدي الامراءأوالاشراف . ونال الوهن أيضاً منسلطة أمراء الكنيسة. وعرف الامراء الدنيويون كيف يستغلون كراهيةالشعبفيهذاالنطاق. فرأينا مثلا كيف تحول مطران فولدا(abbot of Fulda)منسيداقطاعي الى تابع لفيليب حاكم هيس . وأجبرت مدينة كمبتنأميرهاالمطران على أن يبيع لها عدداً من الامتيازات القيمة التي كان يملكها في المدينة مقابل مبلغ تافه .

كذلك عانى **النبلاء** الكثير . فقد دمرت أكثر قصورهم وانهارت معظم العائلات الكبيرة وأصبحت لاتستطيع العيش الا بالدخول في خدمة الامراء . فقد ظهر ضعفها في مواجهة الفلاحين وهزمت في كل

مكان واضطرت الى التسليم • ولم ينقذها سوى جيوش الامراء • وكان من المحتم أن يفقد النبلاء أهميتهم كطبقة في ظل الامبراطورية وأن يخضعوا لسيطرة الامراء •

لذلك لم تكسب المدن على وجه العموم شيئا من حرب الفلاحين، فأعيدت سلطة الاشراف في كل مكان تقريباً ودحرت معارضة التجار لفترة طويلة • واستمر بذلك الروتين القديم الذي فرض الاشراف قيوده على التجارة والصناعة حتى قيام الثورة الفرنسية • بل لقد اعتبر الامراء المدن مسؤولة عن الانتصارات المؤقتة التي أحرزتها أحزاب التجار أو العامة أثناء الصراع واضطرت المدن حتى تلك التي كانت تعتبر من قبل أملاك الامراء الى دفع غرامات كبيرة والى التنازل عن امتيازاتهاواخضعت لسلطةالامراء الجشعين (فرانكنهاوزن، ارنشتادت ، فورزبورغ الخ) • وضمت المدن الامبراطورية الى أراضي الامراء (مولهاوزن) أو اخضعت على الأقل من الناحية المعنوية للامراء المجاورين كما حدث مع كثير من المدن الامبراطورية في فرانكونيا •

في ظل تلك الظروف لم يكسب من حرب الفلاحين سوى **الامراء**• ولقد رأينا في مطلع هذه الدراسة أن المستوى المنخفض للصناعة والتجارة والزراعة لم يكن يسمح بتمركز الألمان في **أمة** ، وانما سمح بالتمركز المحلي والاقليمي ورأينا أن الامراء وهم ممثلو المركزية في اطار التفكك كانوا الطبقة الوحيدة التي يمكن أن تستفيد من كافة التغيرات التي تطرأ على الاوضاع الاجتماعية والسياسية القائمة • وكان تطور ألمانيا من التخلف والتباين في مختلف المقاطعات وفي نفس الوقت بحيث وجدت الى جانب المدن الرئيسية الخاضعة للسلطة

المدنية ، مدن خاضعة للسلطة الدينية ، ومدن جمهوريات والكونتات والبارونات ذوي الاستقلال الذاتي • وكان هذا التطور يسير باستمرار – وان يكن بشكل ضعيف وبطيء – في اتجاه المركزية **الاقليمية** أي اتجاه اخضاع كافة الممتلكات الامبراطورية للامراء • ولهذا السبب لم يكن من الممكن أن يستفيد من حرب الفلاحين سوى الامراء • وهذا هو بالضبط ما حدث • فهم لم يكسبوا نسبياً فحسب ، عن طريق ضعف معارضتهم – رجال الكنيسة والنبلاء والمدن والعامة – بل كسبوا أيضاً بشكل مطلق اذ انفردوا بالغنيمة الأساسية (Spolia opima) على حساب كافة الطبقات • فاخضعت أملاك الكنيسة للسلطة المدنية لصالحهم واضطر فريق من النبلاء الذين دمروا تدميراً جزئياً أو كلياً الى الخضوع تدريجياً للامراء•وأدت الغرامات التي فرضت على المدن والفلاحين الى تكديس الاموال في خزائنهم ، وبالاضافة الى ذلك أدى الغاء الكثير من امتيازات المدن الى تيسير العمليات المالية المفضلة لديهم •

لقد ازداد تفكك ألمانيا وتدعم نتيجة لحرب الفلاحين • وكانت تلك هي أهم نتائج حرب الفلاحين وسبب هزيمتها في الوقت ذاته •

لقد رأينا أن ألمانيا كانت مقسمة الى مقاطعات مستقلة لا حصر لها تكاد تكون كل منها غريبة تماماً عن المقاطعات الاخرى ، بل وداخل كل مقاطعة كانت الأمة منقسمة الى عدد من الطبقات واجزاء الطبقات، فالى جانب الامراء ورجال الكنيسة نجد النبلاء والفلاحين في الارياف• والاشراف والتجار والعامة في المدن والعواصم وهي طبقات تتباين مصالحها تبايناً تاماً ان لم تتعارض وتتصادم • وفضلا عن كل هذه المصالح المعقدة كانت هناك كذلك مصالح البابا والامبراطور • وقد

رأينا كيف شكلت هذه المصالح جميعا ، بشكل غير كامل ومع اختلاف الشكل في مختلف الأقاليم ثلاث مجموعات رئيسية في آخر الأمر • ورأينا كيف أنه على الرغم من هذا التجمع العسير ، كانت كل طبقة تعارض خط التطور القومي الذي تشير اليه الظروف ، وكيف أن كل طبقة كانت تعمل لحسابها وتصطدم لا بالطبقة المحافظة فقط بل وتصطدم أيضا بالطبقات المعارضة الاخرى ، وأنه كان صداماً مقدراً له الفشل في النهاية • كان ذلك مصير النبلاء في انتفاضة سيكينغن ومصير الفلاحين في حرب الفلاحين ، ومصير التجار في كافة اتجاهاتهم الاصلاحية المائعة • وهكذا فشل الفلاحون والعامة أيضا في أغلب أنحاء ألمانيا في الاتحاد أو في القيام بعمل مشترك ووقف كل فريق منهما في طريق الآخر • ورأينا أيضا اسباب هذا التفتت في الصراع الطبقي وما نشأ عنه من هزيمة شاملة للحركة الثورية ، وهزيمة جزئية لحركة التجار وأصحاب الحرف •

أما كيف أدت الانقسامية الاقليمية والمحلية وما نشأ عنها من تعصب اقليمي ومحلي الى تدمير الحركة كلها ، وكيف لم يكن في وسع التجار والفلاحين أو العامة أن يتحدوا من أجل القيام بعمل قومي منظم ، وكيف عمل فلاحو كل مقاطعة من أجل أنفسهم فقط ورفضوا بوجه عام مساعدة الفلاحين الثائرين في الاقاليم المجاورة ، وقضي عليهم نتيجة لذلك في معارك متفرقة على يد جيوش كانت في معظم الأحيان لاتتجاز من ناحية العدد عشر الجماهير الثائرة ، هذا كله قد أوضحناه فيما سبق • ولا تعدو الاتفاقيات والهدنات التي عقدتها كل فرقة مع أعدائها أن تكون بياناً بأعمال الخيانة للقضية المشتركة • وكانت الامكانية الوحيدة لتجميع مختلف الفرق لاتقوم

على اساس من وحدة الهدف بل على اساس من وحدة العدو الذي يخضعون له وهذا دليل قاطع على اشتداد الفرقة بين الفلاحين في مختلف المقاطعات ٠

ويسترعي انتباهنا التشابه الشديد بين هذه الحركة وحركة ١٨٤٨ ـ ١٨٥٠ ٠ ففي ١٨٤٨ ـ كما في حرب الفلاحين – تصادمت مصالح الطبقات المعارضة ٠ وكانت كل منها تعمل لحسابها الخاص ٠

وكانت البورجوازية قد تطورت الى حد لم يعد يسمح لها بتحمل الاستبداد الاقطاعي والبيروقراطي ٠ ولكنها لم تكن قد بلغت من القوة حداً يمكنها من أن تطوع مطالب بقية الطبقات لمصالحها الخاصة، وكانت البروليتاريا أضعف من أن تومل في المرور بسرعة في المرحلة البورجوازية وأن تستولي فوراً على السلطة ٠ وكانت قد ادركت تماماً في ظل الحكم الاستبدادي رقة النظام البورجوازي ولكنها لم تكن قد بلغت من النضج مستوى يسمح لها أن تربط ولو للحظة واحدة بين تحررها هي وتحرر البورجوازية ٠ أما الكتلة الرئيسية من الأمة ـ وهي صغار سكان المدن وملاك الورش (الحرفيون المهرة) والفلاحين – فقد هجرها الحليف الطبيعي لها من جانب وهو البورجوازية لأنها كانت ثورية اكثر مما ينبغي ، كما هجرتها البروليتاريا من جانب آخر لأنها لم تكن متقدمة بما فيه الكفاية ،وهكذا انقسمت تلك الكتلة على نفسها ولم تحقق شيئاً في الوقت الذي كانت تناهض فيه زملاءها في المعارضة من اليمين ومن اليسار ٠ أما التعصب الاقليمي فلم يكن يقل بين الطبقات المشتركة في حركة ١٨٤٨ عما كان عليه بين الفلاحين في عام ١٥٢٥ ٠ ويكفي للدلالة على ذلك الثورات

المحلية المائة وما صحبها من مائة حركة رجعية ، بقايا الانقسامات القديمة الى مقاطعات صغيرة٠الخ • **ان من يستمر في الحلم بجمهورية اتحادية بعد الثورتين الألمانيتين في ١٥٢٥ ، ١٨٤٨ ونتائجهما لايمكن الا أن يكون مجنوناً •**

ومع ذلك ، وعلى الرغم من التشابه الشديـد بين الثورتين ، ثورة القرن السادس عشر وثورة ١٨٤٨ – ١٨٥٠ ، فانهما تختلفان اختلافا جوهريا ، اذ تعبر ثورة ١٨٤٨ عن تقدم اوروبا بأسرها ان لم يكن عن تقدم ألمانيا •

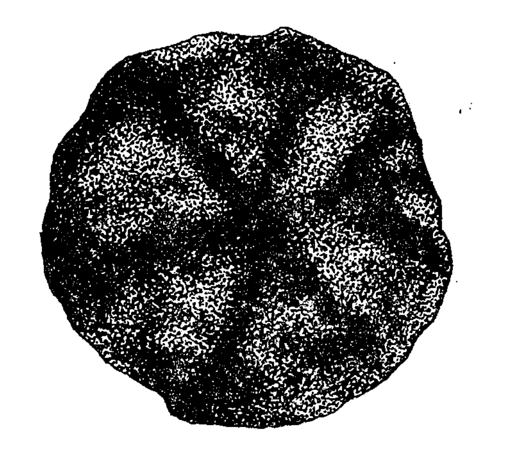
من استفاد من ثورة ١٥٢٥ ؟ الامراء ، ومن استفاد من ثـورة ١٨٤٨ ؟ كبار الامراء ملكا النمسا وبروسيا ، ووراء الامراء في عام ١٥٢٥ وقف صغار سكان المدن الذين كان الامراء قد ربطوهم بعجلتهم بواسطة الضرائب ، ووراء الملوك في عام ١٨٥٠ – وراء النمسـا وبروسيا – يقف البورجوازي الكبير الحديث الذي كان يسـرع في اخضاعهم لسيطرته عن طريق الدين القومي ، وخلف البـورجوازي الكبير تقف البروليتاريا •

لقد كانت ثورة ١٥٢٥ مسألة ألمانية داخلية ، وكان الانكليـز والفرنسيون والبوهيميون والمجريون قد انتهوا من حروب الفلاحين لديهم عندما بدأ الألمان حربهـم • **ومادامت ألمانيـا منقسمة فستظل أوروبا منقسمة** • ولم تكن ثورة ١٨٤٨ مسألة ألمانية داخلية • بـل كانت مرحلة في حركة اوروبية عظيمة • وامتـد أثر القوى الدائعة

لها ـ خلال فترة قيامها ـ الى آفاق أبعد من الحدود الضيقة لبلد واحد ، بل لم يقتصر أثرها على جزء واحد من أجزاء العالم • والواقع أن البلاد التي كانت مسرحاً للثورة كانت أقلها نشاطاً في احداثها • لقد كانت تلك البلاد بدرجة أو أخرى مادة من خام مترددة غيرواعية شكلها مجرى الأحداث والحركة التي يشارك فيها العالم كله اليوم• وهي الحركة التي قد تبدو لنا في الظروف الاجتماعية الراهنة قوة غريبة عنا ، ولكنها في آخر الأمر لاتعدو أن تكون حركتنا نحن • وهذا هو السبب في أن ثورة ١٨٤٨ ـ ١٨٥٠ لايمكن أن تنتهي الى ما انتهت اليه ثورة ١٥٢٥ •

النص مترجم عن الطبعة الالمانية الثالثة لعام ١٨٧٥ •

صححت الاخطاء والتواريخ والاسماء الجغرافية •



خاتم الفلاحين ، اشارة التعارف السرية للفلاحين الثوريين

اضافة الى حرب الفلاحين[1]

ان الحركة الاصلاحية ـ اللوثرية والكالفينية ـ هي **الثورة البورجوازية رقم «١»** كما أن حرب الفلاحين هي المرحلة النقدية لها • أما انهيار الاقطاعية ونمو المدن فهما (عمليتان) [2] تقويان اللامركزية كمطلب مباشر للملكية المطلقة بوصفها السلطة التي ستقوي القوميات • **وكان يجب أن تكون** مطلقة بسبب طبيعة مركزيتها النابذة بالنسبة لكافة العناصر • ولكن طبيعتها المطلقة لاينبغي أن تؤخذ بالمعنى العام • انها (تتطور) في صراع وثيق **أما** مع ممثلي الدويلات أو مع المدن والسادة الاقطاعيين الثائرين • وهي لم تلغ الدويلات أينما وجدت • وبذلك فالأفضل أن يشار اليها بوصفها دويلة ملكية (فهي ماتزال اقطاعية في ذبول ، وبورجوازية بشكل جنيني) •

الثورة رقم ١ ـ التي كانت اوروبية اكثر منها انكليزية ،والتي انتشرت في اوروبا وبسرعة أكثر من انتشار الثورة الفرنسية ـ حيث انتصرت في سويسرا ، وهولندا ، وسكتلندا ، وانكلترا ، والى حد ما

---

١) كتب انجلز هذه الاضافة عندما رغب بمراجعة كتابه حرب الفلاحين في ألمانيا ومن الجلي أنها تكاد تكون جزءاً من خطة لمقدمة طبعة مراجعة • وجاءت الملاحظات على صفحات ورقية منفردة • وقد نشرت أول مرة عام ١٩٤٨ في المجلد الخامس بالروسية من (ارشيف ماركس وانجلز) ـ الناشر •

٢) النصوص التي بين الأقواس للناشر •

في السويد (تحت حكم غوستافوس فاسا Gustavus Vasa) والدانمارك والتي لم تصل الى شكلها الأصلي الحالي القائم على الحكم المطلق الا عام ١٦٦٠ ٠

١ – (١) الأسباب في ألمانيا ٠ تاريخ ألمانيا منذ بدايته ٠ نهاية ألمانيا بعد الايام البطولية لهجرة الامم ٠ لم تتوطد ثانية في فرنسا الا على أيدي شارلمان Charlemagne وقد تضمن ذلك فكرة امبراطورية رومانية عادت الى الحياة على أيدي أوتو Otto كانت غير ألمانية اكثر منها ألمانية ٠ دمار ألمانيا يرجع الى مثل تلك السياسة ٠ – نهب المدن الايطالية – تحت حكم أسرة هوهنشتاوفن ٠ وقد زاد ذلك من التفكك (بالاضافة الى الانتفاضات excepto Casu revolutionis) ٠ تطورات الفترة العظمى الفاصلة بين العهود (٢) great interregnum ٠ نشأة المدن ٠ تحلل النظام الاقطاعي ، ذلك النظام الذي لم يصل الى قمته قط في ألمانيا تحت ضغط الامراء (حيث كان الامبراطور بوصفه صاحب السيادة يقف **ضد** الفرسان وبوصفه حاكما يقف **مع** الفرسان) ٠ التحرر التدريجي للفلاحين ، حتى رد الفعل في القرن الخامس عشر ٠ وكانت ألمانيا ، ماديا ، تقف على قدم المساواة مع دول تلك الأيام ٠ وكان العامل الحاسم بالنسبة لألمانيا التي كانت مفككة اقليميا ، والتي **لم تتعرض لأي غزو منذ أمد بعيد،** هو أنها لم تحس بحاجة قوية الى الوحدة القومية مثل فرنسا (حرب

---

١) الفقرة الاولى في أوراق انجلز جاءت بعد الفقرة الثانية ٠

٢) الفترة العظمى عشرون عاما جاءت بعد انتهاء حكم اسرة هوهنشتاوفن (١٢٤٥) كانت فترة صراع من أجل التاج الامبراطوري وتميزت بالاضطرابات المستمرة والمنازعات بين الامراء والفرسان والمدن ٠ (الناشر) ٠

المئة عام) أو اسبانيا التي كان المراكشيون Moors قد أعادوا غزوها، أو روسيا التي كانت بالكاد قد تخلصت من التتار Tatars ، أو انكلترا (حرب الوردتين) كما أن سلطة القيصر كانت بائسة في ذلك الحين.

٢ ـ ان عصر النهضة بأشكاله الاوروبية المتعددة جاء مبنياً على قاعدة الانهيار العام للاقطاعية ونشوء المدن ، ثم (ظهور) الملكيات القومية المطلقة في كل مكان ماعدا ألمانيا وايطاليا .

٣ ـ طبيعة الاصلاح الديني بوصفه التعبير **الشعبي** الوحيد عن المطامع العامة الخ ...



فلاح ثوري يرفع علماً

ملاحظـات حول ألمانيا

١ ــ مقدمة ١٥٠٠ ــ ١٧٨٩

١ ــ ازدادت ألمانيا تفككاً وضعفاً في مركزيتها في نهاية القرن الخامس عشر ، بينما ازداد تمركز فرنسا وانكلترا بدرجة أو بأخرى واتخذت شكل الامم ، وكان ذلك من المستحيل في ألمانيا ، أولا بسبب نمو الاقطاعية فيها متأخرة عن نموها في البلاد التي عانت من الغزو(١)· وثانيا لأنه كان كان يدخل ضمن ألمانيا أجزاء فرنسية وأخرى سلافية، كما كانت تعتبر ايطاليا ملكا لها وروما مركزاً لها ، وبالتالي لم توجد عندها عقـــدة قومية ، ثالثا وهذا أكثر أهمية أن القطاعات وتجمعات المقاطعات كانت لاتزال منعزلة عن بعضها بعضا ولم يكن بينها اتصال (انظر حــرب الفلاحين) ، وكانت الهاتزا ، وعصبة الراين ، وعصبة سوابيا(٢) ، تجمعات طبيعية ولكنها غير متحدة ·

اضافة ١ ــ اتخذت اسبانيا وفرنسا وانكلترا شــكل الدول القومية الدستورية عند نهاية القرن الخامس عشر ، وكانت هـــذه

---

١) الاشارة هنا الى دول غرب أوروبا التي كانت جزءاً من الامبراطورية الرومانيــة وعانت من الغزو على يد القبائل الالمانية خلال القرنين الرابع والخامس · (الناشر)

٢) تشكلت عصبة سوابيا وعصبة الراين في جنوب وغرب ألمانيا في العقد السابع من القرن الرابع عشر · من أجل حماية طرق التجارة والدفاع ضد هجمات الســادة الاقطاعيين وتفككت قربه نهاية القرن الرابع عشر · (الناشر) ·

الاندماجات هي أبرز ما يميز القرن الخامس عشر · (اسبانيا ، اندماج الامتين القطالونية والكاستيلينية · أما البرتغال ــ وهي هولندا شبه جزيرة ايبيريا ــ فقد انتزعت حقها في الوجود المستقل بحكم نشاطها البحري · وفرنسا بقوة الاسرة الحاكمة التي امتصت الأمة تدريجياً · انكلترا بحروب الوردتين التي قضت على الارستقراطية· ولم تتخل انكلترا عن خططها الدون كيشوتية لغزو فرنسا الا بعد تلك الحروب ــ التي كانت شديدة الشبه بحملات ألمانيا ضد روما ــ والتي كانت ستؤدي الى استنزافها مثلما استنزفت حملات ألمانيا دماءها) · وكان يمكن أن تتمركز ألمانيا رغم تمزقها الاقتصادي بل وربما قبل ذلك (تحت حكم اسرة أوتو مثلا) لولا :

١ ــ لقب امبراطور روما وما يتطلبه من سيادة العالم والذي أدى الى الغاء تكوين دولة قومية واستنزف قوتها في حملات غزو ايطاليا (والتي ظلت النمسا تعاني منها حتى عام ١٨٦٦ !) تلك الحملات التي أعاقت مصالح ألمانيا ·

٢ ــ الامبراطورية الانتخابية المستقلة التي استبعدت احتواء الأمة تحت ظل عائلة امبراطورية والتي ، بدلا عن ذلك ، وخاصة في القرن الخامس عشر ، ظلت تستبدل الأسر الحاكمة حالما تزيد قوتها على ما يرغبه الامراء · وصحيح أنه وجد في فرنسا واسبانيا تمزق اقتصادي كذلك ولكن تم التغلب عليه بالقوة ·

أما « الحرب الثقافية » (Kulturkampf » بين الامبراطورية والبابا [١] في العصور الوسطى فقد مزقت كلامن ألمانيا وايطاليا (حيث

---

١) يشير انجلز بهذا التعبير التهكمي الى الصراع بين بسمارك والبابا وحزب الوسط الكاثوليكي في عام ١٨٧٢ ــ ١٨٧٩ · (الناشر)

كان البابا يعرقل الوحدة القومية بينما يبدو في الوقت نفسه مناصراً لها ، بحيث ان دانتي Dante لم ير منقذاً لايطاليا الا امبراطوراً أجنبياً) • وفي عام ١٥٠٠ فرض البابا نفسه على ايطاليا كلها بوصفه أميراً وبذلك جعل الوحدة مستحيلة التحقيق عملياً •

٢ – ومع ذلك فقد كان يمكن توحيد ألمانيا من خلال التطور الطبيعي للتجار وألمنة (١) Germanisation السلاف على ضفاف نهر الألب وخسارة المقاطعات الفرنسية (٢) وايطاليا لأن طريق التجارة العالمية كان يمر عبر ألمانيا ، لولا حادثين حاسمين :

(١) قيام سكان المدن في ألمانيا بثورتهم والتي اتخذت وفقا لروح العصر شكلا دينيا هو حركة الاصلاح الديني • ولكن لم يكن يمكن القيام بها دون فرسان الامبراطورية والفلاحين ولكن هذه الطبقات الثلاث كانت مشغولة بمصالحها المتصارعة • فقد كان الفرسان هم المستبدون بالفلاحين • بل وغالبا ما نهبوا المدن • تلك المدن التي كانت بدورها تذبح الفلاحين • وكان فرسان الامبراطورية هم أول الثائرين ولكن تخلى عنهم سكان المدن ففشلوا وثار الفلاحون ولكن حاربهم سكان المدن مباشرة • وتم في الوقت ذاته ايقاف الثورة الدينية البورجوازية عند الحد الذي يناسب الامراء الذين تسلموا القيادة بأيديهم • الطبيعة اللاهوتية – النظرية المحددة للثورة الألمانية في القرن السادس عشر • الاهتمام المتزايد بأشياء ليست في نطاق هذا

---

١) ألمنة • جعلهم ألمانا • (المترجم) •

٢) مناطق كانت أصلا من الامبراطورية الالمانية في العصور الوسطى ثم انتقلت كلية الى فرنسا بعد ذلك • (الناشر) •

العالم . التجرد عن الواقع المحزن هو أساس تفوق الألمان المفترض في المرحلة التالية وذلك منذ ليبنتز حتى هيغل .

(٢) لقد أدى انسحاب طرق التجارة العالمية من ألمانيا الى تحول ألمانيا الى زاوية منعزلة ، وبذلك تحطمت حركة العامة ، كماتحطمت حركة الاصلاح الدينية .

(٣) وكانت نتيجة ذلك « أن من له السلطة الدنيوية ، يمتلك السلطة الدينية أيضاً[١] » وانقسمت ألمانيا بالفعل الى مناطق شمالية تسودها البروتستانتية ومناطق في الجنوب الغربي تسودها الكاثوليكية رغم مافيها من اختلاط شديد ومناطق في الجنوب الشرقي تسودها الكاثوليكية بشكل شامل . وهنا كانت بذور قصور النمو فيما بين ١٧٤٠ — ١٨٧٠ (بروسيا ، ثم انفصال الشمال عن الجنوب ، ثم أخيراً ألمانيا الصغرى والنمسا) . وقد تمت عملية عكسية في فرنسا . قمع الهوغنوت Huguenots .

٣ — وبمجرد أن قضي على ألمانيا بالسلبية والانتكاس الصناعي . أصبحت أميل الى أن تكون أكثر تعرضاً لتأثيرات الضرورات السياسية عن الدول النشطة والمتقدمة صناعياً . لقد ادى الانقسام الى حزبين الى أن تصبح الحرب الاهلية هي نظام الحياة اليومي . حصر الحروب التي حدثت حتى عام ١٦٤٨ ، الحرب الأهلية استغل الفرنسيون الموقف ودخلوا في تحالفات بل وفي شراء الامراء البروتستانتيين والجنود المرتزقة الألمان . قد بلغ ذلك الأمر أوجه في حرب الثلاثين عاما (الايرلنديون في ألمانيا خلال حرب الثلاثين عاماً ، والألمان في ايرلندا

Cuius regio, eius religio عبارة لاتينية « ان من له السلطة الدنيوية يمتلك السلطة الدينية أيضاً » وكانت هذه القاعدة أساس التصالح الديني لأوغسبورغ عام ١٥٥٥ — (الناشر) .

عام ١٦٩٣ وعام ١٨٠٦) • حساب للتدمير • النتائج الاقتصادية والاجتماعية والسياسية : أدت التنازلات حيال فرنسا الى أن كسبت الدانمارك والسويد مراكزاً في ألمانيا ، حق القوى المتضامنة في التدخل، انهيار كلي للسلطة المركزية ، الضمان الاوروبي لحق الامراء الألمان في التمرد على الامبراطور ، الحرب الاهلية والخيانة العظمى •

٤ — ١٦٤٨ — ١٧٨٩ •

آ — الملابسات السياسية • خرق الامراء الألمان صلح وستفاليا وتنافسوا في بيع أنفسهم الى سادة أغراب • انتهزت فرنسا(وتركيا) فرصة ضعف ألمانيا للاستيلاء على كافة ممتلكات ألمانيا الغربية والاحاطة بالالزاس • الحقوق التاريخية لفرنسا ، والشكوى التيوتونية من « اللصوص »(١) بقاء حدود اللغة دون تغيير منذ حوالي عام ١٠٠٠ ميلادي • باستثناء المناطق التي على شمال جبل الفوزغ • هذا على وجه العموم • أما على وجه الخصوص فقد كانت الأمور كما يلي : ظهور سلطة في الشمال (بروسيا) ، تنافس النمسا والامبراطورية • بدأ التقسيم الى شمال وجنوب في اثبات نفسه ، فقد للتاريخ البروسي فردريك الثاني • قيام روسيا وخضوع فردريك الثاني للسياسة الروسية أصبحت الحروب الأهلية الآن حروب تنافس بين النمسا وبروسيا •

---

١) يشير انجلز الى مطالبة الشوفينيين الألمان بالالزاس واللورين بدعوى الحقوق التاريخية التي كانت للامبراطورية الالمانية في العصور الوسطى في تلك المناطق • ويؤكد ماركس وانجلز أن المصير التاريخي للالزاس واللورين ارتبط بفرنسا منذ الثورة البورجوازية الفرنسية عام ١٧٨٩ — ١٧٩٤ • ودانا حكومة بسمارك لضمها تلك المناطق عام ١٨٧١ • (الناشر)

(ب) اقتصادياً · نظراً لكل ذلك فقد كان الخلاص بطيئا من آثار حرب الثلاثين عاماً · كذلك كانت استعادة سكان المدن لمكانتهم تتم ببطء ولم يكن ذلك الصعود ممكناً في ظل تلك الظـروف الا من خلال الصفات المشينة لأولئك السكان · ونظراً لكل ذلك فان التقدم الاقتصادي لم يكن ممكناً الا بالتـدخل السياسي ، نظلم الامـراء والاموال التي دفعت لهم من الخارج · يوضح ذلك مدى عمق الهوة التي تردت فيها ألمانيا اقتصاديا · هذه المرحلة هي المنبع الأصلي للنظام الابوي · ولقد كان على الدولة بالفعل بعد عام ١٦٤٨ القيام بوظائف اجتماعية · ولكن الصعوبات المالية قد أعاقتها عن تحقيق ذلك · وحيث لا يتحقق ذلك يحدث الكساد (الاسقفيات الوستفالية)· يا للخسة ! ويالتعاسة المعونة التي تقدمها الدولة ! سلبية كاملة في العلاقة بالسوق العالمي · العجز عن كسب أي شيء الا من الحروب العالمية الكبرى (الحرب الاميركية ، والحروب القومية حتىعام ١٠٠١) باتخاذ صفة المحايدين · ومن ناحية اخرى عجز في مواجهة الدولـــة التي تقوم بالنهب (الفضل في انهاء ذلك الموقف المشين من اوروبا يرجع الى الثورة الفرنسية ·

(جـ) لحق الدمار بالأدب واللغة · الوثوقية(١) في اللاهوت · ذبول العلوم الاخرى في أالمانيا · رغم أنه كانت هناك ومضـــات من الأمل · ج بوهيم (اشارة من جديد الى فلاسفة المستقبل) وكبلر ، وليبنتز مرة أخرى يعود الانسلاخ عن الواقع · باخ ·

---

١) الوثوقية يترجمها بعضهم خطأ بالدوغماطبقية المتحجرة ·

(المترجم)



فلاحون فرانكونيون مسلحون

(د) الموقف في ألمانيا عام ١٧٨٩ (أ) الزراعة ـ موقف الفلاحين، القنانة ، العقاب الجسدي ، الأتاوات • (ب) الصناعة كفاف وتعاسة، العمل اليدوي أساسا • انكلترا ـ بدأت الصناعة الحديثة ، بينما كانت الصناعة الألمانية قد اندثرت قبل أن يتم تطورها • (ج) التجارة ـ سلبية (د) الوضع الاجتماعي لسكان المدن في علاقتهم بطبقة الاشراف وبالحكومة • (هـ) العقبات السياسية التي تقف في طريق التقدم : التفكك • الحصر الذي قام به منك • الرسوم الجمركية بمثابة العوائق أمام الملاحة الداخلية • اختفت التجارة الحرة من جراء الحواجز الداخلية التي فرضتها التجزئة • الرسوم الجمركية غالبا ما تكون هي ضرائب المستهلكين المدنيين •

كان الامراء عاجزين عن فعل الخير ، حتى حين يكونون من المتنورين أمثال حماة شوبارت ، وكارل أوغست فهم جميعا يتمسكون باتفاقية الراين أكثر من اقدامهم على المغامرة بالحرب • كان غزو ١٨٠٦ بمثابة الاختبار الذي يمكن ان يكلفهم حياتهم • لقد كان كل أمير من هؤلاء الامراء الألف حاكماً فردياً مطلقاً، لقد كانوا أفظاظاً، وأوغاداً وغير مهذبين بحيث لايمكن مطلقا أن يتوقع المرء منهم أي تعاون• النزوات كثيرة دائماً • المتاجرة بالمجندين في الحرب الاميركية • ان مجرد وجودهم كان هو أضخم الاساءات التي سببوها • والى جوارهم، على امتداد الحدود الشرقية ، كانت كل من بروسيا في الشمال والنمسا في الجنوب تمد قبضتها القوية نحو تلك الجهات • ولم يكن في استطاعة سواهما البقاء اذا لم يكن هناك من مفر من بقاء أحدهما فحسب • ولكن ذلك التنافس الذي لا هوادة فيه بين كليهما قد جعل أي مخرج ضرباً من المستحيل • انها نهاية هادئة حقاً • المعونة لايمكن

أن تأتي الا من الخارج فقط • ولقد أتت الثورة الفرنسية • لم يكن هناك سوى علامتين على الحياة : القدرة العسكرية من ناحية ، والادب والفلسفة والبحث العلمي الموضوعي الجاد من ناحية أخرى • وبينما كانت في فرنسا مجموعة ذات وزن من الكتاب السياسيين اللامعين حتى منذ القرن الثامن عشر كان كل شيء في ألمانيا آخذاً في الانحدار نحو الهروب من الواقع الى الأجواء المثالية • « الانسان » وتطور اللغة ، في بربرية عام ١٧٠٠ ، وفي عام ١٧٥٠ ليسنغ وكانت وبعده غوتـه وشيللر ويلاند وهيردر وغلوك وهاندل وموزارت •

١٧٨٩ – ١٨١٥

١ – لقد انضمت الامدادات الألمانية في الالزاس – اللورين(١) • الخ والتي تعتبر نصف واقعة تحت السيطرة الفرنسية ، الى الثورة الفرنسية مما قدم حجة للحرب • بروسيا والنمسا أصابتهما الصراحة المفاجئة الآن، فالمى Valmy ، هزيمة التكنيك القائم على انشاء الانساق في مواجهة المدفعية الكثيفة • فليوريوس وغيمابس • فشل تكتيك

---

١) الاشارة الى ممتلكات امراء المانيا الامبراطوريين (وهم أساسا من الكهنة) في الالزاس واللورين • وبعد أن ضمت تلك المقاطعات الى فرنسا أصبح الامراء تابعين للملك الفرنسي وللامبراطور الالماني في الوقت ذاته• ولقد اثارت الثورة الفرنسية بتحويلها كافة الاراضي الكنسية الى الاغراض الدنيوية صراعا بين الامراء وبين الحكومة لفرنسية • وكان استنجاد الامراء بالامبراطورية ذريعة لتدخل الدول الألمانية الرجعية في الشؤون الداخلية لفرنسا (الناشر) •

الاحاطة النمساوية(١) ؟ اغتصاب الضفة اليسرى للراين • العودة الى اعتصار الفلاحين والمدن الوادعة التي لم تكن تستطيع تحاشي الأثام الفردية ولا ضريبة الدم التـي فرضها نابليـون بمصـالحة أمينيز والتفويض الامبراطوري • النتيجة الرئيسية : ابادة الامبراطورية ، امارة الراين • نابليون يكتسح الدويلات الصغيرة ولكن لسوء الحظ • بشكل غير كامل • لقد كان نابليـون ثورياً دائمـاً في تعارضه مـع الامراء • ولقد كان يمكن أن يمضي أبعد من ذلك لو لم يلق الامـراء الصغار بأنفسهم على أقدامه بدناءة بامغة ، ان خطأ نابليون عام١٨٠٦ هو أنه لم يكتسح بروسيا حتى النهاية ، الموقف الاقتصادي لألمانيا خلال الحصار القاري • ان هذه الفترة التي بلغ الاذلال الخارجي قيمته فيها ، كانت في الوقت ذاته فترة ساطعة في الادب والفلسفة وكانت فيها قمة الموسيقى لدى بتهوفن •

---

١) تمكن جيش الثورة الفرنسية في ٢٠ ايلول عام ١٧٩٢ في فالمي من هزيمة الفصائل البروسية • وفي ٩ تشرين الثاني ١٧٩٢ هزم الفرنسيون جيشا نمساويا فيبلجيكا وفي ٢٦ حزيران ١٧٩٤ هزم الفرنسيون جيشا نمساويا بالقرب من شارلزروا •
(الناشر)

من المخطوط الثاني ل « ملاحظات حول ألمانيا »(١)

ابان **حروب الهوغينوت** Huguenot كان اقدام المملكة كممثلة للأمة بالغ القوة بالفعل حيث ان التحالفات الأجنبية والمعاهدات العسكرية لم تكن تؤخذ بجدية ويتم تعريف الرأي العام عليها **فقط** اذا كانت معقودة مع الملك • وبحيث كان ينظر حتما الى كل الآخرين باعتبارهم اما متمردين أو خونة • ولم يكن الأمر بأوضح مما كان عليه بعد وفاة هنري الثالث ، حين أحرز هنري الرابع نصراً نهائياً بفضل تأثير اسمه الملكي فحسب •

لم يكن القمع النهائي للبروتستانتية في فرنسا خسارة لفرنسا كما يرى بايل وفولتير وديدرو • وبالمثل اذا لم يكن هذا القمع سوء طالع لألمانيا ، فانه قد يكون كذلك **بالنسبة للعالم ككل** • لقد أدى ذلك الى فرض **الشكل** الكاثوليكي لتطور البلدان الرومانية على ألمانيا •

وكذلك فان الشكل الانكليزي للتطور أصبح منقسماً بين الكاثوليكية وبين صيغة العصور الوسطى (كل الجامعات •• الخ • والكليات والمدارس العامة عبارة عن اديرة بروتستانتية) كان على كافة مظاهر النظام التعليمي الألماني البروتستانتي (التعليم في المنزل أو في أماكن خاصة ، الطلبة المتفرغون يختارون مدرسيهم) ان تختفي وأن يصبح التطور العقلي الاوروبي متجانساً • رفضت كل من فرنسا

---

١) المخطوطان الثاني والثالث تضمنا شذرات متفرقة تحت عنوان **ملاحظات حول ألمانيا ١٧٨٩ ـ ١٨٧٣** • نشرا مع المخطوط الاول في « ارشيف ماركس وانجلز » المجلد الخامس ولقد وردت في هذا الكتاب شذرة واحدة أشار اليها أنجلز في مخطوطه الاول • (الناشر)

وانكلترا ماينطوي عليه هذا **الأمر** من تعصب ، كما رفضته ألمانيا من حيث **الشكل أو النمط** • وبالتالي فان افتقاد كل شيءألماني للشكل المحدد يرجعجزئياًالىمافيذلكالعهد بالدقة منقصورشديد ،ومنأمثلة ذلك ، نظام الدويلات الصغيرة رغم أنه كان ذو فائدة كبرى لقدرة الأمة على التطور • تلك القدرة ألتي لن تصبح ناضجـة الا في المسـتقبل بمجرد أن تنتهي هذه المرحلة نفسها أحادية الجانب

والأكثـر من ذلـك ، **فان البروتستانتية الألمانية هي الشكل المسيحي الحديث الجدير بالنقد** • كـانت الكاثوليكيـة **تحت** كل النقد بالفعـل في القرن الثامن عشر كمـا كانت موضوعا **للمجادلات** (ترى كيف يمكن تقييم أولئك الكاثوليكيين القدامى !)

انقسمت البروتستانتية الانكليزية الى العـديد من الشـيع ، دون تطور لاهوتي ، أو بتطور تتميز كل مرحلة من مراحله بظهور شيعة جديدة • كان لدى الألمان فحسب علماً للاهوت وكان ذلكعرضة للنقد تاريخياً ، ولغوياً وفلسفياً • لقد تم تقديم **هذا من خلال ألمانيا** ولكنه رغم أهميته المطلقة كان مستحيلا بدون البروتستانتية الألمانية• ان دينا كالمسيحية لايمكن تدميره بالسخرية والذم **فحسب** ، بل ينبغي **تخطيه علمياً** أيضـا ، أي **تفسيره تاريخياً** ، وهو مالايمكن ان تقـوم به حتى العلوم الطبيعية •

– انتهى –

هـذا الكتـــاب

« حرب الفلاحـين » التي هزت ألمانيـا في القرن السـادس عشر للميـلاد كناية عن ثورة طبقية عنيفة اتخذت شكل الحرب الاهلية ، دارت في الاساس ما بين الفلاحين الكادحين المضطهدين بالاقطاع من جهة ، وملاك الحقول ومنهم الحكام الاقطاعيون في الدول الالمانية آنذاك •

ومن السمات البارزة في تلك الثورة تذبذب الطبقة البورجوازية الناشئة في المدن الالمانية وعدم اتخاذها موقفا حازما الى جانب الثورة الفلاحية العارمة ، وانحيازها في النهاية ، ولاسيمـا الفئات العليا منهـا ، الى جانب الحكـام الاقطاعيين ، وقد تمكن هؤلاء ، بعد جولات وجولات تميزت بالضراوة والبطولة والابداع في جانب ثوار الشعب ، وبالهمجية والشـراسة في جانب الرجعيين اعداء الشعب ، من اغراق الجذوة الثورية بالدماء واحالتها رمادا على رؤوس الفلاحين الأشاوس •

كانت هذه ثورة ديمقراطية من عصر بداية نهوض البورجوازية الاوربية، في حين لم تكن البروليتاريا قد تكونت بعد كطبقة هناك • فلا كانت القيادة الثورية جاهزة تاريخيـا لانجاح الثورة الديمقراطيـة ، ولا كان الحلفاء مستنفرين • وكان لا مندوحة لها عن الفشل في ذلك الخضم التاريخي •

استقى انجلز وقائع التاريخ من اوثق المصادر المتوفرة في عهده ، وقدم لروايته عن الثورة وتحليله لها بمقدمة تعتبر نصا نهجيا مأثورا في الادب الماركسي ، ربط فيه ما بين تحليل « حرب الفلاحين » وتحليل الواقع الثـوري والطبقي الالماني في القرن التاسع عشر والبورجوازية في عدان النمو ، فأسلط ضوءا كاشفا على حقيقة تاريخية ربما امكن التعبير عنها بنحو من التبسيط بالقول ان « البورجوازية هي البورجوازية » •

دار دمشق

التوزيع في الأقطار العربية

دار دمشق - دمشق - شارع بور سعيد ☎ ١١١٠٤٨ ١١١٠٢٢